[بسم] الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

... محمد الفقير إلى الله المعتمد في جميع أموره على الله ...
عبد الله بن ابراهيم بن عباد النفزي الرندي لطف الله به آمين

... المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت الكمال
... عن الشركاء والنظراء والأمثال المتقدس عن سمات ...
الـ... ولا انتقال ولا اتصال ولا انفصال عالم الغيب والشهادة
المتـ... على ... الهادي من الضلال ...
الذين ... الأعمال ... الأحوال ...
من ... وعادلين الخلال وسلم كثيرا أما بعد
فإن ... كتاب الحكم المنسوب إلى الشيخ الإمام المحقق
المكاشف ... تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء
رضي ... من أجل ما صنف في علم التوحيد ...
بالسـ... لكل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظـ...
ذا عبارات ... ومعاني سنية فإنه قصد فيه إلى إيضاح
العارفين ... وبيان مناهج السالكين والمتجردين ...
في وضع ... يكون الشرح لمعانيه الظاهرة ... وكا...
يشتمل ... الزوائد الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع
معاني الكتاب ... وما تضمنه من لباب اللباب لأن كلامه ...
منطويا على أسرار مكنونة وجواهر حكم مكنونة ... يكشف ...
ولا يتبين حقائقها إلا بالتلقي عنهم ونحن في هذا الكلام ...
والمسائل التي نعتمد عليها في هذا الشرح كلام المؤلف ولا ...
تيسيره ... أهمتهم حسبما يفعله كل ...

كان منها السعادة أدت بنا والعبادة إلى القطب وكنا قد تعرضنا للجمهور والفرد
بتعالى فلا يلوح لنا من شرح كلام السادة من أهل الله تعالى من غير خوض ولا حصر
وإنما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى إليه علمنا
من فهم إشاراتهم وأفضى إليه تحقيقنا بكلام وعرضنا على كتب القوم كان ذلك
من النفع لكن لا نحصي لها حصرا ولا نقدر لها قدرا وإن تخالفنا ذلك ولم
نهتد إلى تلك المسالك أحلناه على بيان نقصنا وجهلنا وانتهضنا
عن التقرير بقولنا وفعلنا وانتهى الأمر في ذلك علينا وكانوا هم مبرئين
مما قلنا ونوينا بلا حرج إذ كان هذا مقصرنا لوجود السلامة التي
جعلنا هذا مقصدنا وينبغي لنا أن نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى
ثم نتبعه كلامنا بصيغة النحو والدعوى ونأتي بعبارة أبسط من
عبارته وإشارة أجلى من إشارته ليفهم بذلك ما عندنا من تفسير ما
ذكره لأنه تفسير حقيقة مقصوده ونذكر في أثنائه كثيرا مما يناسب عنوانه
الكلام المتقدم عليه لتتم بذلك الفائدة في الغرض المتوجه إليه وما
ظهر لنا في كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأيت
التنبيه عليه كالفرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا
المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بصبغ يخالف
لونه ما يكتب به سواه أو يكتبها بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة
ويوفي من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك أقرب إلى الحصول المرام
في استخراج فوائد ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير إلا
خيره والذي حملني على وضع ذلك تصنيفه وجمعه بعد تقديم
إرادة الله التي لا تغلب وتقديره الذي ليس للعبد معه ملجأ ولا مهرب
ثم الذي رأيناه من المقاصد المعظمة ونبهنا عليه في صدر هذه
المقدمة ... بعض أصحابي في ذلك علي وترددهم في المسألة إلي

لكونهم على اعتقاد صحيح في صحة الطريقة وصحبة خاصة الله من أهل الحقيقة فما
سبقتهم لما طلبوه وحققت لهم الآمال فيما رغبوه. كرامة من الله تعالى ومنح
وفضل به علينا ومنح. نفعنا الله وإياهم بما في هذه الدنيا ولا جعله
حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما انطوينا عليه من الإثم
العظيم. واقترفناه من الخطأ الجسيم. ونستعيذ به من الوقوع في حبائل
العدو الرجيم. ونسأله توفيقا يسلكنا على جادة الاستقامة.
ويعيننا على العمل بما يعقبه ملامة وندامة ونرجوه مع هذا إذ من علينا
بالانتماء إلى مذاهبهم والانتساب إلى كرائم مناصبهم والتعلق بأذيالهم
وتداولة النصح على منوالهم وورثنا أشياء من تعظيمهم وصحبهم و
قسطا من نحو نعتهم ووهبهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف
ولايتهم ولا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يحرمنا عن منهجهم القويم
فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم
[illegible] من غيرهم
اهدا اصهم جوف الجيداء
[illegible] صنعهم فالي
في تكرم عزو جاره
اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فإنهم أحبوك ولم يحبوك حتى
أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فبك
لا تخيبنا عنك فيهم لنأذ لحبهم نلقاك وأنت أرحم الراحمين
اللهم صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين
الطاهرين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ومسلم كثيرا وهذا
حين الشروع وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق قال المؤلف
رضي الله عنه من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل

أقول الاعتماد على الله نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره
وصف الجاهلين الغافلين سواء كان ذلك الغير حسنة عملوها أو
عملا منهم وأحوالهم أما العارفون الموحدون فإنهم على بساط
القرب والمشاهدة ناظرون إلى ربهم فانون عن أنفسهم فإذا وقعوا في
زلة وأصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم
كما أنهم إذا صدرت منهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا
في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لأن الشأن الغالب
عليهم ذكر ربهم فأنفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم
ساكنة بما يلوح لهم من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لأنهم غرقاء
في بحار التوحيد قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم
ما يجتنبون من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الإحسان
فأما العمال غير العارفين فغاية همهم أن الله قد تولى
الدائم مع جاهه فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لأنهم لم
يروا أنفسهم أهلا لها وإن ظهرت منهم زلة في الدنيا تمسكوا بالفضل لما
يشاهدون من الغيرة في الشدة والرخاء فيما منحهم الله ونظرهم إلى ربهم فهو
حبهم وهيبتهم ورجاؤهم لا ينقص لذلك وأما غيرهم
فيبقوا مع نفوسهم في نسبة الأعمال إليها وطلب الحظ لها وعليها
فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا إلى أحوالهم فإذا وقعوا في زلة نقص
في ذلك رجاؤهم كما أنهم إذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم
وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالأسباب وحجبوا بها فهم بها عن رب
الأرباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف
منزلته ومقامه ولا يتعدى طوره فهذه من مقامات الخاصة من المقربين

إشارات إلى

وإنما هو من عادة أصحاب اليمين وقد جاءت هذه المعاني في مواضع من
كلام المؤلف وغيره ذكر الشيخ أبو عبد الرحمان
السلمي والحافظ أبو نعيم الأصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي
رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلامي
وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب فقلت
مجيبا له لو أن التوبة تطرق ببابي ما أذنت لها على أنها تخرجني من رضى
مولاي عني ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما
لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم أتخلف باقتراف
الذنوب والجرائم وإن كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي وإخلاصي
وصدقي وإن الله خلقني إنسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي إليه وهداني لدينه
الذي ارتضاه لنفسه فقال ومن يبتغ غير الإسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي أن
كنت من أعمالي من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي المعلولة لأن مقابلة
فضله وكرمه بأفعال الناس قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت وهذه
الحكاية وأمثالها إنما يتحقق بها من لا حقيقة عنده من طريق القوم ويفهم
معناها ولا يعتقده أو يسلمه ويعتقد في عين مقام التجريد وكأن
الحالتين موجودتان بطاعتهما الضر وحكم جليتي الله عبده ليعرف من يعطي
الطريقة أن يحكم مراده فيه إذ يحضر فيه إلا عن أضعف السادات الأولياء وفي ذلك
بعده من السداد يدعيها مقام التجريد من غير أن يستظهر عليها ويتوثق
منها ويزنها بالمعيار الذي جعلنا عليه ومع الوجود ذلك من لم يصح
مقام الفناء عن النفس فيترك حينئذ مشاهدة الله تعالى ويتعدى حدوده
ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من أبواب الزندقة والعياذ
بالله **إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية**

وإرادتك

وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية الأسباب هنا عبارة عما يتوصل به إلى الغرض
من نيل حظ الدنيا والتجريد عبارة عن عدم استعمال الأسباب لأجل ذلك
فمن أقامه الحق تعالى في الأسباب وأراد الخروج منها فذلك من شهوته
الخفية وإنما كانت خفية لأنه لم يقصد بذلك نيل حظ
عاجل وإنما قصد بذلك التقرب إلى الله تعالى بكونه على حالة هي أعلى
بزعمه لكنه جاهل بالأدب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من إقامته إياه
فيما أقامه فيه وتطلعه إلى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة
إقامته إياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وأن يحصل له ثمرته ويجتني
ذلك بل يجد عنده تشاغله بالأسباب سلامة دينه وقطع الطمع
من غيره وحسن نيته في صلة رحمه وإعانته بفضله على الغيرة لما من فوائد
الأعمال المتعلقة بالدين وإن أقامه الحق سبحانه في التجريد
وأراد الخروج منه إلى الأسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه
وكان من أقبح شهوته الجلية لأن التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه
خواص عباده من الموحدين فيرد إليه إذا أقامه
الحق تعالى مقام الخواص فلم يسقط عن رتبتهم إلى منازل أهل الانتقاص
قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يأنف
من مشاركة الأضداد في الأسباب فهو خسيس الهمة وعلامة
إقامته إياه في التجريد ما ذكرناه من العوائق ووجدان الثمرة ومن ثمرة
ذلك طيب وقت المتجرد وصفاؤه فلو وجد أراحته من ملابسة الخلق
وفراغ قلبه والهمة حالة للقلب وهي قوة إرادة وغلبة
انبعاث إلى نيل مقصود ما وتكون عالية إن تعلقت بمعالي الأمور
وسافلة إن تعلقت بأدانيها قال الشاعر

وإنما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع الله تعالى وإرادته هو خلاف ذلك ح ح

وقائلة لي علامك الهم * وأمرك ممتثل في الأمم
فقلت ذريني على حالتي * فإن الهموم بقدر الهمم
وقال آخر: إذا عطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

وما ذكرته من تعلق الإقامة في نفي الأسباب والتجريد هو شيء تقتضيه معا يقوله بعض هذا، وعلامة إقامة الحق في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم. ومنه ثم من رب التنوير هذه المسألة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال بإثر، وإنما رحمك الله أن يشار العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقر عندك ليطلب غير ما أقامك الله فيه فيتشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين فيقول لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار ولصفت منكم القلوب والأسرار فإن فلانا كذلك صنع وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به إنما صلاحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بالرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك قصد العدو فيه لأنه إنما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فلما تقطع بيانه وكذلك يأتي المتجردين فيقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الإيثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكونون منتظرا ما يفتح به عليكم منك إلى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب

بنصيبه

... الرزق ما كان يوما بيوم ... [illegible]

فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود القائم في سببه أحسن حالا منه لأن كل من سلك طريقا ثم رجع عنها إلا قصر وقصد إثم انعطف عنه بإبهام واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضى عن الله فيما هم فيه وأن يخرجهم من مختار الله تعالى لهم إلى مختارهم لأنفسهم وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه «وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا» فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق إنما يكون لا بإبهام والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب فإن الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة ثم عدت إليه ثم تركني السبب فلم أعد إليه ودخلت على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي أن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريقة شيئا فجاء إلي فقال يا سيدي أخرج مما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ثم قال الشيخ ونظر إلي هكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تعالى تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى

مشتغل

عليهم اهـ كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وإنما
أثبتناه بنصه على طوله لأنا نحتاج إليه في بيان مسائل التي ذكرها في هذا
الكتاب بنفسه فيما ناسبها فيها فنقلناه بلفظه ودون ذلك أن جميع مسائل
لا تكون هكذا: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار قلت
سوابق الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عندها
بعض الموجودات بإذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقو
فيقولون فلان له همة على أمر ما فانفعل له ذلك بإذن
الله وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الأشياء عنها إلا بالقضاء
والقدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها
ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تتعداها وهذه
الهمم قد تكون لأولياء الله كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا
ومكرا كما يكون للعائن والساحر وقد تكون ثبت أن العين حق وأن ذلك
السحر حق ومعنى ما ذكرناه وهو ظاهر أنه يجب أن يعتقد
أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده
عندها لا بها وكان المؤلف رحمه الله تعالى إنما أورد هذه
المسألة فيما يريد كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود
التدبير لا جدوى له ولا فائدة لأن الهمة الفاعلة إذا لم تبلغ
في خرق أسوار الأقدار شيئا كيف يغير في ذلك التدبير وما
لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يشتغل به ويتعب فيه ذوو
العقول ولذلك قال أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك
لا تقم به لنفسك تدبير الخلق أمور دنياهم على الوجه
الذي يقوله مذموم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به
عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحقوق

عبوديته

9

عبوديته ووظائف تكليفاته فقط ومن أن يقرر العبد لنفسه شؤونا
يكون عليها من أمور دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها
ما يليق بها من أحوال وأعمال ويتعب لذلك ويهتم لأجله وهذا تعب
عظيم استعجله لنفسه ولعله آخرا يقدره لا يقع فيخيب ظنه
ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية
ومنازعة القدر وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه
وقطع مواده وأسبابه قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا
التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشتهم وقال سيدي
أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إن كان ولا بد من التدبير فدبروا
أن لا تدبروا وهذه المسألة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته
والكلام فيها طويل عريض وإنما اقتصرنا فيها على هذا القدر
اليسير من التنبيه لأن المؤلف رحمه الله أفرد في هذا المعنى
كتابا سماه التنوير في إسقاط التدبير أحسن فيه غاية
الإحسان وفرغ الأمر فيه بحيث يستغنى به عما صنف في هذه الطريقة
وديوان تحصيله متعين على كل من يريد اجتهادك فيما
ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس
البصيرة منك الشيء المضمون للعبد
هو رزقه الذي يحصل به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا
أن الله تكفل بذلك ورفع العناء عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد
بالسعي فيه ولا الاهتمام له والشيء المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل
يتوصل به إلى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات
ومعنى كونه مطلوبا أنه موكل إلى اكتساب العبد له واجتهاده فيه

ومن إعانته له وكفه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى في
عباده قال الله تعالى في المعنى الأول الذي ضمنه للعبد وكأين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وقال في المعنى الثاني الذي طلب
منه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقد روي في بعض الآثار عن الله
تعالى عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين
ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما
خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض
يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب
والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور
والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال إبراهيم الخواص العلم
كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما كلفت فمن قام بهذا الأمر استكفيت ح
على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الأمر المطلوب
منه وترك الاهتمام بالأمر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق
نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الأمر فهو
مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر
القلب كما أن البصر ناظر العين وناظر القلب إنما ينظر إلى العاقبة
والعاقبة للمتقين والتقوى هي التي يجب على العبد أن يهتم فيها
ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله
تعالى بالاجتهاد أشعر بأن الطلب إلى الرزق بغير اجتهاد في الطلب
غير مقصود بالكلام وهو كذلك لأنه مباح ومأذون فيه فلا يدل
ذلك على أنه مما يصح صاحبه إلا أن يقترن به تقصير فيما أمر به
قال في التنوير في قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا

نسألك

نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان
شيء ضمنه لك الله فلا تتهمه وشيء طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل
بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ما ينتبه
لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له
إذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود إذا كان
سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الإيمان
وقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أي مضمون لك منها ما
يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها لقوله سبحانه
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل وبصيرة إن
اهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر
الآخرة حتى قال بعضهم إن الله ضمن لك الدنيا وطلب منك الآخرة
فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا **لَا يَكُنْ تَأَخُّرُ أَمَدِ الْعَطَاءِ**
مَعَ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ مُوجِبًا لِيَأْسِكَ فَهُوَ ضَمِنَ
لَكَ الْإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ لَا فِيمَا تَخْتَارُ لِنَفْسِكَ وَفِي الْوَقْتِ
الَّذِي يُرِيدُ لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي
تُرِيدُ حكم العبد أن لا يختار شيئا على
مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الأحوال له لأنه جاهل من كل وجه
فقد يكره الشيء وهو خير له ويحب الشيء وهو شر له قال الشيخ أبو
الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا
تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله وربك
يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على الشيخ أبي العباس المرسي رضي
الله عنه وهو به ألم فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي
فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله

بعافية يا سيدي فقال الشيخ أبو العباس وإنما سألت الله العافية
وقد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد سأل العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن
قطعت أبهري أبو بكر رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك
مات مسموما عمر رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك
مات مطعونا عثمان رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مذبوحا
علي رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مقتولا فإذا سألت العافية
فاسأله العافية من حيث يعلمها لك أنها عافية انتهى فعلى العبد
أن يسلم نفسه إلى مولاه ويعتقد أن الخير له في جميع ما به يتولاه
وأن غاية ذلك مراده وهواه فإذا دعا وطلب من مولاه شيئا
يرى أنه له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة قال الله العظيم
وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى وإذا سألك عبادي عني
فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان وعن جابر بن عبد
الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
من أحد يدعو بدعاء إلا أعطاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء
مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو إلا استجاب الله تعالى
له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءا أو حط من ذنوبه بقدرها
ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فإذا الإجابة المطلوبة حاصلة لكل
داع بخير حسبما ورد لو عدم الصرف إلا أن الإجابة أمرها إلى الله
تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء إجابة وعطاء
لمن فهم عن الله تعالى في ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا منعه
أو تأخر وإن ألح في دعائه وسؤاله وقد يكون تأخيره ذلك إلى

وقال عز من قائل

الآخرة

٨

الآخرة خير له وقد جاء في بعض الأخبار يبعث الله عبدا فيقول الله
تعالى له أمرتك برفع حوائجك إلي فيقول نعم وقد رفعتها إليك
فيقول الله تعالى ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه ولكن عجلت البعض في الدنيا
وما لم أعجله فهو مدخر لك عندي الآن حتى يقول ذلك العبد ليته
لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى النهي عن الاستعجال في قوله يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد
دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام
على فرعون فيما أخبر الله عنهما حيث قالا ربنا اطمس على أموالهم
واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ثم إن
الله أجاب دعاءهما في قوله سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فإنما كان بين قول
الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وبين هلاك فرعون أربعين سنة
قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه قوله فاستقيما أي على عدم
الاستعجال لما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين
يستعجلون الإجابة من الطمع وما فيه شيء فلا وحظا ما يحصل
له بسبب مداومته الدعاء محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب الملحين في الدعاء وقد
جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض حاجته
فيقول دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا أن من الناس من يؤخر الله له
نوال الحاجة لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا منصوصا
فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل إجابة دعائه قال أبو محمد
عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره

في إجابة الدعاء

راضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقض حاجته
فإني أكره أن أسمع صوته والأعمال لا تقصد لها انتهى وقد تكون الإجابة
معلقة بشرط ولا علم للداعي بها فتتأخر لعدم وقوع ذلك أو
بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار فإن الله تعالى إنما يجيب
المضطر إذا دعاه فرتب الإجابة على الاضطرار قال بعض العلماء فيه
إذا أراد الله تعالى أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار كلا يتحقق الاضطرار
العبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي إذا
رفع إلى الله تعالى يديه لم ير لنفسه عملا ولا حالا يتشبث بها ويقدم منها
يدي على كثرة التدرس الوصول إليه فكيف يتحقق ما ينبني عليه وفي المسألة
التي تليه بيان هذا تنبيه على هذا المعنى **لا يشككنك في الوعد**
عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا
في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك
الحق تعالى لا يخلف الميعاد فمن وعد من مولاه شيئا وإن كان معين الزمان
ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد
ربه ويجوز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط
استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره
ويتأدب مع ربه ويسكن إليه فيما وعد به ويطمئن إليه ولا يتشكك
في ذلك ولا يتهم لئلا اعتقاده فيه فمن كان على ذلك الوصف فهو عارف
بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة وذلك فعل العاقل **إذا فتح لك**
وجهة من التعرف فلا تبال معها وإن قل عملك فإنه ما فتحها
لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده
عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما
هو مورده عليك

مرتبة علي

الاضطرار

[illegible]

معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فإذا وجه الله تعالى
عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف له منها وأوجد سكينة
وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجليلة عليه فينبغي ألا يلتفت
بما يفوته في ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من الجزاء الجزيل
الأجر وليعلم أنه سلك به مسلك الخاصة المقربين المؤدي إلى حقائق
التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والأعمال التي
من شأنه أن يلتمس بها هي بالاكتساب وبجملته فلا تسلم من دخول
الآفات عليها والمطالبة بوجود الإخلاص فيها وقد لا يحصل
لعاملها من الثواب عند مناقشة الحساب وإن أحدهما من الأمر
ومثال ذلك ما يصاب به الإنسان من البلايا والشدائد التي تنغص
عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فإن مراده
أن يتمتع بغاية في دنياه بطيب العيش وناعم البال ويكون حاله
في طلب سعادة الآخرة حال المتقين المتورعين فلا
تخلو نفسه إلا بالأعمال الظاهرة التي لا تجد مؤنة عليه
فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة
ومراد الله تعالى منه أن يطهره من أخلاقه اللئيمة ويحول بينه
وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده إلى متسع
شهوده ولا سبيل له إلى هذا الوصول إلى هذا المقام على غاية
الكمال والتمام إلا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله
ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا ضد نسبة بينها
وبين الأعمال الظاهرة فإذا فهم هذا علم أن اختيار الله تعالى
له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لحظوظه
روي أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدي بلاء في

بدعائه بما احللته بالاجابة فيشكوا فقلت عبدي كيف ارحمك من
شيء به ارحمك وفي حديث اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن
فلم يشكني الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه ويستانف العمل وروى عن سعيد المقبري
قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت
عبدي المومن فلم يشك الى عواده اطلقته من عقالي وبدلته
لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استانف العمل قال
ابو عبد الله الشيخ ابن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت مرضا سالف
ايام فلما شفاني الله منها مثلت في نفسي ما ذكر الله تعالى لي من هذه
العلة فجعلت مقدار هذه المدة ومن عبادة الثقلين مقدار مدتها الى
ايام الصبر اختيار اصح عزمي وما في نفسي ونعت بصيرة ان يختار
اختيار الله تعالى لي اكثر ثوابا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العلة
التي دبرها لي ولا صوب فيها اذ كان فعله فشيئا — من فعله
بك لتجوابه ومن فعلك لتجوابه فلما رايت هذا تاذ وقع عيني عبادة
الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما انزله فصارت العلة عندي نعمة
وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامر عطاء فقلت
في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلاء على ايدي النفوس مع الخلق
وبهذا الذي انكشف لي كانوا يفرحون بالبلاء اذ هم في حظ من وصف النعمة
التي فيها العلم وصلت له الغبطة بها واثرها على عبادة الثقلين
والله اعلم فصل اذا اورد الله تعالى على العبد شيئا من البلايا
فليستشعر ما ذكرناه ولا يجعل نصب عينيه وليجدد تذكاره
على

١٥

على نفسه حتى يجعل له من الشكر والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل
عنه مرارته ويوجده حلاوته ان ياتي فيما يمكنه من اعمال البر واعتبر
جميع ما ذكرناه في هذه المسئلة بالحكاية التي ذكرها ابو العباس بن
العريف في كتاب مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة
قال حدثني فقيه كان بالمغرب يعرف بالدباغ قال رجل يدعى ابو
الخيار رحمه الله ونفعنا به ذكر انه اصله من صقلية وموطنه بغداد
سنة التسعين وهو في الزمن لم يعتقد مولاه وذلك منذ عرفته وهو
اختيار وقع في جسده الجذام ورائحة المسك توجد فيه على مسافة بعيدة
قال الفقيه حدثني رايته يمشي على العراء ثم رايت بعد ذلك
لا يستحي واذا هو ان فقلت له يا سيدي كان الله سبحانه لم
يجد للبلايا محلا من احد اليه حتى انزله بكم وانتم خاصة اوليائه فقال
فقال لي اسكت لا تقل كذلك انه لما اطلعنا على خزائن العطاء لم نجد
عند الله تعالى شيئا اشرف ولا اقرب اليه من البلاء يا فقيه الفناء ايه وكيف
بك لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء والاوتاد
في غار بارض طرسوس وجملة لحمه قد تناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا
وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله تعالى وشكره
على ما اعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد
ويستقبل القبلة على قدمه ليلة حتى يطلع الفجر اه وسياتي شيء من كلام
المولف رحمه الله في هذا المعنى والتعبير عليه والله ولي التوفيق
تنوعت اجناس الاحوال بتنوع واردات
الاحوال واردات الاحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف
الربانية والاسرار الروحانية وهي توجيهات الاحوال الحميدة فمنها
وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب انسا ومنها وارد يوجب قبضا

وعند ذلك يكون حاله في بلايه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به ويراه من حقوق شكره

ومن هذا الوارد ينقبض ببسط اليقين وذلك من مختلفات الاحوال ولما
كانت هذه الواردات متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه
الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تتبع الاحوال القلبية الباطنة
كما سيقوله المؤلف رحمه الله بعد هذا حسن الاعمال نتائج حسن
الاحوال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص**
فيها اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما من
كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون اعماله سالمة من الرياء
الجلي والخفي وقصد موافقة الهوى النفسي طالبا لما وعد الله تعالى به
المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهاربا مما اوعد به المخلطين من
اليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله
تعالى إياك نعبد اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وهذا
مقام من اخراج الخلق عن نظره في اعمال البر مع بقاء رؤية النفس
في النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان منهم من المقربين
فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود
انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة
ويعبر عن هذا المقام بالصدق والذي يقع مقام الاخلاص
وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقيق بمعنى
قوله تعالى وإياك نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا
ولا حولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله وعمل الثاني هو العمل
بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب الفرحة
والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة
والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام باحكام
الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارة للامام ابي القاسم
القشيري

القشيري رضي الله عنه وبها يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما
في المشرب والدلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك
يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها اهلية وجود
القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها درجة الاعتبار وتكون
اذ ذاك اشباحا بلا ارواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ
صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة ثم
ذكر المؤلف رحمه الله الحالة التي اذا كان عليها العبد كان مخلصا بالتعيين
فقال **ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن**
لا يتم نتاجه
لا شيء اضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من اعظم حظوظ
له فهو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقصد تمحيص
نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار
مناقض العبودية التي هو مطالب بها قال ابراهيم بن
ادهم رضي الله عنه ما صدق الله من احب الشهرة وقال بعضهم
طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل وقال ايوب السختياني
رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وقال
رجل لبشر بن الحارث رضي الله عنهما اوصني فقال اخمل ذكرك واطب
مطعمك وقال حوشب رضي الله عنه ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا
ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل
يحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني ان الله
عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل
ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء
مما يقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه اذا ما سقوط الناس من

النظر اليهم او سقوط المنزلة عن الخلق ايضا ولا يستتب للمريد
جميع ما ذكرناه من ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند منزلته بنفسه
وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الاغراض التي تشغله
عن استقصاء قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم من الحق فتدعو نفسه
الى ذلك دعاء خفيا فيتصنع عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له في احيانه
عند قوله وربما دخل الرياء عليه بحيث لا ينظر الخلق اليه وبقدر تحققه
بهذا الوصف يتحقق له صفاء الاخلاص حتى يتخلص بذلك من رؤيتها خلا
صدا وبهذا يتبين لك اهلاك جميع الناس الا من رحم الله تعالى
وان الاخلاص غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشياء في الوجود قيل
لسهل بن عبد الله اي شيء اشد على النفس قال الاخلاص اذ ليس
لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اعز شيء في
الدنيا الاخلاص وكم اجتهدت في اسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون
اخر قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ولا خلاص عند المخلصين
اخراج الخلق عن معاملة الخالق واول الخلق النفس ولا خلاص عند المحبين
الا يعمل عملا لاجل النفس ولا يدخل عليه مطالعة العوض وتشوف الى حظ
طبع ولا اخلاص عند الموقنين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وترك
السكون والاستراحة اليهم في الاحوال فاذا اخذ العبد نفسه
والزمها التواضع والذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد
لضعته الما ولا لذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص
قلبه وينال من الله اعلى درجات الخصوصية ويحصل على اوفر نصيب من المحبة
الحقيقية قال الشيخ ابو طالب ومتى خرج عن نفسه والتفت
عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع
كونه فهذا لا يدع الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح
منهم

منهم لاجل فقد العز والمنزلة في نفسه فصار ذلك الذلة والضعة
صفة له فاذا رفعه الله زمنه ارفع الزيادة المزيلة والكساحة للكساحة هما اضعفاه
له كما في المنابع وربما عجز وابعد العدو النظر الى نفسه بهذه ولا يتغلب
له من بعد ولا مع نفسه وملك عليها وفهمها بعزه وقد افلح
محبوب وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب في قال ومن كان حاله
مع الله تعالى الذل طلبه واستعمله كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا
وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراقه حاله كما ان المتعزز ان فارق
العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيشه وبساطه فلا بد للمريد
من اسقاط جاهه واخفاء ذكره وفراره عن موضع اشتهاره وتقلبه مذموما
مبغوضا حتى تسقط من اعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه
فجاء اليه فلما علم بذلك استدعى بقلا وجعل يأكله اكلا عنيفا بمرأى
من الملك فلما راه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه
ذاما له وشبيه بما في هذه القصة ما تقدم عند قوله
ربما دخل الرياء عليك بحيث لا ينظر الخلق اليك فقد بالغ ائمة الصوفية
رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا
في ازالته حيلة منها ما في ظاهر الشرع وراوا ذلك جائزا لهم ان يفعلوه ويا
مروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس
مفاخر ثياب بعض الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث
يرى ويظن به السرقة فلما راه الناس اخذوه وضربوه ونزعوا
الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ
وجد قلبه ومن ذلك ما يروى عن ابي يزيد رضي الله عنه في قصة
المشاهد الذي امره بحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطاهم
من ذلك لمن يصفعه من الصبيان ليوافق على تلك الحالة في الاسواق والمحافل

منه مشهور وقد ذكر مصاد الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وعنده قال
بعض الصوفية واذا جاز لمن عز له الاقتصار على حلال لا يسيغه الا بجرعة من الخمر اذا
لم يجد غيرها مع ان الخمر محرمة مقطوع بها ولا يجوز الاجتزاء جانبها فالا يجوز مثل
هذا اذا تعين اولى اذ هو تقية لك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم
العبد هذه الطريق من الرياضة امات نفسه واحيى قلبه وقرب من حضرة ربه
واجتنى من ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وذلك الثمرة اخلاق الايمان
التي تكيفت بها نفسه وصارت صفة ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي
اثبتها الله تعالى في قلوب الفتوة فمن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
قال عيسى عليه السلام يا معاشر الحواريين كما يثبت الحبة في الطين
الا رض فكذلك الحكمة لا تثبت الا في قلب مثل الارض قلت
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول والشهرة احاديث كثيرة
منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن
عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع
وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت
منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين
تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان يسيرا من الرياء شرك
وان من عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفياء
الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم
يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى
ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه
اذ

في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
او ليس الفقير رضي الله عنه
ومسلم ... قال ...
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ع ع ع

اذ قال ليطلعن عليكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو هريرة
وطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه
وسلم فاقمت في المسجد حتى خرج الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن
كذلك اذ اقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي
بالشهادة فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة وانا نجد منه
ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان
قلت افلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله قال
وانى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد ان يجعله من ملوك الجنة يا ابا هريرة
ان للجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود اصبح من ملوك الجنة وسادتهم
يا ابا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء
الاخفياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم
من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا
المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا
لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا
يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذاك اويس القرني قالوا
واويس القرني قال اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة
آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده
واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه
له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في اهل الارض معروف في السماء
لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه
اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس
قف فاشفع فيشفعه الله في مثل ربيعة ومضر وفي حديث اخر ان رجلا

ما اقل

اخفاء ... الفقراء ... بالسيئة ... ع ع ع

الثنا على الله سبحانه وسلم قال ـــــ بعض من اعتنى رجل يقال له أويس
القرني يشفع في مثل عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعد
فليطلبه من السالم [illegible] عن علامته فقال ـــــ هو رجل أصهب
أشهل في وطهره بياض لوامع وكان له بياض فدعا الله عز وجل فأذهبه
عنه إلا مقدار الدينار أو الدرهم لا يؤبه له مجهول في أهل الأرض معروف في أهل
السماء ومن ـــــ فبلغ من شدة خموله ونهاية ضعفه أن الناس
كانوا يسخرون منه ويستهزئون به ويؤذونه ويدعون من جملة أهلية الغداء أو التلصص
ينسبونه إلى ذلك ـــــ روي أنه دخل المنبر بعض فقهاء أهل الكوفة
ثوبين وكان في المسجد فانقطع عن مجلسه لأجل الثوبين ودهما عليه بعد أن أخذ
هما أحد وقال ـــــ إن الناس يقولون من أين لك هذان الثوبان تراهم خدع
عليهما وكان في ذلك الوقت مجالس الجهلاء ويظهر للفاخر وذلك قبل
أن جربه بعد القدر وجلالة الحكم وتنوه به عمر رضي الله عنه على المنبر
فلما رآه الناس عن [illegible] هربوا عنه واستخفى منهم وليس أمر عليهم
برعاية الإبل وغير ذلك قيل ـــــ لعمر رضي الله عنه لما سأل عنه هو عند
ما بينا أنه فر ـــــ الغيبة هو وعلي رضي الله عنهما وسلاه
من هو في هذا الصحراء أي إبل [illegible] وحتى ذكر [illegible] جلسا عنه إلا عن [illegible] العرا ح
قال ـــــ عبد الله [illegible] عن المسجد الذي [illegible] بما مر افتتح أن يجيب
على ذلك فلما أخبراه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهما جاءه بذلك
قال لهما عسى أن يكون في ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لم يجد بدا من أن يريهما
وذلك والله أعلم ليريهما رؤية يقين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه
في إخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه ولولا ذلك لكان يتقلل لهما كما جعل
في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه وجعل
ذلك

ذلك الموضع ميعاد بيني وبينه فقال ـــــ له يا أمير المؤمنين لا ميعاد
بيني وبينك ولا أعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ـــــ ثم رجع إلى الإبل إلى
أعرابها وخلا عن الرعاية وكذا [illegible] رضي الله عنه لما لقيه
بشاطئ الفرات وفي [illegible] فقال ـــــ له رحمك الله حدثنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحفظه عنك لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون قال ح
محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فاقرأ علينا من الكلام الذي كان يحدث به رسول الله
حتى وقت الاجتماع به أبى وامتنع وقال له لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا
تسأل عني انطلق أنت ها هنا حتى أنطلق أنا ها هنا ثم بعد ذلك اجتهد
في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ـــــ عجيب أمره أن حفظ
الله تعالى له هذا الحال من التخفي والتستر وأظهر له بعد موته مع ما أظهر
بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال ـــــ عبد الله بن سلمة غزونا
وفاة [illegible] زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني رضي الله
عنه فلما رجعنا مرض [illegible] فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن
وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض
لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر قلت ـــــ والحكايات
والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر من أن يأتي عليها اختصار وقد أورد
كثيرا منها الأئمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا
من الله حسن التوفيق والتأييد وقد نبه ـــــ المؤلف رحمه الله ها هنا بالأدب
ولا رغوة النبات والنتاج من عليه الاستعدادات ما نفع القلب شيء مثل
مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة مداواة أمراض القلب واجبة
على المريد وأمراضه أن تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من مخالفته للأضداد
ووقوعه مع المخالفة وانقياده إلى هوى النفس وأنسه بعالم الحس ومداواة
هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وأبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس

المصوبة بالفكرة في العزلة تنفير الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن
من حوله الآفات عليه في صحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي يتعرض
لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة
من مسارقة الطباع الرديئة والأخلاق الدنيئة ويستفيد إصابة الحصانة
دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن التي النفس نزاعة
تولعها وتسارعها إلى الخوض في أمثال هذا فواجب على المعتزل أن يكف لسانه
عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه
ويصون سمعه عن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما اشتملت عليه من الأحوال التي
ذكرناها وليحصر ضبط الاشتغال في خلوته ومع ذلك تدبر من منازلته التطلع لذلك
والبحث عنه وتجنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن التسرع
في ذكر الغيبة والوقيعة والتعرض في الطعن على الناس والقدح
فيهم فإن ذلك مما يكدر صفاء القلب ويوجب الارتكاب مساخط الرب جل وعلا في
المعصية التي تصدر من اللسان ولا يجتمع معه مكان الثقة ولينتكر الأكل
من قبح في ذلك من هذا أشار من المنتسبين إلى الدين فضلا عن غيرهم كما قال
بعضهم أنجى من نفع ... إلى من لا تعرفه وفي الخبر مثل جليس السوء كمثل
الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الأخبار أن الله
تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك أخوانا
وكل أخ أو صاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام فقال يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانيا قال
إلهي خليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخوانا
وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك
مني وما اشتهر قول بعض أصحاب إبراهيم بن مسعود الإيادي
في هذا المعنى . فجنب أبناء جنسك واخش منهم . كما تخشى الضراغم والسبنتا

نخ النبي

وذا الطبع

.. وذا الطبع وزاد إليهم حذرا .. وكن كالسامري إذ المستهل ..
وبالحري أن يجتمع عقده ويقوى في ذات الله عزمه فإن المخالطة فإنها
تفرق الهموم وتضعف العزم في سبيل الجهد ليعقد في خلوته على خصال من
الخير يعملها فإذا خرج إلى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع إلى بيته
وقد انحلت العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا
الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها
وفي الخبر المروي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي
ضعف اليقين وضعف اليقين إنما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أهل
البطالة والقسوة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وأضر
ما ابتلي به العبد ... وأشده لحجبه وإبعاده ضعف
يقينه بما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل
صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الأبدال المنقطعين
إلى الله تعالى كيف الطريق إلى التحقيق والوصول إلى الحق فقال لا تنظر
إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة
قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران وحسرة
ووحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن
إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا العلة تنظر
إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن إلى الهلكى
وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع الله عز وجل هيهات هذا ما لا يكون
أبدا وبالحري لمن أراد أن يكف بصره عن النظر إلى زينة الدنيا وزهرتها ونعيمها
خاطره إلى الاستحسان لما ذمه الله تعالى من ذلك فيها فتمتنع بذلك النفس
عن التطلع إليها والاستشراف إليها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى
لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية

عقدة ح

ولا ينبغي لأحد أن يستحقر هذه الأشياء التي هي الأواني عظيمة كثيرة في القلب ومن
أعتق الناس بهما بإذن الله تعالى منها، قال الإمام أبو القاسم القشيري
رضي الله عنه أرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية
لم ينظروا إلى المستحسنات، قال وهذا أصل
كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضة اهـ وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه
إياك وفضول النظر فإنها تؤدي إلى فضول الشهوة، وقال
بعض الأولياء من كثرت لحظاته دامت حسراته، وقالوا إن العين سبب الجنى
ومن أرسل طرفه أفشى بها حتفه وإن النظر إلى الأشياء بالبصر يوجب تفرقة
القلب، وقد أنشد في هذا المعنى

وأنك إن أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبالعزلة أيضا ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الإياس وذلك من أعظم
فوائد العزلة عند العقلاء الأكياس ولا تتم له فائدة العزلة إلا باشتغال
القلب بالله وهي المقصودة هاهنا وكأن العزلة مقدمة لها ومعينة
عليها وذلك بعد تحصيل ما يحتاج إليه من علوم الشرع الظاهرة
والقيام بحق إقامة آدابه باطنه وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالي
رضي الله عنه جملة شافية في كتاب العزلة من الإحياء فلتنظر هناك، وقد
جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم
وكان عيسى بن مريم عليه السلام يقول طوبى لمن كان قيله تذكرا وصمته تفكرا
ونظره عبرة، إن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، وقال
بعض الأحبار من أراد أن يبلغ شرف الآخرة فليكثر التفكر، وقيل لأم الدرداء
ما كان أفضل عمل أبي الدرداء فقالت التفكر وهو نظر يصل بها إلى معرفة
حقائق الأشياء ويتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها

أيضا

أيضا على قبائح آفات النفس ومكائد العدو وغرور الدنيا ويقع في حبها وحب الجميل
في التحرز عنها والطهارة منها، وقال الحسن رضي الله عنه
الفكرة مرآة تريك حسنتك من سيئتك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى
وجلاله وإبداعه وآياته وصنعه ونعمه ويطلع بها أيضا على الآيات ونهاية
الجلية والخفية فيستعد لكل أحواله ... هيئته يزول بها مرض قلبه ويستقيم
بسببها على طاعة ربه، قلت والعزلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى
تتضمن وجود الخلوة وهي أحد الأركان الأربعة التي هي أساس المريدين
ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت إذ لا يتأتى مع كثرة الناس إلا بالخلوة
والعزلة إذا انضاف إليها الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل
على كيفية الدواء وسلوك طريقة الأولياء والأبدال، قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير كله في هذه الأربعة خصال وبها
صار الأبدال أبدالا إخماص البطون والصمت والعزلة والسهر، وقال الشاعر في نظمه

يا من يريد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها ولست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ... سادات تنزاهم من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله
وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله
وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق
الأسرار وهو لم يتب من هفواته

الجمع بين الضدين في محل واحد ممتنع كالحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الأشياء
التي ذكرها المؤلف رحمه الله أضدادا لا تجتمع فإن إشراق القلب بنور الإيمان
واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه إلى الأغيار والأكوان واعتماده

طيبها والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال وحبس
الهوى والشهوات ودخول حضرة القدس الممتنعة لطهارة الداخل المقدسة
وان هذه مضاد لما هو عليه من حبائل غفلاته التي مقتضاها الاقصاء
والابعاد وجهود هذه الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على
المعاصي والشهوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم
الله ومما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم
يعلم قال يحيى بن معين عن عبد الله النقيب احمد ابن حنبل واحمد
ابن ابي الحواري فقال احمد ابن حنبل لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية
سمعتها من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد
سبحان الله بلا عجب فقال احمد وطولها يا بلا عجب فقال احمد ابن ابي الحواري
سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الاثام جالت في
الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها
عالم علما فقام احمد ابن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت
في الاسلام حكاية اعجب الي منها ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل
بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال احمد ابن ابي الحواري صدقت
يا احمد وصدق شيخك وكيف لا يكون هذه الاشياء اضدادا عجبه المولف
رحمه الله ممن يعتقد صحة اجتماعها ومن يطمع في نيل مراتب الرجال
مع كونه على قدم الخلل الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه
فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد
اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس
المعارف بسحب الاثار
العدم ظلمة والوجود نور والكون في النظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار
تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلفت احوال الناس
هاهنا

ها هنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون
فهذا اتى بعد الظلمات محجوب بسحب عن انوار الكائنات ومنهم من لم
يحجب بالاكوان عن المكون ومنهم من شاهد نعم ابدا وهم فرق فمنهم
من شاهد المكون قبل الاكوان وهم الاولياء وهم الذين يستدلون بالمكون
على الاثار ومنهم من شاهد المكون بعد الاكوان وهم الذين يستدلون
بالاثار على المكون ومنهم من شاهده مع الاكوان والحجة
عليهما اما معنى الاتصال فهو شهود الحق مع الاكوان واما معنى الانفصال فهو
شهوده عند الاكوان هذه الوجوه المذكورة ليست من ملتقى
مكانية لا زمان ولا مكان من جهة المعولين مع تنزيهه جهة الاحد
والنبي فلا يرجع عن الحق ما هو عليه من كمال الوحدانية فلا تكون
على ما كان نظره فهذا منزلة اهل كثير من الناس فتكلموا بكلمات من
عبارات منكرة في الشرع فكفروا بذلك ومن عرف ما اعتقد
على التنزيه وبطلان التشبيه وتحقق قوله تعالى ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير ما حجبك عن الحق وجود موجود معه اذ لا شيء معه ولكن حجبك
عنه توهم موجود معه انتهت مقالة العارف من المحققين وانما
وانما هو مواجيد على ما هو عليه فاما هنا من الله سوى الله عدم محض
من حيث ذاته لا يوجد موجود مع الله سبحانه اذ لو وجب بذلك لكان
ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال
الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصدق بيت قالته الشعراء
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
قال بعض العارفين من عرف الحق شهده في كل شيء واغنى العارف حقه بحقوق
العبودية واحاطة الديمومية وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي

والاتصال والانفصال المذكوران
ليسا على ما يتوهم من معانيهما
بل انهما ابهام جملة الاكوان
ح ح ح

رضي الله عنه انا النقطة التي تحت الباء وكان يقال في معناه ذلك
عن الله ليل على البرهان ونستدل به على الخلق خارج الوجود شيء ومعنى
الواحد الحق فلا اثر له ولا كان ولا بد فتراهم في العبارة الخلق
ان فتستضح لم تجد معه شيئا وقال الشيخ ابو ارضي الله عنه الششتري
في الشهود مرة فيما التنزل به مشربه فيخفى في الدنيا بالله
من هو كلمة ومعنى ووجد وهي شيء في الصعيد وصار صفة لموصل
ولكن يسلم ان يعرفك فيما التنزه فتوهاذه قال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه
فما صنعوا الشيخ احسن اهل المعرفة لا وجود له بوجوده ولا شهد له لا يوجد
في غيره لثبوت احديته ولا صفة له لانه لا يبقى الا ما وجد ولو انكشف
حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان واشرق نور الايقان فغطى
وجود الاكوان ومعنى الكلام هو مبسوط فيه فقد الحجاب قال
بعضهم لو كلفت ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده
معه وقال الشيخ الششتري

مذ عرفت الاله لم ار غيرا ** وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ** وانا اليوم واصل مجموع

وقال اخر

الله قل وذر الوجود وما حوى ** ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته ** عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها ** لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته ** فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ** شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ** في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنع جماعة من الصوفية في ذلك وتغنوا بالكلام في هذا المعنى
وتغنوا
نضا

نضا ولو شئنا اوكل عبر على حسب هيئته ومقتضى حاله هو المعنى خير ان ا
تقرر هذا ووجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بالشهوات الدنيا
وتوددهم الاخرة وحجبهم عن هذا ما تتهم العلوية فكل ذلك من كان غيار
العدم فيه والوجود انما هو صفة علمنا بذلك وجود فقدهم اذ من اهمه لا بد
في الانفصال ولو ان رفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم وارواحهم وبقوا
بربهم وكانوا عبادا لله حقا وقد سئل ابو سعيد بن الاعرابي
رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء ان تبدو العظمة والاجلال على العبد
فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار فيفنيه
عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء
حتى انه يغرق في التعظيم حتى عقله اه قال الشيخ وللفناء على
ثلاثة اوجه فناء في الافعال وهو ان لا فاعل الا الله وفناء في الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة
الا الله وفناء في الذات انه لا موجود على الاطلاق الا الله وانشد في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ** فكان فناؤه عين البقاء

وقال الشيخ من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز
ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد
وصل وانشد وا

من ابصر الخلق كالسراب ** فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود تراه رتقا ** فلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه ** هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه ** ولا مشير الى الخطاب

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء فما اشرق عليه
من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور ان يحجبه

شيء، وهو الذي ظهر لكل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء، كيف يتصور
أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء، حتى لا يستند إليه
المستند لرؤية الأشياء كما قال بعضهم، إذ انتزع كمامها فرح
أنفسهم كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر لكل شيء، فالنور
ذلك الشيء، ولذلك كان ساجد الكون ساجدا، وكان أهلا لظهور
ذلك كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء،
لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أظهر
من كل شيء، لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال كيف يتصور أن يحجبه
شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء، إذ كل ما سواه عدم لا وجود له
على التحقيق كيف يتصور أن يحجبه شيء، ولولاه ما كان وجود كل شيء،
فهي الحقيقة ... على الأشياء كما قال الغزالي ألم تر كيف بربك
أنه على كل شيء شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لأن العدم ظلمة
والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان أم كيف يثبت الحادث مع
من له وصف القدم لأن الباطل لا يثبت مع ظهور
الحق كما قال [redacted] تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقا وقوله عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا هو زاهق قال [redacted] وهذا الفصل من قوله الكون كله
ظلمة إلى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الإبداع وأتى فيه بما تقر به
الأعين وتلذ به الأسماع فإنه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور
والبطون ... كل ... ونور وأراك فيه الحق ... وبرهان ...
من مقام الإيمان إلى ... الإحسان ... وأوجز ... وأوضح
عبارة وأتم ... ولطف إشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا
الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عن ذلك خيرا ... رضي
الله

كيف [يتصور] أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء، إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه
صح

كيف يتصور أن يحجبه وهو أقرب إليك من كل شيء، لشهود إحاطته بك ووجود قيوميته لذاتك
صح

الله عنه ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما
أظهره الله فيه إذ الأقدار السابقة والأحوال الكائنة منها المشروع
فليلتزم حسن الأدب في اختياره لها وعليه الرضا بها ... أنه الله
تعالى مع ما ... وليعلم أنها مرادة الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي
ينقله عنها قال [redacted] أبو عبد الله رضي الله عنه منذ أربعين سنة
ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته وقد تقدم
من حكاية المؤلف رحمه الله مع شيخه أبي العباس حين عزم على التجريد
وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به شيخه
رضي الله عنه وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فإن تعلم
تلك الحال أو تشوف للانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما
أظهره الله تعالى فيه فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الأدب مع حضرة مولاه
عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو
عندهم من أعظم ذنوب الخاصة الواجب على العبد الاستسلام لحكم الله
تعالى في ذلك الوقت وهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى
وهذا أحد معاني لفظ الوقت في أصل اصطلاحهم قال [redacted]
الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادف
... من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم ويقولون فلان بحكم
الوقت أي أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختياره وهذا
فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر واقتضاء بحق شرع إذ التضييع
لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما
يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف
أي كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب
وقيل [redacted] السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن

فاشتمرا عطى كذلك الوقت من استحسن لحكمه نجى ومن عارضه بتزد
الرضى انتكس وتردى وانشد

وكالسيف ان جئته من حسنه [illegible]
وعدوان خالفته خشنان [illegible]
ومن ساعده الوقت فالوقت له [illegible]
ومن شاء خاعده الوقت فالوقت له مقته [illegible]

هذا كلام الامام ابي العباس وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب
وانما اعلم ان الثقة بالاعمال مع وجود الاعراض من رعونات النفوس
اذا كان العبد متلبسا باعمال من احوال الدنيا موكل لم يعهما اشتغل بها عن
عن العمل بالاعمال الصالحة واخلاق الطيبة فراغ من ذلك الاشتغال به
فالارادة التي عنه عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضد من الحماقة
وحماقته من جهة ايثاره الدنيا على الاخرة وليس هذا شان
عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل
تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى والكيس من يبادر بالعمل
الى اوان فراغه ولا يجد مهلة ولا يستظهر الوقت فيه لذلك
وان ذا اشتغل الا ان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض
كما قيل

ما قضى احد منها لبانته
وما انتهى ارب الا الى ارب

والثالث ان تقي عنه شغلها من الذي بوسعه مع تبدل عن مد وضعها فيتبين
ان جيد من عوه الاستغال وروية احوالها العوقة في جميع الاحوال
لا يستحق في جنبه جميع الطلبات الواجب عليه لما جرى الله عز وجل
عليه في حال الذكر وان يشتهر فرصة الامكان قبل مفاجاة الموت
وحلول الفوت وان يتوكل على الله في تيسر هذا الامر وصرف الموانع
الحايلة

الحليلة وفيها وما احسن قول ابن الجار في هذا المعنى

عد عن غد فوراء تستجيب واجتنب غدا وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وبح طار ماء الوقت فالسعد جعش وايا ك عن فهو اخطر علة
وشمر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما الغرة عن ما الهمة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

تقدم

لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج

عما اذا اقام العبد على حالة ما تواجع غرضه كانت متعلقة
بالدين او بالدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم
وقته فيجد في غير ما اظهره الشرع فيه مع الشرط المتقدم وهو ان لا
يكون في ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهي ينبغي له ايضا الا يعارض حكم الوقت
ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها فهذا من التحكم على
الله تعالى ولا خفي له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده تعالى
اختياره هو وحينئذ يستغني عن الخروج منها حتى الله تعالى وارادته فيستعمله
استعمالا محبوبا عنده مع بقايه على حالته التي هو عليها فيكون في ذلك
مراد الله تعالى بمراده لنفسه وهو خير له من مراده مما اختاره قال
في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت لو اني تركت الاسباب وا
عطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من الاسباب قال
فبينما انا كنت في السجن لم تكن تأتي كل يوم رغيفين فطال ذلك عليه حتى
ضجر ثم فكر ثم يوما في امره فقيل له انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم
تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفر من ذلك ورجع الى الله
تعالى فاذا باب السجن يقرع فتخلص وخرج قال فيه فهذا ادب يحفظ
ايها المؤمن ولا تطلب ان يخرجك من امر ويدخلك فيما سواه الخ
انت فيه معا لما اقامك لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى

كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله فيه ح

أن لا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتقنع الراحة فيه فرب تارك
تارك سببا لوجود لخلل في نسبة الثروة والراحة فتعب وقوبل بوجود التعب
عقوبة لوجود اختيار انتهى كلامه في التنوير وهو كالتفسير الذي ذكرناه هنا
فلذلك أوردته ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها
إنما نحن فتنة فلا تكفر السائر إلى الله تعالى قد يتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له
أسرار فإن أرادت همته أن تقف عند ما كشف لها من ذلك لاعتقاد أنه وصل
إلى الغاية والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذي تطلب أمامك
فجد في السير ولا تقف وإن تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها وجمالها الذي حسنها
وجملها نادته هواتف حقائقها الباطنة إنما نحن فتنة فلا تكفر وغض بصيرتك عن ذلك
ولا تلتفت إليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه ما دام له همة وإرادة فإنه
فإنه يجب عليه أن ينهض ولو قد حيل عنه الوصف وما أحسن قول الشيخ
أبي الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما … سوى الله [illegible]
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه … حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى … عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب … فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا
لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هنا من الترقي في الأحوال وطموح النفس
في

في رؤية الكمال بمراتب ما ذكره هاهنا فيصلح أن نأتي به من نيسير الفوائد وتسهيل
المقاصد قال اعلم أنك إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى
فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله تعالى بإشارة صادقة وأعمال
ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن
يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه
فإن أتيت بهاتين الخصلتين الإعراض عن الناس والزهد في الدنيا فأقم مع
الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية ولا استغفار والإنابة والخضوع للأحكام
بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الأربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتي وما
تذر وتراقب قلبك ألا يرى في المملكة شيئا لغيره فإن أتيت بهذا ناديتك
هواتف الحق من أنوار العز إنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك التعلق مع
الله بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فهنالك يدركك
من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة
بالرعاية لقلبك ألا يشهد ذلك منك فتعود إلى ما خرجت عنه
وإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق التوبة منه بدأت
والإنابة منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك
تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة والاستغفار
طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه فإن صحت بهذه الصفة
أعني الاستغفار والإنابة نادتك من قريب اخضع لأحكامي ودع عنك
منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك وإنما هي ربوبية تولت
عبودية وكن عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فمتى رأيت منك قدرة
وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت
من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين طلبك منه اتهام
له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من

غيره لوجود بعدك منه الطلب الذي يتصور من العبد على اربعة
اوجه كلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه
من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال له
لما طلب منه شيئا وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء
منه اذ لو استحيى منه لانقبض عن ان يطلب من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه
ان لا يبغي معه غيره ولا يوثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو
كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند اهل
الحق من العارفين معلول لان الطلب تعلق بالحظوظ وبالخلوظ الا ما كان
من الطلب على وجه التعبد والتادب واتباع الامر واظهار الفاقة
والفقر فحينئذ تزول عنه العلة ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك
يمضيه الانفاس ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس
يبديه او منظر به لقدر من اقدار الحق تعالى ينفذه فيه كائنا ما كان فاذا كانت
جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها احكام الله تعالى واقداره وكان
جميع ذلك يقتضي منه حقا لازما من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب
بذلك ومسئول عنه وعن انفاسه التي هي امانة الحق عنده لم يبق
له اذ ذاك مجال التصدي لامر دنياه ولا على المتابعة لشهوته وهواه
لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما
هو مقيمك فيه اذا اقام الله عبده في سبب من الاسباب فالواجب عليه
ان يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه
فان ذلك ميله الى الوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيضيع فيه
وتوجيهه ما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك
المريد قال ابو حفص رضي الله عنه الفقير الصادق الذي يكون في كل
وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش

منه

منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله اذا اجنك الليل فلا تامل النهار
حتى تسلم ليلتك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا
اصبحت فكذلك وسئل سهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير
وقتا غير الوقت الذي هو فيه لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت
في هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد فيها على
مقتضى ما سبق وليجزى جزاءه في الدار الاخرة قال الله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وجعل الاحد فيها انما هو مع الحق بشهوات نفسه
او موافقتها وذلك لا محالة يستند الى وجود محبوب او مكروه يفعل
او يترك من ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع
الاكدار بسبب ذلك وايضا فاعراض الدنيا امور وهمية انقادت لمتاع
الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضعفها وقلتها وسرعة نفضها
ونفلتها فيقع ذلك بينهم فتتكدر عيشتهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم
على ما قيل

ارى اشقياء الناس لا يسامونها ... على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب فانها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

فلا تستغرب وقوع امثال هذا فانه ما ظهر الا ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها وواجب نعتها من وجه ان الاكدار التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا
ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة لاهلها في اللوز ينج وسيلة
التنبيه على الحكمة في هذا عنه قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا
لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق
انه قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك
قال الراحة في الدنيا وفي معناه انشدوا

تطلب الراحة في دار العناء / خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس الشكوى في دار الفناء الفنا وطالع كالتفرج على مزابل الحماة وعدا بالعقارب وقال ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها من سرور فهو ربح وقال الحمد التليسي ابن شبع ما يرد على من العمل كلمة فتلقى اهلا فهو ان الدار دار هم وكانه وفتنة وان الحال كلها شيء واحد ومن حكمه ان يتلقاني بكل ما احب فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل وكلما الا هو الا وافق قال ابو تراب يا ايها الناس انتم تحبون ثلاثة اشياء وليس هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون الروح وهي لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد ان لا يوطن على الراحة في الدنيا نفسه ولا يرى منها الا ما يقتضي حرجا وانصبا ويعمل على قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه الدنيا سجن المومن فتوطين المومن على الصبر في دنياه يهون عليه ما يلقاه فيجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل

يمثل ذو اللب في نفسه / شدايده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه / لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى اخر / فصير اخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه / وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان / ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه / لعلمه الصبر عند البلا

فالتعلق القرية ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضاء فمن فرغ ان شطه الله تعالى بانجلاء الامر ويستوجب من الله

تعالى

الجنيد في

تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق وقال ابن عباس افضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها / فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وان طالت مطالبة / اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته / ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتده من اعظم عدده ووسايله فهو مصيب في رايه منجح في سعيه ومن جزع من المصايب واضطرب عند وقوع النوايب كان ما يهلل به حتى ضرا ويكسبه وزرا ويفوته اجرا وناهيك به خسرانا كما قيل

واذا اتتك مصيبة فاصبر لها / عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

ومما قيل

وعوضك اجر ليس يفيد ولا تكن / بغير كآبة واجر يذهب

ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك

من اتى حوائجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل في امره عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وانواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله تعالى في هذه المسألة عام فيتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي تتعلق امرها بالخير واشرف تلك المطالب

فقد اخرج احمد بن ابي الحواري قال قال ابو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام الدنيا في واعلم ان ما ذكرناه من الحسن هو تمام على كل جميلة وصلة لكل فايدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله عز وجل وتمت كلمات ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قايل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما ان استطعت ان تعمل لله بالرضا واليقين فاعمل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر رجلا لكان كريما مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو

رجع

واكثرها قواطع ومعاطب اخذ المريد في سلوك سبيل التوجه فهو
التعلق بالله تعالى احق واهم بوجه جميع جزئياته الرجوع الى الله
تعالى اولا واجب فلا جرم كان من الراي السديد والامر الاكيد ان
يقصد منه لكل فعل او يعرض عقيب هذه المسئلة بمزيد من القول
فلذلك قال من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات
المريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله
فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة
به كما ذكرناه افلح وانجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى وامن
عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع
الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بان ذهب
من تعلقه بالحول وهو ان اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث
جاء قال بعض العلماء من ظن انه يصل الى الله بغير الله قطع
به ومن استعان على العبادة الا بالله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد
السالك ان يجعل معتمده امره الاستعانة بالله تعالى على ما هو
بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير منه ولا قليل
فهذا هو اساس السلوك الذي ينبني عليه قواعده من اشرقت
بدايته اشرقت نهايته هذه عبارة اخرى عن معنى
ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته
واقتدائه بهم واشراق نهايته الوصول الى حضرته والحصول في
حضرته ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما انطوى عليه باطنه
من المزية المعنوية لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاثر يستدل
على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره فيما اسند عن

الله تعالى

الله تعالى القلوب والاسرار للباطن فظهر اثار ذلك على الجوارح
فيستدل بمشاهد العدل على غائبه من اراد محبته والوصلة به ومما
اشتهر هذا من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص حسن ادب الظاهر
عنوان الادب الباطني فانه صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب
هذا لخشعت جوارحه وقيل الجوارح ... ابو حفص العراقي جاء الينا الجنيد
في اصحاب ابي حفص وقوفا على راسه ياتمرون امره لا يخطي احد
منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن
حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن قلت وواضح ذلك ان يعرف
المريد نفسه ويكون من امرها على بصيرة ولا ينخدع بما اشتهر من صلاح
سريرته دون علامتها من ادعائه عليه معرفة الله تعالى ومحبته ومن
ظهر على ظاهره شيء من ذلك وهو الالتذاذ بذكره والمسارعة الى امتثال
امره والاغتباط بوجوده والاستيحاش عند فقد شهوده والنفور
من القواطع الشاغلة عنه والاضطراب عن الوسائط المبعدة منه
فهو كذاب في دعواه وهذه حالة المشركين كما اخبر قال ابو طالب
المكي وقد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوبهم واذا ذكر غيره في شيء فرحوا وجعل من
نعوت المؤمنين انهم اذا ذكر التوحيد وافراده عظموا ذلك وكرهوه
واذا اشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال الله تعالى اذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا
هم يستبشرون وقال تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط اي خلط بذكره
ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشرك في حكمه
لانه العلي في علمه الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعظمته

متخذ الهه هواه فان كان مع صوفيا
باضداد هذه الخصال متبعا لظاهره
عن جادة الاعتدال بهوى دعواه
الكذب

والتعبير له من عباده فهي دليل هذا الكلام وهو ما قدمه من الخطاب
إن المومنين إذا ذكروا الله في التوحيد والانفراد في شيء انشرحت
صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوجهوا
وإذا ذكرت الوسائط والأسباب التي دونه تكدرها ذلك واشمأزت
قلوبهم وهذه علامة محققة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك
لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب أو وجود خفي الشرك
في السر كشف عن مرماه قلت وهذه المسألة التي تضمنها
كلام الشيخ أبي طالب رضي الله عنه من أعظم المسائل وأصدق
الصدوق وكذب الكاذب من أوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا
التنبيه على استعمال ذكر الفوائد العجيبة والحرص على جمع
المقاصد الغريبة لغرابة الدين في هذا الزمان الرذل واستيلاء
الفترة والجهل على المنتسبين إلى العلم والفضل حسن منا إيراد
هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالمثال على العمل بالعمل
ليقتفي ذلك من يريد سماعه ولينتهج منه منهج من يريد في دينه وقلبه
أوضح المسالك وأجمع على هذا الأسلوب كل كلام لم يظهر لي معناه بغية
بغتة ولم يقع في نظري منه ما يستند لتسليم ذلك من الاعتراض و
نعلو همته عما تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك
بمنه وكرمه شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل
به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال
عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه و
متى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه بهذا وارد في أول نشأتهم
ومبدأ خلقتهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل
وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا

ثم

ثم إن الله تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم
من أهله لولايته وما ذاك إلا لحصول العلم الذي تقتضيه فضله وجعل
لهم السمع والأبصار والأفئدة التي تحصل لهم الفهم وتوجيه
لهم إلى الرجوع إلى أنوار الاستبصار إلى ذلك بقوله لعلكم تشكرون جعلهم فهم
مرادين ومريدين وإن شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما
مراد ومجذوب على التحقيق فالأمر تعالى الله يجتبي إليه من يشاء
ويهدي إليه من ينيب فالمريدون السالكون إلى الله تعالى في حال
سلوكهم محجوبون عن رؤيتهم برؤية الأغيار من الأذكار والأكوان ظاهرة
لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم
يستدلون بها عليه في حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم
الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف إليهم فعرفوه فلما عرفوه على هذا
الوجه احتجبت الأغيار عندهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها
في حال تدليهم فهذا هو حال المريد بغير شك ولا ما بينهما إلا بعد
ما بينهما ود لكان المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو الوجود
الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الأمر المشار به
إلى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به إلى العزيز المحقق
وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لأنه استدل
بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالأمر الخفي على
الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب وعدم
احتظائه بالوصول والاقتراب وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه
بالأشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هي التي توصل
إليه فهذا حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه
عجبت لمن يغيب عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل مشهد

فان الطالب المتزود اعلى ان الادلة انما تحتاج لطالب الحق لا لمن يشهده
لان الشاهد غني بوضوح المشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة
باعتبار توصيل الوسايل اليها كسبية ثم تعود الى انها انتهت
ضرورية واذا كان من الكاينات ما هو غني بوجوده عن ان يقام
دليل فالمكون اولى باستغنائه عن الدليل منه ثم قال ومن اعجب العجب ان
تكون الكاينات موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى
توصل اليه او هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي
المظهرة له وان كانت الكاينات موصلة اليه فليس لها ذلك
من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل
اليه غير الاهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن
وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب لينفق ذو سعة
من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه الاشارة
مليحة لان حال البصير فيهما الواصلون الى الله تعالى انهم خرجوا من سجن رؤية الا
غيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فا
نفقوا من سعتهم وتحققوا بعلو هممهم كيف شاوا والسالكون اليه مقدور
عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون في مضيق الخيالات والرسوم
فينفقون مما اتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق اهتدى
الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة فالا
ولون للانوار وهولاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون انوار التوجه هو ما منحهم الله المتعلق
من اعمالهم ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة ما من
الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود
حاجتهم اليها لاجل الوصول الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود

غنايهم

غنايهم عنها بربهم فهم لله لا لشيء دونه ودون هذا المعنى
عنه قوله انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت
الاكوان معك قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد
بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى خوض ولعب
وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله تعالى اخبارا عنهم وكنا نخوض
مع الخايضين وقال تعالى بل هم في خوض يلعبون تشوفك الى ما بطن فيك
من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب يكن المريد ان
تشوفه الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث
عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويرغب
عن الاعتنا بالغيب ليحصل له صفاء اعمال الدين اللازمات ونقاء احواله
من الكدورات وينفي عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه مواد
الشرور وقد حكى الغزالي في طريق معرفة النفس اربعة اوجه احدها
ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والافات فيحكمه في نفسه ويتبع
اشارته فيما يشير به عليه والثاني ان يطلب صديقا صدوقا فيجعله
رقيبا على احواله واعماله لينبهه على ما ينبغي عليه من مذموم خلاله والثالث
ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدايه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم
عند ثلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس فيطلع
بذلك على مساوي نفسه فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو
عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في
نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيرها فيطالب نفسه حينئذ بالتطهير
منها والتنزه عنها اه واما تطلعه الى الغيوب المحجوبة عنه من
خبايا القدر ولطايف العبر فانه حظ نفسه وحق يجب عليه للحق تعالى ان يطلب
عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما اظهره له منها لا يسكن اليه ولا يلتفت

عيوب ع

هذه تلخيص ما ذكره ثم قال [illegible] كلها
حيل من فقد شيخا عالما مرشدا بصيرا
بعيوب النفس مشفقا ناصحا
في الدين [illegible] نفسه
مشتغلا [illegible] عباد الله
ناصحا لهم [illegible] الطبيب
[illegible] فلا يخلو عن مرض
[illegible] الهلاك الابدي [illegible]
[illegible] اه

عليه مما في ذلك من المصائب الفادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالب الاستقامة
ولا تكن طالب الكرامة فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة
ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا
المعنى الذي ذكرناه ما روي في الإسرائيليات عن وهب بن منبه أن رجلا
من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن
يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت
على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل
الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا
الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر
فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا و
الشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين
فهذه الحكاية تبين أن الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها
لدى كل عـــارف نبيل عظيم قوله ليس الحق ليس بمحجوب
وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان
له ساتر لكان لوجوده حاصرا وكل حاصر لشيء فهو له قاهر
وهو القاهر فوق عباده الحجـــــاب
على الحق محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره
هنـــا وهو بين لا شك فيه والحجاب
على العبد واجب من حيث ذاته إذ هو عدم
محض في القدم ولا نسبة
بين العدم وبين الوجود جل أن يكون في اللـه
ربع هـ[illegible] الحجاب عمن شاء
كيف شاء متى شاء لمن شاء [illegible] ليس كمثله شيء وهذا مما لا يخفى ه

اخرج عن أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا

أوصاف البشرية المتعلقة بأمور الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد
وجوارحه فينقسم إلى قسمين ما وافق الأمر ويسمى طاعة والثاني
ما خالفه ويسمى معصية وأما الثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه
فينقسم أيضا إلى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى إيمانا وعلما
والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر
العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه
يسمى في الاصطلاح تصوفا وكلا الأمرين مهما لكنه في العبد
ظاهره تابع لباطنه بالضرورة لأن القلب هو الملك والجوارح
جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمرها به
وينهاها عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح
الجسد كله ألا وهي القلب وصلاح القلب إنما يكون بطهارته عن
الصفات المذمومة كلها في نفسها وجليلها ودقيقها وهي الصفات
المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار إليها المؤلف
رحمه الله تعالى وهي التي تسمى مع أضدادها بسمة التخلق والتصوف
وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد
والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع على هذه الأصول فروع
من العداوة والبغضاء والتكاسل للتغافل والاشتغال
بالفضول وترك الثقة بصحة الرزق وخوف سقوط
المنزلة فهي تكون بالحقد والشح والبخل وطول الأمل
والكبر والبطر والغل والغش والحسد هنا

وهي أي الأعمال الباطنة ما يتعلق بباطنه
وقلبه وهي العقود وأما ما يتعلق
بظاهره وجوارحه ح

وإذا فسدت فسد الجسد كله
ح ح

ولا غالب الا الله

والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجهل
والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة
وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار
للنفس الى امثالها الذي هي من صفات النفس الامارة عليه قوله الى
غير ذلك من النعوت التي هي من الاخلاق البهيمية وفروعها
وغير ذلك فانما هو رؤية النفس والرضى عنها وتعظيم
قدرها وتربيع امرها بما في الامور كبر من كبر وتلاقي من خلق
وعصا من عصا وبها خلع من خلع ربقة العبودية لربه عز
وجل من خلع حسبما ذكره المولف رحمه الله بآثرها في او شان
الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من انواع الرذائل
ظاهر السجايا والعادات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال
الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ولا يكون في ذلك المريد الا
حتى يبدل بصفات صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشيطان
صفات المومنين وبطبائع البهائم اوصاف الروحانيين من الاذكار
والعلوم فعندها يكون في المقرب والطريق الى ذلك ان
يملك نفسه فيملكها ويتسخر له ويتسلط عليها فاذا
اردت ان تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع
لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت
عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها
عن معتادها ومالوفها فان تمسكها انطلقت بك وان اردت
ان تقوى عليها فاضعفها بقطع اسبابها وحسم موادها
والا قويت عليك فصرعتك انتهى قال في الكـ

الوظايف

بعد ذلك المريد على الوجه الذي رسموه له والنزوع الى الذي امر له
بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات
التي تزينه بين العباد، ويدل بظاهره قرب ربه غاية الصراحة
فتظهر عليه حينئذ اثار حقيقة من التواضع لله والخشوع
بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له
والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في عبوديته والرضا
بقضائه ورؤية الفضل عليه في منعه وعطائه
فيما بين خلقه بالرافة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر
والعفو والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والشفقة والعطف
والثقة والوقار والسخاء والجود والحلم والبذل وشمول النصيحة
وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاقهم والاعمال التي بها ينال
العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة وهاذا
ان المقصود هاهنا الذي يعبر عنهما بعض الصوفية رضي الله
عنهم بالتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي بالصفات
المحمودة ويعبرون عنها ايضا بالتزكية والتحلية وهذا
حقيقة السلوك الذي يعبر به ايضا وسنا في الاشارة الى
كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السائرين صح للمريد هاذا السفر وانقلب منه
الى افضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل
فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى
في القرب من ربه الى اشرف محل فيكون هنالك
قربه ومثواه فيكون حينئذ كما قال
المولف رحمه الله تعالى ، المحب لا ناظر الا لك

فيقاديه

فناداه بعد ذلك العبد فيقول له يا عبدي فيجيب حينئذ مولاه باسم
الرب فيكون حاله في اجابته متحققا في نسبته ويكون ايضا من
حضرة قربه لوجود بعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها
والفرار منها فاذا اقام العبد في مقام العبودية وحاز مرتبة القربة
من حضرة الربوبية كان محفوظا من استعمال الاوزار ميسرة عليه اعمال
الاخيار متحليا في الظاهر والباطن باشرف الحلي مختصا بفضيلة التشبه
بالملا الاعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من
قائل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العبودية
انالتهم الخصوصية وذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم
من الصفوة الصوفية الا ان هؤلاء محفوظون والملائكة معصومون على ما
اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما
ما قاله الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم
بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هفوات وقد تكون له في
الفترة زلة ولكن لا يكون له اصرار اولئك الذين يتوبون من قريب وقد وصف
الله عباده المخصوصين بالتطهير والتخصيص بصفات في ايات كريمة جليلة عظيمة
واعد على ذلك خيرات جسيمة قال تعالى وعباد الرحمان الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله حسنت
مستقرا ومقاما واليك النظر فيما قاله جماعة من اهل التفسير وما
استنبطه منها ارباب الاشارات والتذكير وقال ما سوى هؤلاء
فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا حظوظهم الدنياوية
قال الله عز وجل لو انصف الخلق لكفى بقوله وقال النبي

فيقول له لبيك يا رب

اوليائه

لهم

النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد
الدرهم الحديث وهذا والله اعلم من عبيد العبد في المعنى بقوله عز وجل
ان كل من في السموات والارض الا ءاتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا
وكلهم ءاتيه يوم القيامة فردا ... انه لا يتيسر لهذا السلوك الى حضرة
ملك الملوك الا من وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت
عليه من مخازي الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما
لها مسيئا ظنه بها عما منها والوقوع في المعاصي والتي توجب
من حبه لك بشعر ونحو هنا المؤلف رحمه الله على هذا بقوله

الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها اصل
الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب
القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب تغطية عيوبها
ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل: وعين الرضا عن كل
عيب كليلة: وعدم الرضى عن النفس على عكس هذا الوصف لا التهمة ٤
فذلك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهر من الطاعات
والانقياد كما قيل في الشطر الاخر ولكن عين السخط تبدي
المساويا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها
ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة
وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ
دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكر
ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب
ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة

ذلك

ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها
ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها
للطوارق العوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره
ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة
ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان
مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امر به وهذا هو
معنى الطاعة لله عز وجل فاذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا
لا شيء اوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم
الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصح له حاله
ويعلو مقامه ورد عن الكبار والايمة الاخيار من الكلمات
المتضمنة لعيب النفوس والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها
اكثر من ان يحصى قال ابو حفص رضي الله عنه من لم يتهم
نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها
في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها
فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
ايضا رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر
اليها نظرة السخط واعمالي تدل على ذلك الجنيد رضي الله
عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك
وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما رضيت عن نفسي طرفة
عين عن سري السقطي رضي الله عنه انه قال اني لانظر
الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه
من العقوبة ايضا رضي الله عنه من الناس ناس لو مات نصف

نصف أعمالهم ما أزجر النصف الآخر وما أحسن ما قاله منهم الترغيب فيها جماعة من
العلماء الصالحين من المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى
الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه جزءا صغيرا في غاية
… في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد
الذي قبله الإيمان وأبو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا
سماه النصائح جمع فيه من غرائب النفس وخفي عيوبها وغرورها وشرورها
جملة شافية كافية ونبه فيه على دسائس … ما كان
عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفحص
والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم … والمحافظة على
تطهير الأسرار والقلوب … رحمه الله … الذي نوب — محفزات
… الأعمال وأبو حامد الغزالي فإنه فصل في كتابه واعتمد فيه
ذكره بلفظه وتهذيب خطابه وبعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله
قال للجاهل بسعة علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه
الله حبر الأمة في علم المعاملات وله السبق على جميع الباحثين
عن عيوب النفوس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن — كان
يحكى على وجهه ذكره وقد أدركنا في زماننا علماء وعبادا
يخبرون أن … الحاج أبو العباس بن عاشر
رحمة الله عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك
الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظن سمعته يقول إنه — لا يجهل بها فيه لا ولي أو كلاما هذا معناه فليتفقد المريد ؟؟
ينبغي أن يقوي مطالعته ويحرص على العمل بما تضمنه مستعينا
بالله تعالى وسائلا منه توفيقا وأشد النصح لمولاه في مراعاة
اصطلاح باطنه والقيام على قلبه في جميع مواطنه وليجعل في جملة
مطالعته كتب التصوف ومؤلفات أهله بالتآلف والتعرف بمعالك
تقوى

تقوى أنوار إيمانه ويقينه وتنتفي عنه العزة في عمله بظاهره
في … ولا يفتخر على غيره … الأمراض العيب وما تستعجم به نفسه
من مكابدة التعب والأين وتشغل نفسه بما يعبر عليه
في وجه مفضوحة ويوجب له الانكسار والتواضع وهو
ما ركب الناس عليه البيع وحادوا به عن سنن الفوز حتى تطرق
لهم بسببه لكن من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما أداهم إلى
الهلاك والشقاء وأعقبهم التيه في قلوبهم إلى يوم القيامة وسجل
عليهم بالكذب في دعواهم أنهم فلاحون بعلمهم رضا مولاهم ما يأتي
وإياه القصد استعنت … حيا وكفى بالأحبة لمن تنازعه فقال
المؤلف رحمه الله
فاي
بأن المحاسبة الصحيحة إنما هي الزيادة في الحال وعلى النقصان فيها
حسبما بإزاء الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا
يدلك على الله مقاله بصحبة من يرضى عن نفسه وإن كان عالما
شر محض لا فائدة فيها لأن علمه غير نافع وجهله الذي أوجب
رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكان إذا لم يكن هناك العلم الذي يرتبه
عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده من لم يرض عن
نفسه وإن كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لأن جهله
غير ضار وعلمه الذي أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية
النفع وكان إذا حصل له هذا العلم لا جهل عنده
ه
صح

لشعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم
وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم
وشهدوا ربهم قريبا منهم بالعلم والإحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا
أنفسهم عدما في وجود ربهم والمحققون بنور الحق شهدوا الحق ولم
يشاهدوا معه سواه

[illegible]

اللازم فيها هنا أمور ومهمة للوجود لها على التفصيل
والمفصل إن ذلك للأشياء مع ثبوت أحدية فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن
فما أثر موصول وما ثم باين بذا جاء برهان العيان فما أرى بعيني إلا عينه
إذا أحببتني وتسليمة في كلام المؤلف رحمه الله الأكوان ثابتة بإثباته
وممحوة بأحدية ذاته وقال رضي الله عنه

الهمة العلية ثابتة [illegible] والكريم لا تتخطاه الآمال

من رفع حوائجه إلى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله
تعالى قال الجنيد رضي الله عنه الكريم الذي لا يحوجك إلى مسألته
وقال الحارث المحاسبي رضي الله عنه الكريم الذي لا يبالي من أعطاه
وقيل الكريم الذي ... وقيل المغيث رجاء المؤملين وأجمع العلماء أن
معنى الكريم ما قيل الكريم الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى
زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي لمن أعطى ولا كم أعطى وإذا رفعت
حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع
من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فإذا كانت هذه
الصفات لا يستحقها إلا الله تعالى فينبغي أن لا تتخطاه آمال المؤملين
إلى غيره كما قال بعضهم ... رحمه الله ...
... مع الحق ... بها وجها ...
بها وجهت ... الأرض ... لا يبالي

ولا يهمل

[illegible]

إذا أورد الله تعالى عليك حاجة وأنزل بك نازلة
فاعلم أنه لا رافع لها سواه إذ يستحيل أن يرفع غيره ما كان
هو له واضعا لثبوت توحيده بأفعاله على سواه وإذ هو غالب
على أمره لا غالب له ويستحيل أيضا أن يرفعها عنك من لا يستطيع
أن يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن إهمال
لطفك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد
على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه
وهو الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال عطاؤه وفضله دائمين فلا تعتمد
إلا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء في كل نفس وحين وأوان
وزمان وقال عطاء الخراساني رضي الله عنه لقيت وهب بن منبه
في الطريق فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز
قال أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود أما وعزتي وجلالي وعظمتي
لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده
السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت
له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من
عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات
من يده وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي بأي واد هلك وقال
محمد بن الحسين كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان إلى جانبي
رجل فقلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت له ما كنيتك فقال
أبو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتي فقلت

ومن توسل إليه بمعارفه نزل قال ابن زيد فقلت إلهي لا يسعفك بحاجتك
ولا تنجح طلبتك ولا يبلغك أملك فلقد قرأت في بعض الكتب المنزلة
أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي
في علو مكاني لأقطعن أمل كل مؤمل لغيري باليأس ولأكسونه ثوب
المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه من وصلي أيؤمل غيري
في النوائب والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجو غيري ويطرق بالفكر أبواب
غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني
من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه
فقطعت رجاءه مني أم من ذا الذي قرع بابي فلم أفتحه له جعلت آمال خلقي
بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري وجعلت رجاءهم مدخورا لهم عندي
فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم
أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته
نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني فما لي أراه بآماله معرضا
عني وما لي أراه لاهيا إلى سواي أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته
منه فلم يسألني رده وسأل غيري أفتراني أبدأ بالعطية قبل المسألة ثم
أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبادي أليس الدنيا والآخرة
لي أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس إلي محل
الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت لأهل
سماواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أمل
الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك
أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني
ووثب على محارمي ولم يستحي مني قال رحمه الله أول هذا الحديث
على ... في ذلك والسلام لا أكتب حتى ... قلت والأصل الذي ينبغي

عليه

عليه بعد السمعي هو تحقيق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى
لأجل ذلك أخبر المؤلف رحمه الله في ذكره بأثره فقال
إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل
عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا
قلت حسن الظن بالله
تعالى أحد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة
فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات
العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من تسبيغ النعم وشمول
الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك الاختلاف من الانقلاب
والتغيير أحدهما ... في الآخر لأن أرباب المقام الأول لما تحققوا
في المعرفة بالله تعالى واختصوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت
نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة في جانب الحق ... وأرباب
المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم إلى الأفعال وهي متلونة عليهم بكل
حال وعندهم وقوع بعض ما لا يلائمهم منها فيفزع وبما تضعف عن تحمل
مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء
الظن وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع فيبقى العبد
عند ذلك مشاهدا لمعنى قوله عز وجل وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وما تشتهيه ... وليس ... على الغالب قال
أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه حسن الظن عبارة
عن قطع الوهم أن يكون أو لا يكون لأن الوهم ...
وهو لو قلت ... أعطيت ... الوهم ...
وذلك الاشتغال بالأخوة إلى الشيطان والنفس جنس واحد
انتهى قلت وحسن الظن يطلب من العبد في أمر دنياه
وفي أمر آخرته أما أمر دنياه فبأن يكون واثقا

بالله تعالى في حال المنافع والعوارض التي من غير كد ولا سعي
فيها او بسعي خفيف مأذون فيه ومأجور عليه ويخفف
لا يعوقه في ذلك شيء من مرض والانقطاع فيوجب له ذلك سكونا
وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما
امر الآخرة فبان يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة وتوفية
اجوره عليها في دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك الصبر والمسارعة
لامتثال الامر والتكثير من اعمال البر فيوجد في ذلك حلاوة واغتباطا ولذاذة
ونشاطا وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه اوثق الرجاء رجاء العبد
ربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن
الظن بالله تعالى التي ينبغي للعبد الا يغفل فيها اوقات
الشدائد والمحن وحلول المصائب في الاهل والمال والبدن لكي
لا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع والتسخط وبقية هذا المعنى تر
في كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه
عن قدره فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواطن حسن الظن بالله
تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله تعالى وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه من
استطاع منكم الا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى
فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم وكانه قال تعالى فيما يرويه عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن
بي ما شاء قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود
يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه
الله تعالى ذلك لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن
فقد اعطاه ما يظنه لان الذي حسن ظنه به هو الذي اراد ان

يحقق

يحقق له ما ظنه وقد روي عن ابي النضر حيان قال خرجت اريد
عيادة ابن الاسود فلقيت واثلة ابن الاسقع وهو يريد عيادته
قال فدخلنا عليه وهو في حال ثقيل فلما راى واثلة بسط يده وجعل
يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش فاخذ يزيد ابن الاسود
بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة اسألك
عن شيء فتخبرني قال ما تسألني عن شيء الا اخبرتك به
قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن
قال فابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي فان ظن خيرا
وان ظن شرا وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن
الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن
المومنين به وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة
الله تعالى الى غير هذا من الاخبار والآثار في الرجاء وحسن الظن بالله
وسعة رحمته اكثر من ان تحصى ومظان استقصائها ما ابرز في قوة
في هذا الفصل فمن اراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب
الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء فقد بين رحمه الله المحال
التي بمنازلتها يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله
تعالى وهي محركات العبد بباب الله وتعلق قلبه بوعده الجميل
واشار الى ان ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الامال لا
ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والانبساط

التي تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق ان يتعجب منه كل ذي لب فقال

هرب العبد من مولاه لاقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك تنبيه من عمى قلبه وجهله بربه لانه استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واثر الفانية التي لا بقاء لها على الباقية التي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي على الفانية ولفعل ما فعل سحرة فرعون لما امنوا بربهم اذ جعلوا ما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض ثم قالوا والله خير وابقى فلما ولاء استنار قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان

العمل على طلب الجزاء والدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال وتشوف في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في ان فعل لها نفقة وان تنال بسعيها موهبة وطاعة كلها من الاكوان والاكوان كلها منقصة وينبغي كونها اعتبار وان كان بعضها انوار وتفضيل جمال الرحمن مبالغة في تفسيح حال العاملين عن رؤية الاغيار وتلطف في علاج الى حضرة الاحباب يشير الى الواصل القطار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى

تعلموا ان الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون [illegible] اعدائك اذ تراك وبما بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على اي حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكافي عن مشاهدة التوحيد التام جعلنا الله من اهله بمنه وكرمه وفضله

وجه تنبيه المؤلف في ذلك الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله اعلم قوله في القسم الثالث فهجرته الى ما هاجر اليه اي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله فهذا من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي اي لا صديق له غيري وكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثالث بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها لا بقيد ما كانت وان كانت كما هو طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهى عنه

عنه وهو مشار به غير مصرح فيكون المريد على الهمة والتنبه
حتى لا يكون له التفات الى غيره ولا ركون البتة ولقد احسن الشاعر في
قوله وكل ما خلق السوى يخلو مستغرق في همتي كي تستقر في معرفتي فقال
رجل لابي يزيد رضي الله عنه اوصني فقال لسائله ان اعطاك من العرش
الى الثرى فقل له لا اياك اريد وقال ابو سليمان الداراني رضي الله
عنه تحيرت بين ركعتين وخطر لي خطرة وبي الاختيار ركعتين لا خير في
الخير ما ليس بحظ وفي الركعتين حرب وقال الشبلي رضي الله عنه الحظ
ركعة ولوي في قوله كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ لتكون في كل
شيء به لا بنفسك وقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهره انعاما
واكراما فان في باطنه بلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ
وقال رضي الله عنه

تكلم ها هنا في الصحبة وهي اصل كبير من اصول
القوم وفيها منافع وفوائد استمر عليها شانهم في مجالسهم وقد تنبه
وقد نبه المؤلف رحمه الله على فائدة تكلم في قوله لا تصحب
من لا ينهضك ولا يدلك على الله مقاله بانتهاض الحال ودلالة
المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة
ها هنا هو ان تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن
المخلوقين لا يلتفت في حوائجه الا الى الله ولا يتوكل في امره الا
على الله قد سقط الناس من عينه ولا يرى منهم ضرا ولا نفعا
وسقطت نفسه من عينه فلا يشتغل بحظ لها معجلا ولا يتنقص
لها حظا ويكون في اعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع
من غير تفريط ولا افراط فهذه صحبة العارفين الموحدين
فصحبة من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله موقوفة

الغزالية

الغزالية مجموعة في الطريقة فالبت لكل فائدة في الصحبة وفي قبول وفيه
لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء
فمن تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب ان يكون جامعا
لتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر
وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يفوق صاحبه به فقط
بحيث يكون اعلى منه حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن بهذا
الوصف وكان شانه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له
فائدة في صحبته بل ربما ازداد به شرا لان خلطته تدعوه الى التصنع
له والتزين ويؤدي به ذلك الى كبائر معاصي القلوب وهو اشر عليه من
معاصي الجوارح بكثير قال ابو يوسف ابن الحسين الرازي رضي
الله عنه لان القى بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذرة من
التصنع فيدخل عليه بذلك النقص في حاله من حيث
رجا الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس
الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك
وعليك وانت عنده سواء وقال بعضهم كن مع
ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين
كيف شئت وقيل لبعض الصالحين ان
فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الي
واحب ان اعرفه فجاءه وكلمه فهو علي ان القى الشيطان
مائة مرة ولا القاه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك فقال
اخشى ان اتزين له ويتزين لي فقال ابو طالب
المكي رضي الله عنه وكانت هذه الطريقة من
الصوفية لا يصطحبون الا على استواء [illegible]

معان لا يرجح بعضها على بعض ولا يكون فيها الا الاعتراض
من بعض على بعض ان اكل صاحبه الدهر كله لم يفضل له صوم
وان صام الدهر كله لم يفضل له صاحبه افطره وان شاء ليلته
كله صاحبه نوم بعض وان صلى الليل كله لم يفضل له فهو بعض
وتستوي احوال عنده فلا مزية لاجل صيامه وقيامه ولا
نقصان لاجل افطاره ونومه فلا والحال كان يرى عنده بالافضل
ونقص بترك العمل بالفرق اسلم للدين وابعد للعمل ايضا
من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومثلا
بان يرى حاله التي عرف به وان يظهر احسن ما يحسن
عند الناس منها وان يجتلب ما يوجب المدح منهم
ويجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا اصحب من العمل معه هذا
فلبس على طريق الصادقين ولا بقية المخلصين فمجانبة
هؤلاء الناس اصلح للقلوب واسلم للدين وفيها كثرة امثالهم
فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان عنده
ابواب الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وخسران راس المال
والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه
من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما
وقعوا وهلك فيما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول الاتواخ من
الناس من يتغير عليك في ثلاث مع عند غضبه ورضاه وعند
طمعه وهواه لان هذه الصفات تتغير لها الطباع لد قول
الضرر منها على النفس ومفتح الانقطاع وقال في موضع اخر ومن كان ناظرا
في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة اعماله او وافر علمه اكمل احواله فالعلم على
جهله فهذه الطريق التي تتبع الى التحقيق لانها قول وانما العمل على

حقائق القلوب لانها

مايليه

موجب

القلوب لانها ثابتة بالاصول بما افترق الى جهلها نفي
معرفة الآخرة دخل عليه النقص له والتصنع عنده لتعلو
منزلته ويجلس عنده اكثر فيدخله في ذلك الشرك ويخرجه
الشرك عن حقيقة التوحيد بمنزل تعلمه بعد ثبوتها ويسقط
من غير مولاه فلا يتولاه لان النقص فيه تلات بحب الثناء والمدح
واشارات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ
من اتباع الناس عليه واضرهم له ويصير احدهما بلاء على صاحبه
فليفارقه حينئذ لانه اجاهل فلا يصحب لانه يجد النقصان بصحبته
وتدخل الآفات بمفارقته ولينفرد بنفسه ويصدق في حالته
عاليته كانت او دنيته وضيعة كانت او رفيعة من غير مقاربة
احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل
على اولوية صاحب الكتب لهذا المعنى الذي ذكرناه في
التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبه من
قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين
في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى بخصوصية وقال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة اصناف
من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة
الجاهلين وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه قلت
لذي النون المصري رضي الله عنه من اصحب فقال من لا تكتم
شيئا يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضي الله عنه
اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن
عندهم كبير موضع يعظمونك به استثارة الى ان العجب

بالعمل منفين في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله عنه اشس
الاصل فيا من اخرجك الى المغارات والحال انه احق ان الله
تعلق بالمريد خيرا وفعل الحال هو فيه ومنعه صحبة الفقراء
وقال رضي الله عنه كتبه الى الاعتذار وقال العزة تشر الاصل فر
ليوسف ابن الحسين الرازي رضي الله عنه احب من الاخوان كل
مواتي وجي تغضض الطرف عن عثراتي يوافقني في كل امر احبه
ويحفظني حيا وبعد وفاتي فمن لي بهذا ليت اني وجدته
فقاسمته مالي من الحسنات والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية
هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب لهم من حيث انهم هم
المنسوبون الى الله بجهة العلم لانهم خواص حقائق التوحيد
والمعرفة بخصائص اسرار هم فيها احد سواهم وسريان ذلك
من الصاحب الى المصحوب غرائب الدلال والمطلوب فقد قيل
من تحقق بحالة لم تخل حاضروه منها فمن جلس في كان العطار يجد
بعضا يجد من الرائحة الطيبة هكذا في الحضور والمجالسة فما
ظنك بالصحبة والمؤانسة وقد وصف بعض العلماء فقال
الصوفي من لا يعرف في الدارين غير الله ولا يشهد مع الله
سواه لانه فقد تحقق له كل شيء ولا يسخر هو لشيء وتسلط
على كل شيء ولا يسلط عليه شيء ويأخذ النصيب من كل شيء
ولا يأخذ النصيب منه شيء ويصفو به كدر كل شيء ولا
يكدر صفوه شيء فهو تشغله واحد عن كل شيء وعجزه واحد من
كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها
وما اشرف حال من اتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا
الله بهم

نفعنا الله بهم ورزقنا من فنون المجاهدات وانواع المكاسب
من بركاتهم وفي صحبة امثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد
ما لا يحصل له لغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكاسب بالحالات
حتى يبلغ من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم
لا فهم قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه ما نحن الا صنع
بالكيمياء والله لقد صحبت اقواما لعبوا حتى على الشجرة اليابسة
فيسكن اليها فتثمر رطبا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال
ما لا بالكيمياء وقال رضي الله عنه ما اسرار الاولياء والابدال
من خرق الى غاية الاحتى بلغوا واهل امثالنا ما ذا تقوله كان
نفيشهم وقال الابدال رضي الله عنه الولي اذا اراد اغنى وقال الابدال
رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد
اغنيته وقال فيه شيخه رضي الله عنه ابو العباس هو
الرجل الكامل والله كيف انتبه البعض ويقول على ما فيه بلا يحسي
عليه المسلمون والاولياء صلى الله تعالى وسيلة بتركة رؤيته عندي
فبوله كل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذي منه برز
كسوة مستبار ... الاحسان منك ...
تعظى اعظم اجنة تكدر على من خالف صل
بسوء حال الاصل
لم كره وصحب من هو على حفيه في الحال وبقي استحسانه لما هو
عليه فيه كان ذلك الى رضاه عن نفسه ورويته لاحسانها
... عمل يبرز من ...
وهو اصل كل شر كما نقلنا
عمل يبرز من نفسه ...
مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فيها صر
عن الزاهدين في العلم بها من عمل طاعة واكثر قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق
وما صدر عن الراغبين فيها من عمل برؤيا انه كثير في الحس فهو قليل على

طرب من ذكر حال المؤلف في
صحبته وشكوه حاله اليه ...

عن التحقيق وذلك لأن الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في إخلاص
أعمالهم من مراءات الناس والتصنع لهم وطلب الأعواض الدنيوية
عليها لأنهم لما زهدوا فيها لم يحصل لهم قبول أعمالهم فيتنوع لهم تقبلها
بسبب ذلك ويكثر الراغبون تعتريهم الآفات المبطلة للأعمال القادحة في
إخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم
لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لا يقل
عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر
المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الإخلاص وعدم رياء الناس فقيل
في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي ذكرا يقتضي
الإخلاص فسماه كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى — أي خالصا
وذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الإخلاص ووجود رياء الناس
فقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة
المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة
لصدور التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا — وهم صح
وعن بعض الصحابة تتبعنا الأعمال كلها فلم نر في أعمال الآخرة
أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
سألت معروف الكرخي عن الطائعين لله تعالى بأي شيء قدروا على الطاعة
قال بإخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شيء منها في قلوبهم
ما صحت لهم سجدة وقال أبو عبد الله القرشي رضي
الله عنه شكى بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال

البر ولا يجد

ولا يجد حلاوتها في قلبه فقال لأن عندك بنت إبليس وهي الدنيا
ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر فيه قوله الأمر
وكان أبو محمد سهل رضي الله عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء
والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعمالهم قال لعلم أعمالهم
كما في بعض النسخ فلا يرى القيامة أحد أفضل من زاهد عالم ورع

حسن الأعمال تزيينها بما يجب لها من شروط
والآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل
وحسن الأحوال أن تكون سالمة من العلل والحظوظ وموسومة
بسمة الصدق والتحقيق في مقامات الانزال فهو أولا تواجد القلب
بما يتنزل له الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي
عنه كل شك وريب ويحصل له الثلاثة المذكورة مترتبة بعضها
على بعض وهو معنى ما يقوله الإمام أبو حامد رضي الله عنه لا بد
في كل مقام من مقامات اليقين من علم وعمل وحال فالعلم ينتج الحال والحال — ما العلم صح
ينتج العمل ونتائج الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله نوع التنبيه لأهل
على ما قاله في الزاهد والراغب

الذكر أقرب
الطرق إلى الله تعالى وهو علم على وجوده ولا يتبه كما قيل الذكر منشور
الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر

صفة عزل وقال الشفاء عن والذكر أعظم باب أنت داخله للحق
بل جعل له الانفاس حراس، قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله
عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة
صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء
وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشأها عن
الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه إلا قوله
تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم وقوله تعالى فيما يرويه عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه
حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا
وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته
هرولة لكان في ذلك الشفاء والكفاية وهذا الحديث متفق
على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير موقت بوقت فما من وقت إلا
والعبد مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال
ابن عباس رضي الله عنه لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا
وجعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه
لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا
على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى
والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال
مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال

أنه قال أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد أن يستكثر
منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه
وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فإن تركه له وغفلته عنه
أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى باللسان وإن كان
غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود
اليقظة ويرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره مع وجود الحضور
يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور قال الله تعالى
واذكر ربك إذا نسيت أي إذا نسيت ما دون الله عند ذلك
تكون ذاكرا لله تعالى وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون الحق
مذكوره ووجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني
سري وقلبي وروحي عند ذكراك حتى كأن رقيبا منك يهتف بي إياك ويحك
والتذكار إياك أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناك
وقال الواسطي مشيرا إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين
لذكره لأن ذكره سواه قال أبو العباس بن البناء في كلامه على مقدمة كتاب
أبي العز تقي الدين أبي المظفر الشافعي وهو كتاب الأسرار العقلية
في الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن
الذكر ما هاج عن خاطر وأرفع من المذكور حال ذكره وهذا هو الذكر
الخفي عند الصوفية على الاستهتار والتمكين في الأسرار وأما قوله
حتى يتمكن المذكور في خزانة يستغرق بها عن الذكر فليس
ذلك تمكين حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم وبيان
غموض ذلك أن يكون القلب عند الذكر في الذكر مجالا على
الذكر فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب
بيت الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد

وهذا صفة العلماء ح

وهذا نعت العقلاء والعاكرة مع وجود اليقظة ح

وهذه رتبة العارفين المحققين من الأولياء ح

سوابقه فيه وحقيقته يكون الحق السميع لسمعه الذي ينطق به ويداه يبطش
بها الذكر كان يده التي يبطش بها وإذا سمع كان سمعه الذي يسمع
به واستولى العلي المذكور على القلوب فاستهلكهم وعلى الجوارح فصرفها
فيما يرضيه وعلى الصفات من أفعال العبد فقلبها كيف يشاء فمن كانت
حالته كذلك جرى الذكر من غير تكلف وتنبعث الأعمال بالطاعة تسارع
ولذاته من غير كلال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي ما وجد الله
تعالى على قلب أم موسى بمعنى ذلك فؤاد أم موسى فارغا
أم موسى فارغا أي فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى فكادت
أن تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا اختيار بل كان تركها للتصريح
بذكره صبرا لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى
إليها من قبل بشارة موسى وبأنه من المرسلين وبذلك
يندفع الإشكال الذي ذكر أبو العزم وصفه بالعظيم وهو اجتماع
القلبين في حال الرأي وهو الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعاني
والعوالم لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا والعلماء إيمانا وتصديقا
بذلك والتكذيب بآيات الله فيكون من الصم البكم في الظلمات
ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف البعد والقرب ولا يمنعه
حجاب ولا يحصره مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه
الغيبة بوجه ولا ينفعه مجالات الصحة شيء ولا تجري عليه
أحكام المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنا ومشاهد سرا وجهرا
إذ هو القريب من كل شيء أقرب إلى الذاكر لربه من نفسه حيث
الإيجاد له والنعم به والمتبشر بيده والمقدرة والمتكفل بالرزق
والقيام عليه على التكليف فلا تلحقه أوصافها وأوجه الأعمال

بالحضرة

بالحضرة معانيها المقتضية لمراتب وهو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ
أبو العباس رحمه الله تعالى في معنى الفصل الثالث من مقامات الذكر
وهو غاية التفسير والتحقيق فيشير إلى توجيه الخواص من أهل
الطريق فلا ينبغي أن يستبعد العبد الوصول إلى هذا المقام الكريم
فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الأسباب
ومن الله تعالى رفع الحجاب وقال رضي الله عنه من علامات

[illegible]

[illegible] القلب أي إذا كان حيا بالإيمان حزنه على ما
فاته من الطاعات وندمه على ما جناه من الزلات ومقتضى هذا وجود
الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي
والسيئات وفي حديث الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته
فهو مؤمن فإن بكى العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما
فاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وإنما كان ذلك من قبل
أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضا
الله تعالى عن العبد وسخطه فإذا وفقه الله تعالى للصالحات
سره ذلك لأنه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه وإذا
خذله ولم يعصمه من المعاصي ساءه ذلك وأحزنه لأنه علامة
على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد
في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فات منها
أمنا واغترارا والخوف يبعث على العمل الذي هو اجتناب المعاصي صح
والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها إياسا
وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فلما جاء
وراء أجماعتنا الآخر راحلته ثم مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله رجعت راحلتي من مسيرة تسع يسيرتها اليك
ستا واسهرت واضمرت نهاري وافضيت راحلتي لاسألك عن ليلي
اثنين اسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال زيد الخيل
فقال بل انت زيد الخير سل عن معضلة فحسب سئل عنها قد جئت
اسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت
احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت اليه
واذا عملت عملا قليلا او كثيرا ايقنت بثوابه قال هي هي بعينها
يا زيد لو اراد الله بك غيرها لهيأك لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت
قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث
لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه
عظيم ذنبه
عظم الذنب عند من تكبر منه ... ان لعظم
عظمته تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لا
يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان
العبد كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المومن
يرى ذنوبه كانه اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنبه
كذباب وقع على انفه فقال به هكذا قال الراوي وبقدر الطاعة كلما
استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى (عظمت عند الله تعلى صح)
والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه في الياس
والقنوط وتوديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة
قادحة في الايمان وهي تنشأ عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود
جهله بصفات مولاه المتصف بالجود الكريم ووقوفه مع نفسه
وقياسه بعقله وحسه ولو كان عارفا بالله تعالى لما عظمت
عليه ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد او

نيته

فيه حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له قال
في التنوير واعلم انه لا بد في مملكته من عباده ما هو سبب الحلم ومحل
ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وابهم ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
وجاء بقوم يذنبون حتى يستغفروا الله تعالى فيغفر لهم وقوله
صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى
الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه فقال يا سيدي كان البارحة
بجوارنا امر المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب
ان يكون هذا فقال يا هذا كانك تريد ان لا يعصى الله في
مملكته من احب ان لا يعصى الله في مملكته فقد احب
ان لا تظهر مغفرته وان
لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من ذنب
كثرة اسائته وذلته حتى الجنة واوجبت له الرحمة من رب
فكان له راحما بقدر ايمانه وان عظم عليه انتهى فلا ينبغي
للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه الى ان يلقي بيده
اياسا من رحمة وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه ان
يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ولعل حكمة الله تعالى في
تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب للمومن خير من العجب
ما خلى الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا فيجب بهذا ان يعلم
ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين
العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه
مستعظم لطاعته وعبادته طالما ملاحظ لذلك ومستكثر له

بخلاف الذنب

لانه

بخلاف الذنب فانه يوجب له الخوف والخضوع والافتقار الى الله
تعالى والفرار اليه عن نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى
والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به
على ربه والعجب يوصله الى الاستغناء والذنب يوصله الى الافتقار
واجب وصاف العبد الى الله تعالى افتقاره اليه واقرب احوال
الخصوص ما رجعه اليه ويقبل به عليه لا صغيرة اذا قابلك عدله
ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذ ظهرت الصفة العلية
بطلت اعمال العاملين فاذا اظهر صفات العدل على من ابغضه
وسخطه بطلت حسناته وعادت صغائره كبائره واذا اظهر وصف
الفضل على من احب اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم
حسنة وان ابداهم فضله لم يبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه
الهي ان احببتني غفرت سيئاتي وان مقتتني لم تقبل حسناتي
وما احسن قول شيخنا ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
في حزبه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات من احببت
ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان لا ينفع
مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي نظير هذا
للمؤلف في مثل هذا المعنى قوله الهي كيف يستنصر وحالتي سيئة
هي اعتمادي عليها ذلك بل انا اثني منها فضلك لا عمل ارجى
للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك
وجوده في بعض النسخ الموجود لا عمل ارجى للقبول ومعناه
على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه
القلب ولا يعتبره وفي هذا النسخة ان اعتباره صلاحه وتحرره من

رقاو يتبعه

من رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على هذا الوجه
مفاد تفسيره لا عمل ارجى لصلاح القلوب وما به معناه وسيأتي من كلام
المؤلف رحمه الله ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين
له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون
والغالب على الظن ان اللفظة مصحفة للمؤلف وذكره ابن عطية القبول فغلط
الناسخ فكتب حروب ولا يحتاج في هذا الى جواب وتقديره على هذا الوجه
ان تقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لان صاحبه متقي
تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل
من الآفات باقتطاع النفس في الفعل ورؤية تقصيره فيه فيغيب
عنه ذلك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يبقى له ما
يعتمد عليه وانما يكون على هذا الوصف بان يكون ناظرا اليه ومشتغلا
له وغائبا عن شهوده منة الله تعالى عليه في توفيقه له اوقعه
ذلك في العجب فيحبط ذلك عمله وقال ابو سعيد قال ابو
سليمان رضي الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسي عملا
فاحتسبته وقال على ابن الحسين رضي الله عنه كل شيء من افعالك
اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على القبول فيه دليل على النقص
العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع
نظرك عنه بالكلية في الملة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الطيب يرفعه قال بعضهم علامته رفع الحق تعالى لذلك العمل
انه لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا رفعه لم يبق عندك منه شيء
يرتفع الله ليس فيه من عمل ينظر منه ينتفع العبد لهذا
اعمال ان يكون عنده نسيا منسيا فلا يذكره باقتطاع النفس
ورؤية التقصير حتى يتحقق له قبوله انما اورد عليك الوارد

حذوه

على انه لم يتقبل منك لان المقبول
مرفوع مغيب عنك وما
انقطعت عنه رؤيتك فذلك
دليل

الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف
الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح
بذلك للورود عليه والدخول إلى حضرته لأن الحضرة منزهة
عن أن يلج فيها متلطخ بالآثار ومتلوث بالأقذار والأغيار ولهذا
إنما أورده عليك لتكون به عليه واردا

الآثار
والأغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حظك لها
ومسكنك إليها وللشيطان عليها فإنما أورد عليك الوارد
ليتسلمك من يد غصبك ويحررك من ملكية من استرقك
والإشارة إلى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل في قوله
للكفار وهي ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا فهي تشير إلى الأغيار وحريته
من الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سالما لله
تعالى عز وجل

ليشهدك وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته
لحظه وحقه وشهوده أن يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى
وجلاله ورؤيته فيما لم يكلفه ومشكلته به قال أبو القاسم النصراباذي
سجنك نفسك إذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد
وسيأتي من كلام المؤلف في معنى قوله سجنك وجودك
الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته
ومحصور في هيكل ذاته الأنوار مطايا القلوب والأسرار

النور جند
القلب

القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار
وقطع عنه مدد الظلم والأغيار
إذا أراد
الله نصر عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها وإذا أراد
الله خذلان عبده فعل العكس فإذا مال القلب إلى العمل بأمر مشروع
مولع في الحال فلم يتنبه به في الحال ومالت النفس إلى العمل بأمر منكر مولع فلم يتنبه
به في الحال ووقع به في الحال وتنازعا وتقاتلا فإن سارع النور الذي هو من
أمر الله تعالى ورحمته إلى نصرة القلب وبادرت الظلمات التي هي من
وساوس الشيطان ولهبه إلى نصرة النفس ووقع حد القتال بينهما
فإن سبقت للعبد من الله سابقة السعادة انتصر القلب بنور الله
تعالى واشتغل بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال إليه
وإن أعيد في الحال المذكور وجوده من التنعم به في الحال وإن لم تسبق له من الله وآله
الشقاوة والعياذ بالله غلب القلب عن النور واعتقلته الظلمة عن منفعة الآجل
وعمل بما مالت إليه نفسه وإن الله في الحال لما يحصل له من لذة الحال وعنه
النقل الصحيح والنصح القلبي الجنة بين الأسير للعبد الآمر عنه الذي
الله تعالى وتبارك وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته به من
الشيطان الرجيم وهذه العبارات المقتبسة من قوله إنما أورد عليك الوارد
لتكون به عليه واردا إلى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بألفاظ
مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهكذا عادته في مواضع كثيرة من هذا
الكتاب رضي الله تعالى عنه
هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور به
كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتنكشف والبصيرة التي هي ناظر القلب
تقبيح الحكم بها ما كشف هذا النور والقلب له الإقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة

ولما يظل الالاهار ترك العمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة [illegible]

[illegible]

[illegible] الفرح

بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه
ومقابله في هذا الوجه الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وفي ذلك هو مقتضى
شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العباد باختياره وارادته
وحوله وقوته فهذا الفرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من
العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بما نشأ وسياتي
في الكتاب انواع الفرح بالنعم وما يحمد من ذلك وما يذم فتفهمه مستوفيات

[illegible]

لقد اشبع الله تعالى نهمته

على الفريقين حيث جعل معهم في ذلك لانه رتبهم معه ولم يدع للسموات
بالواصلين فعل في ذلك فجمع طوعا منهم والعمال الكون فعل في ذلك بينه كرها والله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك بشهودهم
له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال ان يراه ويشهد
معه سواه والعمال الكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق مع الله
والبراءة من الدعوى في ذلك استطعموا الانطماس في توحيده اعمالهم وتصفية
احوالهم قال الشيخ ابو رضي الله عنه من علامة من تولاه الله في احواله الشهود
التقصير في اخلاصه والغفلة في ذكره والنقصان في صدقه والفتور في
مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع احواله عنده غير
مرضية ويزداد افتقارا الى الله تعالى في قصده وسيره حتى يفنى عن
كل ما له ونحوه قال ابو عمر اسماعيل ابن نجيد رضي الله عنه

لأنصعوا الاحد

لا نصعوا الاحد فخطوه العبودية حتى تكون افعاله كلها عنده
رياء واحواله كلها عنده دعاوي وقال ابو بزيد رضي الله عنه لو صفت
لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء والدهاة بين الفاهمين بتشبير الخكايتز
اذ تزوا على الواسطي رضي الله عنه وفي ذلك انه لما دخل نيسابور سال
اصحاب ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا
كان يامرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيه فقال امركم بالمجوسية
المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها
قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وانما اراد
الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في اوطان
التقصير او تجويزا للاخلال بادب من الآداب وقال رضي الله عنه

ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع البسوق

الطول يقال بسقت النخلة اذا طالت قال الله تعالى
والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تتشعب من سوق
الشجر ويجمع ايضا على غصون والبذر الحب الذي يزرع وهاهنا كلها
استعارات مليحة والطمع من اعظم آفات النفوس وعيوبها
القادحة في عبوديتها بل هو اصل جميع الآفات لانه متضمن تعلق
بالناس والتحيل اليهم واعتمادهم عليهم وعبوديتهم لهم وفي ذلك
من الذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل للمومن ان يذل
نفسه والطمع مطلقا ينافي الايمان الذي يقتضي وجود
العزة والعزة التي اتصف بها المومنون انما تكون برفع
همتهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وتنفيهم بسببه
عن من سواه فهاهنا هي العزة التي منعتها النفس
عبده الهوى قال الله ولله العزة ولرسوله وللمومنين

وكما ان العزة من صفات المومنين كذلك الذلة من اخلاق الكافرين
والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين قال ابو بكر الوراق الحكيم رضي الله عنه لو قيل للطمع
من ابوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب
الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان قال ابو الحسين الوراق
النيسابوري رضي الله عنه من اشغل نفسه بحب شيء من
من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل
ومن ذل هلك وقد قيل انطمع في ليلى وتعلم انما تقطع اعناق
الرجال المطامع فالطامع لا محالة فاسد التدبير مفلس من انوار
اليقين فاذا التنوير تفقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه
ونظف من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع بسبعة ابحر ما طهره الا الياس
منهم ورجع اليه عنهم قال قدم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه البصرة
فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصري
رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبت عنه ابقيتك
والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل
عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع
قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي
الله عنه يقول كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من
يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي فلعله لا ياخذ
مني شيئا فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته
يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم
والعين ثم قال رضي الله عنه هذا تعليقة يليق بالمريد رفع همته عن الخلق ولا تذل
لهم بقول سبقت قسمته وجوده وتقدم ثبوته ظهوره وانسع ما

سائلك

جئت

مجوفة

قال البعض

قال بعض المشايخ رحمه الله ايها الاجل ما في رسالة
لما كان ... يصغاء بلا ابتداء ... فكله ويحكى بعض
ولا تاكله بشدة غفلتك تقدم الا من كلامه في التنوير
ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن
لعلي رضي الله عنه لما ساله مستخبرا عن ملاك
الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا اشك
ان الورع الظاهر لعامة الناس هو ترك الشبهات
والتحرز من مواقعة المشكلات بما يقابل الطمع كل المقابلة
ونحن نذكر الطمع وما هو وانما يقابله ورع الخاصة
هو عندهم عند صحة اليقين وكمال التعلق
برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف
الهم عليه وطمانينة القلب به ولا يكون له ركون
الى غيره ولا استناد الى مخلوق ولا كون فهكذا هو
الورع الذي يقابل الطمع المفسر به طمع كل
عمل يقرب وحال يستعلي كما نبه عليه الحسن
رضي الله عنه في جوابه المذكور قال يحيى ابن معاذ
رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر
الا تتحرك الا لله وورع في الباطن هو ان لا يدخل قلبك
الا الله تعالى وكان بعضهم حريصا على ان يرى احدا من
هذه صفته فيسعى تحشمه في طلبه
ويحتال على التوصل اليه بان ياخذ الشيء
ليهدي الشيء من ماله ويقصد به الفقراء و
المساكين ويقول لمن يعطيه منهم حتى

حين المنازلة فعلا الذي يكون الا اخذوه ولا يسمع احد منهم جواب
مطابقا للحال الا انه بكلام الشيخ ابي طيفور ... يبعثه وهل
على مقصوده ومبتغيه ... فان كان ... هم ... الا لك
فقال له احذه لا امسك وان كان للعبد استشراف الى خلق
او سبقه نظر السهم فكل مجمع الرزق او بعده فمقتضى
هذا الورع الواجب في حق الادب الا يفعل بنفسه شيئا مما يعيبه
يأتيه على هذه الحالة عقوبة لنفسه بنظرها الى ابناء
جنسه كقصة ابي الحمال مع احمد بن حنبل رضي الله
عنه وهي معروفة وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي
الله عنه انه اتاه رجل بفتوح فنازعته نفسه
وقالت له يا ترى من اين هذا فقال السائل انا اعرف من اين هو يا عدوة
الله وامر بعض الخدام ان يخرجه الى بعض الفقراء عقوبة لها لكونها ان بعد بعه
الخلق اكثر رؤية الحق تعالى وقال اهل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سالت
فيه احدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه
[illegible] المعرف الذي هذه نسبة شيخ الطريقة واما اهل الحقيقة من
المتأخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه بانه قال اعلم
ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق اخذ او عطاء او منع او رد وان يكون نستبع
الحكم لله تعالى وهو ان ترى الله تعالى ظاهرا من جميع
الاشياء والعلو والعين كما قال تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وقال ايضا الا يخطر الرزق بالبال ولا الورع
يكون بينه وبينه نسبة لا في [illegible] ولا عند
المباشرة لانه لا يدري ايا كله او لا [illegible] وقال ايضا
الورع لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله تعالى
في

تعالى فيه الى كد والشكور فاذا [illegible] هيئة الحركة والسكون
بقى مع الله فالحركة طرب لها فيها حما فان رايت شيئا الا رايته
الله تعالى فاذا رأى الله تعالى فيه هيئة وقال تعالى ايضا اجمع العلماء ان
الحلال المطلق من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التو ملا آخذ
كل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه وفي معنى
هذا من العبارات التي عبروا بها عن هذا المعنى وقال بعض من هذه
الطائفة رضي الله عنه العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يفترقون
في المشاهدات فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان
منها ومنهم من ياكل رزقه بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز
بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين ياكلون ارزاقهم بذل فهم
السؤال يشهدون ايدي الخلق فيذلون لهم واما الذين ياكلون ارزاقهم
بامتهان فالصناع ياكل احدهم رزقه بمهنة وكد واما الذين
ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو
فهو متعوب القلب معذب بانتظاره واما الذين ياكلون ارزاقهم بعز
يعني بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فالصوفية رضي الله عنهم يشهدون العز
في بأخذ وقسمتهم من يده [illegible] قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضي
الله عنه معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها والمراد
يتها والطمع والطمع في الخلق من حجاب مقام الاسلام [illegible] المؤلف
رحمه الله لطالب الشرح طلع هذا المعنى [illegible] بجميع [illegible] الا
الاداب الغيبية لها [illegible] في هذا الموضع من صواب العمل
المتكلم ان شاء الله تعالى مفتاح الاصل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله ان
ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان جملة ورعهم ان يسكنوا الى غني
او يميلوا الى حب الغنى او تمتد اطماعهم بالطمع في غني بفضله وخيره ومن

ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والوسائط والاسباب وخلع
الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العا
دات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات
ومن ورعهم ورعهم ان تستعبدهم الدنيا او تسترقهم الاخرة تو
رعوا عن الدنيا زهدا وعن الوقوف مع الاخرة صفاء قال الشيخ
عثمان بن عاشورا خرجت من بغداد اريد الموصل
فانا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ور
فعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فا
عرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وانها
رها واثمارها فلم اشتغل بها فقيل يا عثمان لو وقفت مع
الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك
عن الاولى ها نحن لك وقسطك من الدارين
ياتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما
بثغر الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج
عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا قائل يقول لي انك العام
القابل عندنا فقلت في نفسي اذا كنت العام القابل ههنا
فلا اعود الى الاسكندرية فحضر لي ان اذهب الى اليمن فاتيت الى
عدن فانا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا بضائعهم و
متاجرهم ينظرونها فاذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى عليها
فقلت في نفسي ما اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا قائل يقول لي من لم يصلح
للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه الورع
نعم الطريق لمن عمل على ثوابه وقد انتهى بهم الورع الى الاخذ
من الله عن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة
والبصيرة الفائقة فهم في عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا
يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون

بمراتبه

ولا

ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث لا يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة
الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ا
دنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا بالورع عنه مع المحافظة لما
زاد الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بد
نياه او مصروف بدعواه وميراثه التعزز بعلمه والاستكبار على مثله
والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم
من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه
ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك
فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع
كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم فاذا نظرت فهمك كرم الله سبيل ولايته ومن عليك محبتا بحق احبا
به هذا الورع الخفي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصل فهمك
الى هذا النوع من الورع الذي قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ
من الله عن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة
والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع
المتقطعين الذي ينشا عن سوء الظن وغلبة الوهم وانما اوردنا
هذه المعاني ههنا تنبيها للفائدة المتعلقة بكلام صاحب
التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسياتي مزيد بيان فيه في موضع
انسب من هذا اعني قوله لا تمدن يديك الى الاخذ من الخلائق
الى اخره فانظره فيه ما قد علمت مثل الوهم الوهم اي عدمي وهو ضد
الحقيقة الوجودية والنفس الناطقة انقيادها الى الامور الوهمية
الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة

بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع
تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وارباب
القناعة معرضون عنها اذ لا يتعلق همهم الا بالله تعالى ولا يتو
كلون الا عليه ولا يشعرون الا به فقد سقط اعتبار الاوهام والخيالات
التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا
بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة
الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات الفقير وهي من بدا
يات احوال الراغبين قال بعض العارفين لا يكون الفقير قانعا
حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما في ايدي اهل الدنيا من
الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه
قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى
قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة انت حر ما
انت عنه ايس وعبد لما انت له طامع الطمع في الشيء
دليل على الحب له وشدة الاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما ان
الياس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك
حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل العبد حر
ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد
لما استعبد الاحرار بكل شيء لا خطر له وقيل ان العقاب يطير
في الهواء عن الجيفة لا يقع طرفه الى مطاره ولا يسمو همته الى
الوصول اليه في قطعة من لحم معلقة على شبكة فيثني له
الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبي
يلعب به وقيل ان فتح الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فسئل
عن تابع الشهوات كيف صفته وكان في يده صبيان تمع

مع احدهما خبز بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ
فقال الذي ليس معه كامخ لصاحبه اطعمني من
الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال صاحبه نعم فجعل
خيطا في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتى
للسائل اما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر
كلبا لصاحبه حكي عن بعضهم انه دخل عليه تلميذ له
فقدم اليه التلميذ خبزا قفارا ولم يكن له ادام واخذ
يتمنى بقلبه ان ليته كان له ادام يقدمه الى استاذه
فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله الى باب الحبس
فاذا الناس يضرب الواحد ويقطع الاخر ويعذب كل
واحد بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى
هؤلاء الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا
اخرج من السجن وفي رجله قيد يسأل الناس فقال
لانسان اعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة
لما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء
ياكل ما تساقط من البقل على راس الماء فقال لو خدمت
السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت
بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردت ان اذكر
ها هنا حكاية حسنة مناسبة لما نحن فيه ليتعرف
بها كيف تكون الهمة السنية وان للدواب [illegible] في اخذ
البلغة من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية منة
من الله في تيسير القليل والشكر على ذلك كان بعضهم
خرجنا من المدينة فجاءنا [illegible] كنا بالزاوية نزلت [illegible]

فوقف علينا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة
ومروءة فقال من يعطي خادما من يعني ساقيا فقلت
دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث إلا يسيرا
حتى أقبل وقد ملأت أثوابه طينا وأحضر القربة في كتفه
فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها
قلنا لا وأطعمناه فضلة رداء فأخذه وحمد الله سبحانه
وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكله أكل جائع فأدركتني
عليه الشفقة فقمت إليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت
له منه فقلت قد علمت أنه لم يقع منك العرض بموقع
فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد
الله إنما هي جوعة فما أبالي بأي شيء رددتها عني
فرجعت عنه فقال لي رجل إلى جنبي أتعرفه قلت لا
قال إنه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب
هو من ولد سليمان ابن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة
فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر قال فأعجبني
قوله شيء تحيرت به واستأنست فقلت له يا فتى إن الرجل
من إخوانك قد بلغني من وصفك ما حببت الاتصال
بك فهل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من راحلتي
فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنشأ
إلي يحدثني وقال أنا رجل من ولد العباس
كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ
وإني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير
ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم إذا بقمع وردة

فقد

قد أغفلته الخادم فقمت إليها فأوجعتها ضربا
ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة
فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني
وقال أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك وجعل يقول
يا خد إنك إن توسد لينا وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا إذا لم تفعل
فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي إلى ربي هاربا
قال الراوي فلما قضى حديثه هذا انخنس عني ومضى
من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه
بسلاسل الامتحان النفوس الكريمة تقبل على الله بمجرد
لطائف إحسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس
اللئيمة لم تنقد إلا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب
في الأموال والأبدان والقود بالسلاسل أشنع من حسنة
قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه سنته عز وجل
في استدعاء العباد لعبادته سعة الأرزاق ودوام
المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته فإن لم يرجعوا ابتلاهم
بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لما علم من مراده عز وجل
رجوع العبد إليه طوعا وكرها من لم يشكر النعم فقد تعرض
لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها
ومعنى شكرها موجب لزوالها ولذا قال الله
تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال تعالى إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم وفي الخبر واعجبوا من الطاعة

وفي شكر النعم غير الله تعالى ما فيه من الاحسان والكرم
واجتمع حكماء العرب والعجم على هذه الكلمة فقالوا
الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد
المفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهي اطواق
واذا روعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثة اوجه
شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر
القلب ان يعلم ان النعم كلها من الله قال الله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله وكثرة
الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها
وشكرها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال
عمر ابن عبد العزيز تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر
اللسان ايضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم
وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة
ابن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس وسياق الكلام
على هذا المعنى في اخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام
المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح
قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه
فقيل له يا رسول الله اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسأل رجل

ابا حازم

ابا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا
رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت بهما شرا سترته قال فما
شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا
سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأ
خذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما
شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال
فما شكر الفرج قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
قال فما شكر الرجلين قال ان رايت ميتا غبطته
استعملتهما عمله وان رايت حيا مقته كففتهما
عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه
ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء
فاخذ بطرفه ولم يلبسه ولم ينفعه ذلك من الحر
والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر
قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان
وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله
الجنيد رحمه الله حين سأله السري رضي الله عنه
قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال
لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي
على هذه الكلمة خيفة من وجود احسانه البليغ ودوام اسدائه لك
معنى ان يكون ذلك استدراجا لك

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المومنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين فقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شيء وليسوا كذلك نستدرجهم في ذلك شيئا شيئا حتى ياخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى فعل الطاعة وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم اسباب العوافي وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنياوية فلم يشكروا عليها برجوعهم منهم اليها اخذناهم بغتة اي فجاة فاذا هم مبلسون اي ايسون قانطون من الرحمة قال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطاء كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من الخطيئة

خطيئة

من جهل المريد ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن

الا منع

الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد

هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبة مختلفة فمنها معجلة ومنها موجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل الاساءة للادب ممن يدعي علم الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والموجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية المعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدا وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا اتى به المريد ولم تتداركه رحمة الله في الحال العبد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانسلاخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك انقطعت عنه الامدادات المتصلة والواردات المتواصلة فتنكشف عنه حينئذ نسمات الرحمان وتستتر عنه المكشوفات والبيان وهي جنود الله تعالى لقلب العبد فاذا فقد القلب من الله تعالى ذلك وقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساهم ذكر الله وحاق به سوء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج عن دائرة الصفوة المختارة ونعوذ بالله من سوء المقدور و[illegible]

التوفيق الى مراعاة الى اوايل الامور وما اختص به المريد
لنفسه من الكلل الخدمة ذكر المولف رحمه الله بنفس
توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لانه قوله لوكان
هذا اسره ادب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه رضاه بحاله
لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه
قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد
عنده ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه عنده
وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها
قال شيخنا ابو العباس رضي الله عنه سوء الادب يثمر لك كل
ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ابقاء النفس ليسقط
بينه ويبقى ما يريد الذي اقتضاه اقامه مقام العبيد
اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن الرؤية لنفسه وكان
منتهى امالها في ارادته وكان وافقا مع مراد الله به
فاذا اقدم على امر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى
بالعصمة وعوقه عليه ما اراده وسد عليه مسالكه
ولم يخله وما اراد من ذلك ويقال من علامات التو
فيق ثلاثة دخول اعمال البر اليك من غير قصد
منك اليه وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها
وفتح باب الالتجاء والافتقار الى الله تعالى في كل الاحوال
ومن علامات الخذلان ثلاثة تعسر الطاعات عليك
مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهروب
منها وغلق باب الالتجاء الى الله وترك الافتقار في الاحوال
والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال ابو
حفص رضي الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت ادب
ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم آداب الاوقات

بلغ

بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من
حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال
ابو عبد الله ابن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل
عملك ملحا وادبك دقيقا قال بعضهم الزم الادب
باطنا وظاهرا فما اساء احد الادب في الظاهر الا عو
قب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا خرج المريد
عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء قال
النوري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته
مقت وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الا
دب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيء الادب فقال [illegible]
ليس الادب قبل الحضور من ادبك قال الصوفية والادب الذي يرجع عاقبته
في ظاهره وباطنه وادب الظاهر تبع لادب الباطن وادب الظاهر
الباطن هو التخلي هو التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له اوصني فقال احسن ادبك تراعى في مكارم
الاخلاق وهذا الخلق العظيم لم يوت بمراعاة [illegible] على المجاهدين ولا يتصل
ذلك بعد توفيق الله تعالى الا بالافتقار والمجاهدة قال ابن عطاء
رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة
الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها
بجهده عن سوء المطالبة فمن اطلق عنانها فهو شريك لها في فساد
ها ونحن نعلم ان [illegible] من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص
زكي الفطرة كريم السجية سهل الانقياد لا يحتاج في ذلك الى كثير مجاهدة
ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلابد ان يحتاج الى زيادة في
تعب وتزيد ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته وسقوط عزمه

ويسرها كثير من رخص لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتا
دب بآدابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر احكامه على يدي احد
غيره لا يصح له الانفصال عن الهوى ولو بلغ به الى [illegible] والمجاهدة لا غير
كن هلاك ونحو ذلك الكتابة يحاسب نفسه ويسلك سبيل الرفاق قال رضي الله عنه
بما اذا يقوم الرجل عن حاجه فالمتأدب بالامام [illegible] ثم ب
بالامام يعني بكل الآداب اخذ الزام العبد على ذلك تركت نفسه وطهر قلبه
وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره انوار ذلك فتعود حركات ظاهره
وباطنه شيئا موزونة بميزان الادب حتى تنتهض به على الحقائق فتشتغل بجنبه
امر غير مستنكر في ظاهر العلم ويكون ان يكون ما فطنتي عليه ها هنا من مثله
وذلك بحال ابن عليس وهيأته من اجله قال السري رضي الله عنه صليت وردي ليلة
من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك
فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد رضي
الله عنه فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا قال ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي لا يستند الى شيء وكان يوما
في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى خلف ع
عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها
خرقة ولا سجادة فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك حاله فعلمت
انه لا يستند الى شيء ابدا وقال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه
كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة اصلي عليها واهل
بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر
النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه
كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل
من البكاء والصلاة وغيره فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد البكاء ع
فغلبتني عيني فرايت ذلك الفقير جاؤوا به على خوان ممدود وقالوا لي

كل من

كل من لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته انما قلت في نفسي
شيئا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فاصبحت ولم ازل
اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الماء عند تردد الماء اوراق
البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم
فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك التي يجري ذلك من آدابهم رضي الله عنهم
والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من
الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفات المولى والبسط
معه والادلال في موقف الهيبة والحياء وما اشبه هذا فكان ابقاؤه على صاحبه
وقوم لا يستغفر راجيا والمتكئ به وكان ينبغي لمن يقع ان ياتيها ويبتلى بشيء من الادب
ولا سيما كفى ها بان تتطور بذلك والاستغفار له من مقامه الجهل
وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا اقبح انواع سوء الادب عادة فعف
منه اساءة الادب فليعرف بها من ذلك مستعظما للاسم فيه وسيبا
در الى التوبة والاستغفار والتنصل منها خشية ان توجب له العقوبة
من حيث لا يشعر واكثر كل من ينبغي ان يتنبه الى ما يقع من صفتنا هذه
الجملة التي ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله من انواع سوء الادب
ان يوطن نفسه على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعالى النعم بر
معه والتبرم باحكامه المولمة له في نفسه او غيره وان يسرح لسانه
بالشكوى التي تخلو العبد كلا بواب هواها ان نقص في نظره عما جاره
الحق فان خطر بباله له او جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى
الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان نشأ غلطه في ذلك من احسن الحسنات
والتقرب [illegible] وذلك يقع خلله في مقامات الرضى ويوصله الى
غاية النعم والعطاء كلها ان توطينه عليه وتهاونه [illegible] من اعظم
خطاياه واكبر ذنوبه وتوحيدها ذلك الى [illegible] الاقدام ويوقعه
في الخروج من كانت النار نعوذ بالله من ذلك [illegible] قال بعض الصوفية

ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعد له خبر ثلاثة أيام فقيل له لو
سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد
علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادات رضي الله عنه أذنبت
ذنبا فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة
لأجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء ليته
كان وقال بعض السلف لو قرض لحمي بالمقاريض أحب إلي من أن أقول
لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يقضه وقال بعضهم من حرم الحرمة فقال
التلميذ الذي يسمع صاحبه يقول ما لك والدخول بيني وبين ملكي
ومن مقتضياته أيضا أن لا يعلق بقلبه شيئا من الاعتراض على المشايخ
والأولياء وأن يرى تعظيمهم واحترامهم وأن لا يقبل إشاراتهم فيما
يشير ويهيم عليه فقد قالوا رضي الله عنهم عقوق الأستاذين
لا توبة لها وقالوا أيضا من قال لأستاذه لم لا يفلح وقال أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه
بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وأن يقبل من
أهل السلوك فإنه لم يصل إلى مقصوده فليعلم أن موجب حجبته
اعتراض خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته قال الشيوخ يعني
لذا السبيل الذي يعد بين قال وفي الحق الشيخ في أهله كالنبي في أمته
وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للأمر
والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وترتيب الجاه والحشمة والقبو
ل بين الناس واستدعاؤه بسمي كل أن يحترم ويعظم ويتبرك به ويقبل يده
ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من أضر الأشياء به وهو نتيجة
استحسانه لأحواله وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه
في كل حال من أحواله وذلك من مرضه وقال أبو عثمان
رضي الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه

شيئا

شيئا وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال وقال
أبو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيئا من أحواله في حال إرادته
بسر إرادته فلا بد أن يرجع إلى ابتدائه فيها ويوقف نفسه ثانيا وقال عبد الرحمن السلمي
رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه
قال الشيخ الذي يعد من نفسه شيئا مما ذكرنا فليبادر إلى قطع مواده
واستئصال عروقه قبل أن يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه أيضا الأمور التي
التي ينبغي أن يتورع عنها ومن أنواع سوء الأدب الذي يعد المفضي إلى سقطته في وله
عن مقتضيات الحقيقة إلى رخص الشريعة فقد عد ذلك من أمر الجنايا
ت العظام الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القربة وله في هذا
قالوا إذا رأيت المريد ينحط عن رتبة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فاعلم أنه
قد نقض عهده مع الله تعالى وانفسخ عقد ما بينه وبين الله وقال ابن خفيف
رضي الله عنه الإرادة استدامة الكد وترك الراحة ولا يبقى شيء على الذي يعد
أضر من مسامحة النفس في قبول الرخص ههنا ما كان من حال الذي يعد
والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه إذا رأيت المريد يشتغل
بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان
من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخص ههنا ما كان من
مقتضى الحال التي يعد من تناول الشهوات واللذات والميل إلى المألوفات
والمعتادات والركون إلى العوائد والراحات وأن يتعلق بالشبهات والتأو
يلات فإن حالة المريد تقتضي مباينة هذا كله وإن كان بعض ذلك مما
جاءت رخصة الشرع لعامة الناس كان إبراهيم الخواص رضي الله عنه يقول إلا
لهم هذه الشهوات التي أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وبقي
أبدانهم بعد اشتهارها وحجبت قلوبهم بعد قربها وأطالت آمالهم
بعد قصرها وانسلخ بالخلق فيه بعد الهدى منهم وتواطئوا على شرهم
التبرك لها فأسقتهم الدنيا بكأس سمها فتخطى في الطاهر بعد

باطنها فنا من بعد الشهوة وشغوف بعد الجوع واكتسوا بعد
العري وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أوحى الله إلى داود
عليه السلام إني إنما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي فإياك أن
تعلق قلبك فيها بشيء فأيسر ما أعاقبك به أن أسلخ حلاوة حبي من قلبك
يا داود احذر وأنذر داود عليه السلام يا داود حذر نفسك بكلامي
ومنه من نفسك لئلا تؤتين منها فأحجب محبتي عنك اقطع
شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء
والأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي وإني لم أرض الدنيا
لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما مسكرا فيصدك
بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين يا داود
استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم يا داود تحبب إلي
بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني
وبينك مرفوعة وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لن ينال الرجل درجة
الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة (الشكر)
والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث يغلق باب الراحة ويفتح
باب الجهد والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس
أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح
باب الاستعداد للموت وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه
كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فأخذت (اللكام)
واحدة منه فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت
رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني قال
من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته
أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو
سألته أن يقيك شهوة الرمان فإن لذع الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولذع

الزنابير

في الصبر عن الدنيا وقال السري رضي الله عنه إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة
أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات
والتمتعات من شأن الصالحين ومن مقتضى آداب المريدين كان يحملها على خلافها (وقال)
نقضا وفسخا كما تقدم قال يحيى بن نصير [illegible]
النيسابوري فاشتهيته فلما أعطي أخذ راحة ووضعها في فيه ثم ألقاها ويبكي فقال
فقلت لم ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحيي لشهوة كنت عاهدتني أن لا تعود إليها
وعن شقيق بن إبراهيم قال لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فعدلت إليه وجلست عنده وقلت
له أي شيء هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فلما أكثرت
عليه قال يا شقيق استر علي قلت يا أخي قل ما شئت قال اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها
جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فإذا أنا بفتى شاب بيده قدح
أخضر يعلو منه بخار ورائحة السكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه مني وقال يا
إبراهيم كل فقلت ما آكل شيئا قد تركته لله تعالى فقال لي قد أطعمك الله تعالى كل فما (يحمل)
كان لي جواب إلا البكاء فقال لي كل رحمك الله فقال إبراهيم قلت له قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث
نعلم فقال لي كل رحمك الله فإنما أعطيته وقيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعم نفس إبراهيم
بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا إبراهيم إني سمعت
الملائكة يقولون من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط قلت فإن كان كذلك فها أنا بين
يديك لأجل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فإذا بفتى آخر ناوله شيئا وقال
يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى شبعت وانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق
رضي الله عنه أرني كفك فأخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات (جعلت)
إذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته أترى لشقيق
عندك حالا ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء فقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبها
وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك وإحسانك
ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام إبراهيم رضي الله عنه ومشى
حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد

بن زيد رضي الله عنهما ان ... ليصف من قلبه حتى لتمادي فيها فقال لانك
تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان تركت اكل الخبز مع
تلك التمر لك قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك
اعلى التمر تبكي فقال عتبة الواحد طاعة فان نفسه فطمت عن بث صدق عزمه
عاكستني كلها اذا تركت شيئا لم يطعم فيه ابدا وقال احمد ابن ابي الحواري
رضي الله عنه اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئته به اليه
فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة
جهدي وشقوتي فقد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل
الملح حتى لقي الله تعالى قال ابو بكر الجلاء رضي الله عنه اعرف انسانا تقول
له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة
اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة
وقال وقال ابو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال ابو حامد
الغزالي رضي الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول
لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها حتى راوا ان ذلك علامة الشقا
وة وراوا منع الله منه غاية السعادة حتى روي عن وهب ابن منبه
رضي الله عنه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال
احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان
اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد
قال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير
قال ابو حامد رضي الله عنه والاصل المهم في المجاهدة الو
فاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ذلك
ويكون ذلك من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر
فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق
منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه

ومعاقبة

ومعاقبة النفس في كتاب المراقبة في الخامس ان يجزي النفس بعقوبة
غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتبسطه به الى الاباحة بالكلية هذا
كلام الامام ابي حامد وهو حسن ومعناه صحيح يجب ان يعمل عليه ايها
المريد وقد يعجل الله العقوبة لبعض هؤلاء رحمة ومنة عليه وقال ابو تراب
النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة
تمنت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي
وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل
منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي وحملني رجل منهم الى
منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي كلي بعد سبعين درة وقال بعضهم
اشتهى ابو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك
من وجه حلال فلما مد يده ليأكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه
فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف
بمن مد يده بشهوة الى حرام قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جا
ئعا في طريق فوافيت [illegible] فخطر ببالي ان بها معارف فاذا دخلتها
اضافوني واطعموني فلما دخلت البلد رايت فيها منكرا احتجت ان
اغيره فاخذوني وضربوني فقلت في نفسي من اين اصابني هذا
الضرب على جوعي فنوديت في سري انما اصابك ذلك لانك سكنت
الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي
ابن شيبان رضي الله عنه انه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من
الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرايت على
باب المسجد قوارير معلقة شبه ... فتوهمتها خلا
فقال لي قائل ما تنظر اليها فانها خمر فقلت لزمني
فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اصب ... حتى
اتيت على الجميع فاخذوني وضربوني مائتين

خشبة وطوى في السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي
ابو عبد الله المغربي في البلد فسمع بحالي فشفع لي فاطلقت
ووقع بصره علي قال ما شانك قلت شبعة خبز وعدس
وضربت مائة خشبة وسجنت اربعة اشهر فقال لي نجوت
مجانا اي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم تفتضح
فيما كنت فيه من سر امرك فكان ذلك رفقا من الله بك قال
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وما احد فيما نال
من راحة في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فيفقد
خفي عنه في عقباه بل ظهر في الحال في جوره ومعناه وحكاية
خير النساج رضي الله عنه المشهورة في معنى ما ذكرنا
فانظرها فيها عبرة للمعتبر قال الحافظ ابو نعيم
رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد ابن نصير في كتابه
قال سالت خير النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت
فمن اين تسميت به قال عاهدت الله ان لا اكل
الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت
نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا برجل نظر
الي وقال يا خير يا آبق هربت مني وكان له غلام اسمه
خير فوقع علي شبهه وصورته فغلبني
فاجتمع الناس فقالوا هذا والله غلامك
خير فبقيت متحيرا وعلمت بما اخذت
وعرفت جنايتي فحملني الى
حانوته الذي كان فيه ينسج غلمانه وقال
يا عبد السوء تهرب من مولاك

ادخل

ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على
ان اعمل فاخرجته بيدي الله فكاني كنت اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا
انسج له فقمت ليلة وتمسحت وقمت الى صلاة الغداة
فسجدت وقلت في سجودي الهي لا اعود الى ما فعلت فاذا الشبه ~~واصبحت~~
قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها فاطلقت فثبت
علي هذا الاسم فكان بسبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله
ان لا اكلها فعاقبني الله بما سمعت وفي بعض الاخبار ان ادنى
ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي
وسياتي ان شاء الله كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السالكين ولهذا المعنى كره التزوج من
غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوة وبلوغ نهمته
وذلك في الضرر بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته
عدم صفوته وقال بعضهم من هم بشيء من مباحات العلم تلذذ اعقب
تضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب
معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا تزوج
فثبت على مرتبته وكان ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ النسا
لا يفلح وقيل لبعضهم الا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجال
وانا ما بلغت مبلغ الرجال اي فيه من مكابدة او تجنب ومن مراعاة
توفية حقوقه ومعاناة اخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على
المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له في معاناة نفسه
اعظم شاغل عن ان يضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما يتسلط على
باطنه من خوف الفقر ومحنة الجمع والمنع وما يتكبده بسبب ذلك من

الثّاء ويلاث والتّي خص وذلك علة مضادة لحال المريد وقد قالوا
اذا رايت الصوفي قد ركب الشبعة فان وقد بفرغ قد الشبعة
وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان اكون
جوازا على الجسر وفي الخبر في حق اخر الزمان قال في ذلك الوقت تحل العزبة
قيل وكيف ذلك قال يعير الرجل فيحمل ما لا يطيق فيورده
موارد الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين
الخفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما الخفيف الحاذ قال الذي لا اهل له
ولا ولد وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه اياكم والاستمتاع بالنساء
والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مطايا
وحصد من يخرج ادم من عطف اليهن بكليته فقد عطف الى حب الشيطان
ومن حاد عنهن بالتبري منه وما امال الشيطان الى احد كميله الى من افتتن ن
بالنساء وان النساء معهن حيث كنّ فاذا رايتم فتنتكم من قرب اليهن
فابعدوا منه فان لا يجربه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم
ثلاث فذكر النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم معصوم وقد يلحق ما كان فيه
معنى هي عورة الرجل ظاهرا وباطنا ان اظهرت له المحبة اهلكته
وان احبتهن له اغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من
فتنتهن انتهى كلام سهل رحمه الله وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه
كان يسعى للرجل اذا خير ان تضرب عنقه وبين ان يتزوج امراة في الفتنة
لاختار ضرب العنق على تزويج امراة في الفتنة وانما قال ذلك لما
يؤول اليه امر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الاثام في زمن
الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة من التعرض لارتكاب
لشيء من معاصي الله تعالى فان قارب شيئا من ذلك المريد فهو دا
عظم في حقه وقد قالوا ولذة بعد الارادة اقبح من سبعين ولدا قبل

الارادة

الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الامانة قال بعض الانبياء
في مناجاته لربه لو عفوت عن فلان في ذنبه بعد عظيم نعمك فاوحى
الله اليه لبيس الذنب في الغيب ما الذنب في البعد وسئل بعض
هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم
سوء ادب المريد ان يميل الى اهل الدنيا وان يتقرب منهم وان يجيبهم
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن شان المريد التباعد
عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينقص
بهم قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله
ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان
فان تعرض لاستجلاب ذلك فهو اشد قال يوسف بن الحسين الرازي رضي
الله عنه رايت افات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق
النسوان قال الامام ابو القاسم رضي الله عنه ومن اصعب الافات
في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع
الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله
ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد عن مجالسة
الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران
ونعوذ بالله من قضاء السوء وافات المريد كثيرة وانما نبهنا هاهنا على بعض
ما يعظم فيه الخطر والضرر مما حذر منه ابو القاسم رضي الله عنه و
وبالغوائل المتصلة به والنهي عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون ذلك
مراد المؤلف رحمه الله بقوله من جهل المريد ان يسيء الادب فهذا ما
تحملنا منه هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريد كثيرا
والله ولي التوفيق الا عبد الغافل [illegible] الله بوجوده [illegible] ودوامه رايت

وارادتك عليها مع طول الازدياد فلا تستحقر من مانحه مولاه فلا تنكر لمن
عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله
المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا
من حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبوديته له وطلبا
لمرضاته وهؤلاء هم العارفون المحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم ليتجاوزوا
وانفوا في الاعمال والطاعات ليجازون عليها برفع الدرجات في الجنات وهؤلاء
هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم مقام في مقامه الذي كوشف به برد
الحق اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا أقامه
الله تعالى في اعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وامكن في ذلك بالمعونة
والتيسير فذلك قدرته من اختيار الله تعالى فلا تستحقرن ذلك لاجل انك لم تر
عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بل يري
المريد المختار وبهجة المحبين من التشغف بمرضات محبوبهم والانبساط والادلال
بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالاهي الذي اورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله
وورده فجهول يخرج عن كونه عنايته وحبته ورعايته فلم يستحق خصيم ما منعه
منه ويستثقل كثير ما ركبه وفعل ذلك الا من وجود جهله ونقصان عقله وبيانه
من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الورد الا جهول *قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم*
اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
اي الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون فطائفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون
والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا لغيبته والدخول
الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى ابن معاذ رضي
الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الآخرة
الجنة فاذا اشتغل العبد ابتغى الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص

منعه

منعه ذلك مما ذكرنا من الاستحقار وطلب الاعلى لمن يدعو التدريج والاقتصار
وقال ابو زيد رضي الله عنه اطلع الله على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن
يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم
في كتاب حلية الاولياء عن سهل ابن عبد الله رضي الله عنه انه
قال ان الله تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد ان يقسم
لهم من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد
موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبير عن
نفسه وقال ابو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم
يستصلحهم لمعرفته فيشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فاهملهم
والاشارة بالآية الكريمة التي ذكر المؤلف رحمه الله تنبيه في هذا المعنى *قل ما*
تكون الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود
الاستعداد الواردات الالهية كرامات من الله وتحف وتحفات يكرم بها
عباده فلا تكون في الغالب الا بغتة اي فجأة لئلا يدعوها ويرون انفسهم
اهلا لها بوجود استعداد منهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة
عن ان تعلل باسباب ومنزهة عن ان تقابل بالاعمال بل هي محض جود وفضل من الكريم
المتفضل *من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل*
ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سؤال والتعبير
عن كل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل من اتصف بها لما
قلنا ان الاجابة عن كل سؤال لا تقتضي بل منه الاحاطة بجميع المعلومات
وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور
منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وايضا فانه يجب
عليه ان يراعي حال السائل من وجود الاهلية لما يسأل عنه فيمتنع عن
اجابة من لا اهلية فيه لذلك ويفعل ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع

السايل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فإذا استفهمه وقال له ما
فعلت برأس العلم وهي كذا وكذا فأجابه السايل فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هنالك ثم تعالى حتى أعلمك من غرائب العلم
وكما أخذ الشرع على العلماء ألا يبثوا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن لا آن
يصونوه عن غير أهله فمن لا يعلم هذه المسألة فهو جاهل وأما
التعبير لكل مشهود فلأن فيه نوعا من ابتذال السر الذي يجب كتمه
وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار والسر أمانة الله تعالى عند
العبد فإشهاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين
وأيضا فلأن الأمور المشهودة لا يستعمل فيها إلا الإشارة والإيماء
واستعمال العبارات فيها إفصاح بها وإظهار لها وفي ذلك
إبطال لها وإذ انتهى الأمر إلى أن العبارة عنها لا تزيد إلا غموضا
وانغلاقا لأن الأمور الذوقية يستحيل إدراك حقائقها بالعبارات
فالتطفيف فيها يؤدي ذلك إلى الإنكار والقدح في علوم السادة الأخيار
قال أبو علي الروذباري رضي الله عنه علمنا هذا إشارة
فإذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تعريفه بين
المخلوقات وقد يكون له علم يختص به فإذا ذكره لغيره استغربه استغربه
وأما ما ينتفع به فعدم تعريفه بين المعلومات في ذكرها
من وجود جهله إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المومنين
لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم
عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها إنما جعل ثواب المومنين في
الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين أحدهما أن الدنيا لا تتسع
ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الحس فلأن
الدنيا متناهية المسافات ضيقة الأقطار ويعطي الله تعالى

لآحاد

لآحاد المومنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في
الخبر مسيرة خمسمائة عام فضلا عن ملك جميعهم فتضيق لا محالة
مسافة الدنيا عن تلبية جزائهم وأما المعنى فلأن الدنيا موسومة
بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والأشياء التي يتنعم بها
أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الأخبار أن موضع سوط في
الجنة خير من الدنيا وما فيها وأن نور سوار حوراء يطمس نور
الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز وجل فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما
يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني أن الله تعالى أجل
أقدار عباده المومنين فلم يجعل لهم الجزاء على أعمالهم في دار فانية
منقضية منصرمة لأن كل ما يفنى وإن طالت مدته كلا شيء بل
أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك
به شرفا تسميته إياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في
التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك إلى وليه
ويقول له استأذن على عبدي فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع فيستأذن
له عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل
مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت فإذا فتح
الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت إليك فزرني فيقول هل جئت
بالبراق فيقولون نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله
شوقه ويبقى البراق إلى أن يصل إلى بساط الأنس من وجد ثمرة عمله
عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا ثمرة العمل وجدان الحلاوة
فيه والتنعم به وتيسير الدوام والمواظبة عليه على حال الكرة

واستثقال هذا هو مقابله اللذي فـال بعض العارفين ليس شيء
افضل من البر الا ونه عقبة بخلاف ما الطبع فيها من صبرها بشهوته
افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس في مخالفة
الهوى ثم مكابرتها ترى الابتدا ثم اللذة والنعم قال ثابت البنانى
رضي الله عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة
وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت
به عشرين سنة و قال بعض العلماء كنت اقرا القرءان بلا اجد
له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه
من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جاء الله بمنزلة اخرى بانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم
انما هي ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى
قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق العبد في العمل وجد
حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة
العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفة مقبولة بفضل الله تعالى
ورد في الخبر لا يقبل الله من مسمع ولا مراء في دليل خطابه ان العمل السالم
من الرياء والسمعة مقبول مع قوله عز من قائل انما يتقبل الله من
المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول
المؤلف رحمه الله بعد هذا او ذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الاخرة
حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين
بوجود الجزاء عليها اجلا و قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فحصل من هذا ان وجدان

الحلاوة

الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضى والجزاء ولذلك قال الحسن
رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة اشيا فان وجدتموها فابشروا
وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القرءان
وعند الذكر وفي السجود وزاد بعضهم عند الصدقة وبالاسحار وقيام الليل
ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعة ولذاذة المناجاة
والاستيناس بمقتضى المكاشفات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام
المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على
السائل وقال تراني اعصي من لا اعرفه فقال له او تعصي من تعرفه قيل لبعضهم هل
تعرف انك عرفته فقال لم افعل المعصية لاوقع على قلبي استحياء منه وقال اسماعيل
ابن نجيد رضي الله عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالامر واول العصيان في
حلاوة المعرفة تغير واذا وقعت منه زلة او كبوة بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا
وجد لها في تلك مرارة والما فليعلم ان هذه المرارة والالم في المعصية
علامة كما ان ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعات فهذه هي الحلاوة التي هي البشرى ان
للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها كثير من اهل هذا
الطريق في بعض هذه العبادات بمحض كونه معلولة لانها فيها من تشتيت
العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل
لا ينبغي له ان يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك ايضا لا ينبغي له ان يقصد
بعمله التي نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته
وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون له مبشرا على ما له وحكما على حاله
قال ابو الحسن رحمه الله استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق
الواسطي رضي الله عنه وافهم ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة فيهم
فابعد فيها متطلبا لحلاوتها فيوثق صدق الاخلاص في نهوضك لها وكان ذو امرها
افيرا ما بالوصول وافى لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لربه

وحجبته جلت عن فنون
المشاهدات وعلو الدرجات
٢٤

في الظاهر والباطن فإنما هي لحظ نفسك فيخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة
جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك إذا أردت أن تعرف قدرك
عنده فانظر فيما يقيمك هذا معنى حديث صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه
فإن الله تعالى ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الإنزال المذكور
المنسوب إلى العبد هو معنى الإقامة المذكورة إذ العبد لا فعل له على التحقيق قال
الشيخ أبو طالب قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه إنما يطيع العبد ربه على قدر
منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه فإذا كان العبد لنظر مولاه
مكرما ولحرماته معظما ولمحبوباته ومرضاته مسارعا كان الله له عز وجل في
آخرته لوجهه مكرما ولشأنه معظما ولمحبته من النعيم المقيم مسارعا وإذا
كان العبد لحق مولاه متهاونا ولأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله
له مهينا ولشأنه متهاونا وإلى ما يكره من العذاب الأليم له مسارعا والعياذ
بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم
أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك إني عالم بخلقي إنما أكرم من أكرمني وأهين
من هان عليه أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي متى رزقك
الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة
المطلوب من العبد شيئان إقامة الأمر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن
وهو الاستغناء به عن غيره فإذا رزق الله العبد هذين الأمرين فقد أسبغ
عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الغاية القصوى في الدنيا والآخرة سبحانه
جل وعلا وقال رضي الله عنه خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك إن كان لابد من
الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك
من طلبك لحظوظك ومرادك لأنها حينئذ تكون بك وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا
من غير تأخير وأما إن طلبت منه حظ نفسك أو نيل مرادك فقد يقع في ذلك تأخير

ومنع

ومنع ما يأتونك حسبنا من حصر الأدب في الطلب يحكى عن
أبي الحسين الوريلي رضي الله عنه قال وصف لي بالشام كبير الشأن
أسوة يتكلم على القلوب فقصدته فلما رأيته معه شيء
من الفقر حاجة يريد أن يبيعه فبسط رحمته وقلت بكم تبيع هذا فنظر إلي ثم
قال اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك شيئا قال
فصاحبته إلى غيره وتجاهلت كأني لم أسمع ما قال وسألت غيره هل
كان بي منذ يومين جوع فقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلي وقال اقعد
فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا
قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئا ومضى فقال فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئا ثم
فالتفت إلي وقال إذا عرضت لك حاجة فلا تنزلها بالله إلا أن يكون لك
فيها حظ فتحجب عن الله ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله
عنه اللهم وكل سؤال سألتك بعد أن يكون لي بالسؤال فاجعل
سؤالي إياك سؤال من يحبك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع
الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم إني أسألك
ترك ما لا يعنيني واستعيذ بك من كل أمر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل
من يشغله عنك ما أراده منك إلا ما هو لك اللهم اجعل عنايتي
اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكرى لا يريد بذكره منه إلا ما هو لك صح
إليك ما هو لك ولا تجعل نصيبي إليك ما طلبته منك الحزن على فقدان
الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار هذا هو
الحزن الكاذب الذي يكون عنه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين
جارية وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه
وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة العدوية رضي الله عنها
رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ
لك أن تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من
مقامات السالكين وهو يبعث على الانكسار والاجتهاد في الأعمال
والنهوض إلى الطاعة على كل حال قال الشيخ أبو يحيى الدقاق صاحب

الحزن ينقطع من طريق الله انتهى ما لا يقطعه من يقطع حزنه
في سنين وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة اذا احب الله
عبدا نصب في قلبه نائحة واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة وقيل
الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة
فاذا الحزن الذي يحرك العبد نفسه الى ان يبعثه على النهوض والانكماش
والاجتهاد فذلك من علامات الاعتزاز وليس يعلم السالكين
والابرار اما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته
بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده الاشارة
تكون من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهي التي يستعملها اهل
اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما
تقع عند قوله من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد
فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله اقرب اليه من
اشارته غير عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة في شهوده للاغيار
بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب عن الاشارة
والمشير والمشار اليه وسئل الدقاق عن المريد فقال حقيقة
المريد ان يشير الى الله عز وجل فيجد الله مع نفس الاشارة فقيل له
فالذي يستوعب حاله قال هو ان يجد الله باسقاط الاشارة وسئل
ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة
عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة
تصحبها العلل كما بشرح مولانا سيدي احمد زروق عنه رزقت المشاهدة
والذوق ببركة زروق وقد نقلنا كلامه عن ابن عباد الشيخ ابن سعيد
نفعني ببركاته واياكم من حيث لعل عليه العمل الكبير فجعلها العلل
والعلل بعيدة عن عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة
اشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق

وليس لهم

وليس لهم الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله اكثرهم
اشارة اليه الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية الرجاء مقام شريف
من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه
في الحزن لان من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه واما الرجاء
الكاذب الذي يقعد صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب
فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه امنية واغترار بالله تعالى
وقد ذم الله قوما تمنوا مثل هذا واصروا على حب الدنيا والرضا
بها وتمنوا المغفرة على ذلك يسماهم خلفا والخلف الردي من الناس
فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله عنه
طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع
من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قالوا من زعم
ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك يلزمه ان طلب الربح في الفقر وقحم
النار من البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني
المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن
الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قوله تعالى
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول
رضي الله عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى
يحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بالامانية خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب
ابو نعيم ابن عمر المنصوري الى بعض اخوانه اما بعد فانك اصبحت تامل بطول عمرك و
تتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا مطلب

العارفين من الله بالصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية
مطلب العارفين من ربهم أعلى من مطالب غيرهم سواء كان زهادا
أو عبادا أو علماء لأن مطلب العارفين إنما هو الصدق في العبودية
والقيام بحقوق الربوبية بقطع النظر عن مراعاة حظ ولا بقاء، هو
نفيس وقل من عاد إليه لم يبق له من الحظوظ والأغراض في مطالبهم
وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله حين ما تطلبه منه ما هو طالبه
منك قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه شتان بين من همته
الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور بسطك
كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك
عنهما كي لا تكون لشيء دونه القبض والبسط من الحالات التي
يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين
وسببهما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتها وضعفها بحسب
قوة الواردات وضعفها والمقصود ها هنا أنهما نعمتان وحالان
ناقصان بالنسبة لما فوقهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده
فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم إخراجه عنهما بفنائه عن نفسه
وبقائه بربه قال الواسطي رضي الله عنه القبض أولا ثم البسط ثم لا
قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقعان في الوجود وأما مع الفناء
والبقاء فلا وكان الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني
والحقيقة تجمعني والحق يفرقني إذا قبضني بالخوف أفناني عني
وإذا بسطني بالرجاء ردني علي وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني وإذا فرقني
بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير مسكني
وموحشي غير مؤنسي بحضوري أذوق طعم وجودي فليته أفناني
عني فمتعني أو غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف
المعارف

المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله هاهنا اختصارا فمن
أراده فلينظره هنالك العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ولا يقف
على حدود الأدب في البسط إلا قليل إنما اشتد خوف العارفين في البسط
من أن يستفزهم البسط من قبل ما لا يعتقد لأهواء أنفسهم بخلاف القبض كما سيقول
المؤلف الآن فيخرجون ويخرجون حينئذ من رجوعهم إليهم وذوقهم إلى نفوسهم
وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي إلى الجنيد رضي الله
عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لا تذوق بعدها
خيرا أبدا ومن ثم تتأكد عليهم في ذلك ملازمة الأدب ودوام الانقباض والانكسار
وذلك أمر عسير في هذه الحال ولذلك لا يقف على حدود الأدب في البسط إلا
قليل كما قال المؤلف رحمه الله وقد قيل قف على البساط وإياك والانبساط
وقال أبو محمد الجريري رضي الله عنه كنت على بساط الأنس ففتح علي طريق
البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل إليه دلني على الوصول إلى ما كنت
عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخي الكل في قهر هذه الخطة لكني أنشدك أبياتا
لبعضهم وأنشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال الانبساط مع الحق بغير أدب فقال الأستاذ
أبو القاسم القشيري رضي الله عنه من هذا أخفى على الأكابر والزهاد، قال في لطائف
المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم
القبض أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذ هو في أسر قبضة الحق وإحاطته
الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم
وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف وإبهام الخاتمة

يستفزهم

وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى فإن قيل أخبرني بعض الصوفية فقال إن
شيخنا أحسن بخبر في المنام بعد موته مقبوضا فقلت له يا أستاذ ما لك مقبوضا
فقال له يا أخي القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة
قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط اه البسط أن تأخذ النفس
منه حظها مع وجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه في هذا إشارة
لما تقدم من أن مراعاة الأدب في البسط أمر عسير وذلك أن في البسط وجود حظ
النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تتمالك حتى تقع في سوء الأدب و
القبض ليس فيه حظ النفس فلذلك كان أسلم وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رضي
الله عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه ولأن تكون بحقه
منك أتم من أن تكون بحظك منه وأما آداب القبض والبسط فلا أعلم أحدا من
أهل هذه الطريقة أشفى في الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وإنما وجدت النبذ من
ذلك إشارات إلى أمور جملية كقول الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه
بعد أن تكلم على لفظتي القبض والبسط وتبيين معانيهما إلى أن قال وقد يكون
قبض يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري له موجبا ولا
سببا وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت
لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه
ولعله يعتد ذلك منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض
فإن الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف
صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون يهز
ومراعاة الأدب فإن في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال
بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي اه كلام الإمام
أبي القاسم وقد رأيت كلاما مستوفى في آداب القبض والبسط للشيخ أبي شرطها ح
الحسن الشاذلي رضي الله عنه أحببت أن أذكره هنا لتتم الفائدة التي قصد

لها

لها المؤلف رحمه الله تعالى وإن كان كلام الشيخ أبي الحسن في ذلك مما
هو عند غيره من أئمة الصوفية فقال رحمه الله القبض والبسط
قل ما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والحق يقتضي
منك العبودية فيهما فمن كان في وقت القبض فلا يخلو إما أن يعلم سببه أو لا يعلمه
وأسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك
أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك في نفسك أو في عرضك أو ينسبك لغير دين
تقنيض ح وغير ذلك فإذا ورد عليك القبض من هذه الأسباب فالعبودية أن ترجع
إلى العلم فتستعمله كما أمرك أما في الذنب فالتوبة والإنابة وطلب
الإقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فالتسليم والرضى والاحتساب
وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع
عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فإن فعلت ما ألزمتك به من
الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من
نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه وما أحسن ذلك إذا رحم
الله بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله إن الله يحب المتو
كلين وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار
فالقبض أشبه شيء بالليل والبسط أشبه شيء بالنهار فإذا ورد القبض
بغير سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون عن ثلاثة أشياء عن الأقوال
شمس ح والحركات والإرادات فإن فعلت فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك
أو يبدو نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تبصر بها والنجوم نجوم
العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وإن تحركت في ظلمة ليلك
فقل ما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبض
جميعا وأما ما كان وقت البسط فلا يخلو إما أن يعلم له سببا أو لا يعلم

لاسببا في الاسباب ثلاثة زيادة الطاعة او نوال من المطالع كالعلم والمعرفة
والسبب الثاني زيادة من الدنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة
والسبب الثالث المدح والثناء من الناس واقبالهم عليك وطلب
الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه
الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى اثار النعمة والمنة من الله
عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وحظها ان يلازمك
الخوف خوف السلب مما بدا نفع عليك فتكون ممقوتا هذا في جانب
الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي نعمة
ايضا كالاولى وخف مما بطن من افاتها واما مدح الناس لك
لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة فيما ستر
عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك
فيمقتك اقرب الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا
فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء
والرجال اللهم الا ان تقول سلم سلم الى الممات فهذه اداب
القبض والبسط في العبودية جميعها ان عقلت والسلام انتهى
ما ذكر الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي
بيده سوابغ المنن : ربما اعطاك فمنعك وربما منعك
فاعطاك : منع الله تعالى عبده من نيل شهواته والكون
فما شي فجاد اليه عطاء جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن
حظوظه واغراضه وحرره منها وعكس هذا هو المنع على
التحقيق وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محيي الدين
بن العربي اذا منعك فذاك عطاؤه واذا اعطيته فذاك منعه
فاختر الترك عن الاخذ فالواجب على العبد ان يترك الله يبير

والاختيار

والاختيار لمن بيده ذلك فلن يجد فيه خيرا : متى فتح لك
باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء : قلت سيأتي
بيان هذا من كلام المؤلف في قوله متى اعطاك اشهدك بره
ومتى منعك اشهدك قهره الى اخره : الاكوان ظاهرها
غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب
ينظر الى باطن عبرتها : الاكوان هاهنا كل ما يمكن ان يكون
للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر
قبيحة الباطن كما قيل تحلو على وجه حسنه وملاحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا
فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة
فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها
والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي في الكتب
السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله صف لنا اولياء الله تعالى الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا
نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن
الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا
منها ما علموا ان سيتركهم فصار ذكرهم فيها اقلالا وفرحهم فيها حزنا ما
عارضهم منها رفضوه وما اقترب لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم
يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها هدموها
وبنوا بها اخرتهم احبوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره
ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب كان بعض
العلماء يقول ما استحسن لي زينة من زخارف الدنيا الا كشف لي عن قبحها فظهر في عزوف
عنها فلذلك طالب الحكمة فهي عناية من الله تعالى لعبده وتيسير من اوليائه المقربين

نظر الناس الى ظاهرها ونظروا الى اجل الدنيا حين

منه فمن شهد الدنيا بأولها
لم يغتر بآخرها ومن عرفها بباطنها
حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن
كشف له عن عاقبتها لم يستهوه
زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول
ويلكم علماء السوء مثلكم
مثل قناة حش ظاهرها
حسن وباطنها نتن

أردت أن يكون لك عز لا يفنى
فلا تستعزن بعز يفنى

العز الذي لا يفنى هو الغناء عن الأسباب
كلها بوجود مسببها
لأنه باق لا يفنى والتعلق
به عز وجل لا يفنى
والعز الذي يفنى هو
الغناء بالأسباب
مع الغيبة عن مسببها لأنها
فانية والتعلق بها عز فان لا يبقى

والتعلق بالله عز لا يفنى

وليس

وليس ذلك إلا أحدهما لأنهما ضدان لا يجتمعان
فإن اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يفتك راحة أبدا
لك يحكى أن رجلا أمر بالمعروف لهارون الرشيد
فحرد عليه هارون وكانت له بغلة سيئة
الخلق فقال اربطوه معها فإنها تقتله
فربطوه معها ففعلوا ذلك فلم تضره
فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه
الباب ففعلوا ذلك فرئي
في بستان وباب البيت مغلق
فأخبر هارون بذلك فأوتي بالرجل فقال من أخرجك
من البيت فقال اركبوه على دابة وطوفوا
به البلد وليقل قائل ألا إن هارون
أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر وإن اخترت
العز بالأسباب فنيت لذتك وأسلمتك أحوج
ما تكون إليها وكنت في غاية الذل والهوان
حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا
في الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس
فبعد ذلك بمدة رأيت إنسانا يتكفف
الناس على الجسر ويسأل شيئا فكنت أنظر إليه
وأشبهه بذلك الرجل فقال لي لم تنظر إلي فقلت
أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا
فقال أنا ذلك إني تكبرت في موضع يتواضع
فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس

قال الذي أدخلني البستان فقال ومن أخرجك من البستان قال الذي أخرجني من البيت

فالسالك في التوحيد فإن اعتززت بالرحمن عزك وإن اعتززت
بغيره فلا بقاء لعزك وإن اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك
إذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال الشاعر وأنشدنا بعض
الفضلاء لنفسه

ليكن بربك عزك يستقر ويثبت ❊ فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

قال ودخل رجل على بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شأنك فقال مات
أستاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك يموت ويقال
لك إذا اعتززت بغير الله فقد تذل أو ستنتقل إلى غيره فعند ذلك
انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا
لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله
إلا هو وسع كل شيء علما الطي الحقيقي أن تطوى
لك مسافة الدنيا عنك حتى ترى
الآخرة أقرب إليك منك

طي مسافة الدنيا إنما يتصور من العبد إذا
أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنطوي الدنيا
في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة
لديه موجودة عنده بل يراها أقرب إليه منه
إذ الدنيا فانية منطوية بعين الاعتبار وإن كانت
هنا مشاهدة فلا يتصور فيه حب العاجلة العاجل
وهو الدنيا واستبدل الدنيا الحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك كان أهل الغفلة
في الدنيا وإيثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن أشرق في قلبه نور اليقين يشاهد
الملك الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهي لا شيء فما تكون فيه عند الله تعالى شيئا
بهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به أولياءه، ولـ تحقق

عبيد يتهم

عبيد يتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الأرض الذي ربما يكون استدراجا
ومكرا ولا طي الليالي والأيام بالوصال الصيام وترك الشراب والطعام إذا
لم يتمحض طاعة ونشر أو سيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لو أشرق نور اليقين
لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت
كسفة الفناء عليها. العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله
إحسان عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير
الله ومنويك مع حظوظك وشهوتك ومنع الله لك إحسان لأنه ألزمك
الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وإن شئت قلت العطاء من
الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتعلقك منتهى أخذ
عطيتهم والمنع من الله إحسان لأنه حبيبك وكل ما يفعل المحبوب محبوب
ولله در من قال ❊ فلا ألبس النعما وغيرك ملبسي ❊
❊ ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب ❊
وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيرك
عليك مغرما وقال بعضهم حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عن
النزاهة أشرب من سرور العابد رضي الله عنه من جهلنا أن يعامله العبد
نقدا فيجازيه نسيئة جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل
ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه في الدنيا لحملهم على الاجتهاد في الأعمال أنموذجا
وتحققهم به وجود قبوله لها بكل الأحوال وذلك لعظيم كرمه وجميع فضله
سبحانه جل وعلا كفاك من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها
أهلا هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه عرفهم بعظمته وجلاله وكبريائه
ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لأن يكلفهم القيام بطاعته
ويمدهم فيها بتيسيره ومعونته فيسر لهم حينئذ حبه واستولى عليهم
قربه بالخصوص فإذا ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم النعيم

كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين
الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ لا اجلة كفى
العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم
من وجود مؤانسته هذا بيان لما يحصل لهم من
الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم المعارف ويورد على
قلوبهم من انواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتمتعون به
في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى
دونه كل جزاء وفي هذا المعنى قال بعضهم يقول التملق للحبيب
والمناجات للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة اظهر
لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا
لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم
اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان الداراني
رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد
ولم لا ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه
وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم
وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل
بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري واني مطلع عليهم
في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل
ما هذا البكاء هل رايتم حبيبا يعذب احبابه ام كيف يجمل بي
ان اخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا علي يوم
القيامة لاكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر
اليهم من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته

ورود

ورود العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه
عمل العاملين لاجل حصول الجزاء او دفع العقوبة المولى
مدخول معلول ليس من شان العارفين المحققين
لان قيام العبد بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل
لاجل حظه وجلب ثواب او دفع عقاب لانه عبد يستحق
عليه مولاه كل شيء ولا يستحق هو عليه شيئا وهذا هو من اعلام
المحبة لله تعالى لان المحب يتبع الهمم بامر محبوبه لا مراد له الا ما اراد فعلى العبد
ان يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي
لا يشاركه فيها احد فمن خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه
وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل
ابن عبد الله التستري رضي الله عنه عندما طلعت شمس ولا غربت على
اهل على وجه الارض الا وهم جهال بالله تعالى الا من يؤثر
الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه واخرته وفي اخبار
داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الاوداء
الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما
نقل عن وهب بن منبه في الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او لنار
ولو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع او كما
قال عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى
مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه ومر عيسى
عليه السلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم
الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا نحن عباد فقال ولاي شيء
تعبدتم قالوا خوفنا الله من النار فخفنا منها فقال

حق على الله ان يوبخكم فيما خفتم منه ثم جاوزهم فمر بآخرين اشد
عبادة منهم فقال لاي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما اعد
فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم
جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما انتم قالوا المحبون لله
عز وجل لم نتعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما
لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم فاقام بين اظهرهم وفي
لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للاخرين انتم المقربون حقا
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول وانهم
في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو حازم المدني كان يقول
انه لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب فاكون مثل عبد السوء
ان لم يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون كالاجير السوء
ان لم يعط اجره لم يعمل ولكن اعبده محبة له ~~قال الشيخ ابو طالب~~
~~وقد روينا بمعنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون احدكم~~
~~كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم~~
يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ ابو طالب وقد روينا بمعنى هذا الكلام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون احدكم كالعبد السوء ان خاف
عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال بعض اخوان معروف
رضي الله عنه اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك على العبادة و
الانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقلت
ذكر القبر فقال واي شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال واي
شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع هذا وان
كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال ابو طالب وحدثونا عن

علي

علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت
رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه
من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة
يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما
الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص
ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف
الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا
له فقد اباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخوين
بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عن جميعهم فقال اجها
له وروينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان الثوري
يجلس بين يديها فيقول علمينا مما افادك الله من طرائف
الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا
وكان يعترف لها ويصدق قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يوثر
كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب الدنيا وقالت للثوري يوما
لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال ما
في النار
عبدت الله خوفا من ناره فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا
للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا
اليه والاثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تحصر وانما اعمل الزهد
في ما ذكرناه كان عبد الله فعلا او طلب منه الثواب او استعاذ به من
العقاب فانما يطلبه او يستعيذ به انجاز الموعود به ومرادا من المولى
رويته حظه واتباعا لما احبه منه واراد له فيه من طلبه وفضله
واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا او ما اشبهه هو المعنى بالحديث
المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم إني أسألك الجنة
وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ دندنة ح
فقال حولهما ندندن فلا بد أن يكون رجاء في الحصول في ذلك وخوفه
من فوته باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله
ابتغاء ذلك مع خوف معلول من جهة مقام ما إذا هو فيه العارفين والمحققين
وعليه تبتني فوائد التصوف كلها **متى أعطاك أشهدك بره**
ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف إليك
ومقبل بوجود لطفه عليك المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو
عليه من الصفات العلية والأسماء الحسنى ولا سبيل لهم إلى معرفته
إلا بتعرفه لهم وتعرفه لهم إنما يكون فيما ينزله بهم من النوازل أو يورده
عليهم من الأحكام ثم هي على قسمين ما وافق الهوى والطبع
ويسمى في ذلك عطاء وما خالفهما ويسمى منعا فيجري في العطاء
تشهد صفات الله العلية من الجود والكرم والإحسان واللطف
والعطف وغير ذلك وفي وجه المنع تشهد صفاته القهرية من الجبروت
والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغي لذلك للعبد أن لا ينفر وينظر
أمارات معرفة ربك ولم يستوقف حب حظك إلى ما منعه لك عطاء
في التحقيق فهو في كلتا الحالتين متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه
عليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله باب
العطاء في المنع على المنع يوجب عين العطاء والله أعلم
قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت أبا حبيب
البكي وي أسلم عليه ولم أكن أراه فقال لي أنت أبا سفيان
الثوري فقلت نعم فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط
الأمر بنا خلفت أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر منه خيرا قط
إلا

وبوجود ح

فقلت نعم ... بإذن الله عز وجل ح ح

عطاء منه لهم

إلا منه ربنا ثم قال لي يا سفيان منع الله عطاؤه إياك وذلك أنه لم
يمنعك من بخل ولا عدم وإنما منعه لك نظر منه واختيار يا سفيان
إن فيك الإنس وهو لك شغل ثم قال فإنما تبدل على غشيمته وتركني
إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه إذا كان منع الله وعطاؤه نعمتين
عظيمتين كما ذكرنا في الآن فينبغي أن يكون في كليهما قرة عين المريد
وأن يتلذذ بالمنع ولذة العطاء فإذا لم يكن ذلك لعدم فهمه وقصور علمه وإنما الأمر
وكلا حصل له أن يألم بالعطاء ويلذ بالمنع كما قال إبراهيم الخواص رضي الله
عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان أحدهما الثقة بالله
والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلي به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير
حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه أن يجد للمنع
من الحلاوة ما لا يجد في العطاء لا يعرف غير ربه الذي خصه بعطيته وأياديه فهو
بين صوفي عليكم ولا يملك إلا ما كان من تمليكه وكل شيء له خاضع انتهى
وكل شيء له تابع وكل شيء له خاضع ح ح
ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك
بالذنب فكان سبب الوصول ينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشياء وينظر إلى حقائقها
بقربها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها إلا إذا تحققت من كل
آفات القلوب حسب الإخلاص فيها وذلك مانع من وجوب القبول
لها ووجود صورة الذنب لا يقتضي الإبعاد والطرد بل ربما يكون ذلك
سببا في وصوله إلى ربه وحصوله في حضرة ربه كما قيل رب ذنب أدخل
صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
الله فيغفر لهم وفي ذلك أنه يصحبه عند عمله بالطاعة اغترار يعجبه
به واعتماد عليه وتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه

عنده وقوعه في الذنب الالتجاء إلى الله تعالى فيه والاعتذار إليه
منه واستغفاره وتعظيمه من لم يعظموه قال أبو حازم رضي
الله عنه أن العبد ليعمل تسره حين يعملها وما خلق الله من
سيئة أضر له منها وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه
حين وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد
حين يعمل الحسنة تسره ويرى أن له بها فضلا على غيره
ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وإن العبد ليعمل
السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث
له بها وجلا حتى يلقى الله وإن خوفها في جوفه لباق
ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله
معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت
عزا واستكبارا الذل والافتقار من أوصاف العبودية والعز
والاستكبار منافيان لها لأنهما من صفات
الربوبية ولا خير في الطاعات إذا لزم عنها
شيء مما ينافي أوصاف العبودية لأنها
تحبطها وتبطلها كما لا مبالاة بالمعصية
إذا لازمتها صفات العبودية لأنها أيضا تمحوها
وتزيلها قال شيخ أبو محمد رضي الله عنه انكسار (قدس الله سره)
العاصي خير من صولة المطيع وكان شيخ
أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه كثير الرجاء
لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة
وكان

وكان يكرم الناس على قدر رتبهم عند الله حتى إنه
ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما
دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك
الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي
دخل عليه بكسرة معاصيه وذلته في العبودية وفي
تقدم من مثل هذا عند قوله ولا يعظم الذنب عندك عظمة
تصدك عن حسن الظن بالله ومن هذا المعنى ما روي
عن حسان ابن أبي عباس رضي الله عنه قال خرجت يوما مع أنس
ابن مالك رضي الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها
أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان
الله سوق البصرة سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها
أحد فلأكونن خامسهم فمضيت معهم فمضيت معهم بها ودفنوه
بالمصلى فقالوا تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء
فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا
اكترتنا تلك المرأة قال فتبعتها في منزلها فلما كان بعض
ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فدخلت في شيء
فقلت لا ينبغي إلا الصدق وأخبريني ما القصة فقالت
لي إن هذا ابني ما ترك شيئا من المعاصي إلا فعله فمرض
منذ ثلاثة أيام فقال يا أماه إذا أنا مت فلا تخبري بموتي
جيراني فإنهم لا يحضرون جنازتي ويشتمون بموتي واكتبي
على خاتمي هذا لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه على
كفني فلعل الله تعالى يرحمني وضعي رجلك على خدي وقولي
هذا جزاء من عصى الله وإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله

نفسي وفوق أن رضيت عنه فأرضى عنه فلما رآني قد فعلت جميعا
ما أوصى فلما رفعت يدي إلى السماء سمعت صوتا
فسألني فصيح انصرف بالأمان فقد قدمت على رب
كريم رحيم غير غضبان عليك فما أدري مما ضحكت من هذا ومن
المعنى الآخر ما روي أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا من
بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد
ارفع فوالله لا يغفر لك فأوحى الله عز وجل إليه أيها المتألي
علي بل أنت لا يغفر لك وقال الحارث المحاسبي رضي
الله عنه إنما تألى على الله عز وجل لا يغفر له لعظم القدر
نفسه عنده وأن الإساءة إليه عنده عظيمة
لا يغفرها الله تعالى لعبادته وسجوده لأنه عند نفسه
عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا واغترارا
بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روي أن
عيسى عليه السلام خرج ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل
فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد
منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم
اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين هذا
العاصي فأوحى الله إلى عيسى أني قد استجبت
دعاءهما جميعا ورددت ذلك الصالح وغفرت لذلك
المجرم وروي عن الشعبي وروي أيضا عن الهيثم بن أيوب
أن رجلا كان في بني إسرائيل يقال له خليع بني إسرائيل لكثرة
فساده مر برجل آخر من بني إسرائيل يقال له عابد بني
إسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال

الخليع

فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل
فلو جلست إليه لعل الله أن يرحمني به فجلس إليه فقال العابد في
نفسه أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس
إلي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان
مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل
العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على
رأس الخليع فقال الحارث بن أسد المحاسبي وإنما أراد
الله عز وجل من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم
فإذا تكبر العالم والعابد وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبة
لله عز وجل وخاف منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد
والعالم بقلبه نعمتان ما خرج موجود عنهما
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد
ونعمة الإمداد نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد نعمتان
لازمتان لكل مكون موجود باق لأنه في ذاته معدوم متلاش
فنعمة الإيجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يبرز له وجود وأما نعمة
الإمداد فإزالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفنى قال
سيدي أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد
والمادة من عين الجود فلو انقطعت المادة انهد الوجود
وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد
أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي الإمداد
هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة
وهو وجوده ودوام وجوده ومعناه
لا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع

هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبته والطاعة في قلبك وامحاؤها وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا الوسيلة اليها ولولا توفيق الله تعالى له بتحقيق النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه انه من تفكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة اغاليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم من مختلف النحل والآراء ثم افتكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره واحواله وشدة حاجته الى الاستعانة باشكاله في اعطائه ثم راى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عينه عن غبار التهمة وشبه الشبهة علم ان ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه وجهده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه والناشر

نعمه

نعمه عليك متظاهرة والباطن بالطافه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يتبجح بذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينج توحيده من النار وعن ذي النون المصري رضي الله عنه ما هو قريب من هذا المعنى من كان في توحيده ناظرا الى نفسه لم ينج توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به ايضا فمن افضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا منه على دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في تصريف الاحوال اذ هو امد الاعمال اذ هي مكان النوال وهو قلب قلوبنا على التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب ابداننا في الاعمال اي شيء كنا نصنع وعلى اي شيء كنا نعول وباي شيء كنا نطمئن ونرجو فهذا من اكابر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة واخاف على الايمان ~~بسلب الايمان~~ لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ ابو طالب رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى فالشكر بعد ما قدمنا ووجوه الاسباب التي ذكرت لك مما يخفى عليك منها والنعمة الذاتية

[illegible]

انت معها العوارف اذا ثبت ان نعمتين الايجاد والامداد لازمتان
لك وانك في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار
لازم لوجودك وان كنت متنعما بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك
امر عرضي والامر الذاتي لا تزيله الامور العرضية وانما اوجد عليك
الاسباب التي تحفظ وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما
خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك
فتلازم مركزك وتقف عند عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك
قال بعضهم انما ادعى فرعون انه قال انا ربكم الاعلى لطول العوافي
والغفلة لبث اربع ماية سنة لم يتصدع راسه ولم يحم جسمه
ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته [illegible] الرجوع
الشقيقة ساعة واحدة او الحمى كل يوم لشغله ذلك عن [illegible]
فالعارف لطائف المنن الاضطرار صفة ذاتية حقيقية للعبد اذ هو
ممكن وكل ممكن مضطر الى [illegible] وجوده وعدمه وكان
الحق سبحانه هو الغني ابدا فالعبد مضطر اليه ابدا ولا
يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة
فهو محتاج الى الله تعالى فيها لانه مخلوق اضطراره في الجنة
التي امر [illegible] عليه ملابسها وهذا حكم الحقائق اذ لا يختلف
حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم
صفته الكشف اي علم كان وفي اي وقت كان والارادة صفتها
التخصيص اي ارادة كانت وفي اي وقت كانت ومن انسلخت
انواره لم يقف اضطراره وقد عتب الله اقواما اضطروا
اليه عند وجود اسباب الجاتهم الى الاضطرار فلما
زالت زال اضطرارهم قال الله سبحانه

واذا مسكم

الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا
مس الانسان ضر دعانا الآية وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى
ولهذا لم تزل عقول العموم التي ما تحققت بحقائق وجود [illegible]
سلط الحق عليهم الاسباب الكثيرة الاضطرار لهم مواقع ربوبيته
وعظمة الالهيته خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك
انما كان هذا
خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك
عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهي لا محالة
خير اوقاتك وفيها انسك واعيادك حسبما يقوله المؤلف
رحمه الله بعد هذا وحكي عن عطاء السلمي رضي الله
عنه انه بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على
شيء فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال الهي ان لم تطعمني
ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة ونحو ان فتح الموصلي
رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا
ولا حطبا فاخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهي
لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما
تعامل به اولياءك وقيل لبشر بن الحارث الحافي رضي الله
عنه بلغنا ان [illegible] على عريه فقيل له
الا تطلب من يكسوها فقال لا اكسيها حتى يرى الله عريها
وصبري عليها فكان اذا كان ليل الشتاء جمع عياله
وقال بكسائه عليهم ثم قال اللهم افقرتني وافقرت عيالي
وجوعتني وجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي باي وسيلة

بذاتي ووسيلة توسلت بها اليك وانما تفعل هذا باوليائك
واحبائك فهل انا منهم حتى افرح وقد بكى
الفضيل ابن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة فرقة ثم
قال الهي اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي
وافقدتني وافقدت عيالي في بيت ليس فيه مصباح
وفيما تفعل هذا باوليائك واهل طاعتك الهي فباي
عمل استحقيت هذا منك حتى اتم وم لك عليه وقيل لربيع
ابن خيثم رضي الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أ
اهون على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه ومعنى
او وحشك من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك باب
الانس به اي فهو يفتح باب الانس بالله تعالى هو الانقطاع
الى مستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس فاذا افتتح لك هذا الباب استوحشت
من الاغيار كلها وتحققت في انسك بربك ومعنى الوحشة منها
ان تشمئز عنها بقلبك وتنقبض عنها بسرك ولا يكون
للاشياء موقع عندك ولا تجد فيها منفعة لك كما جاء
عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلع على انواع من
العجائب ووجد بسببه من الرغائب وكشف له عن الملكوت
الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيئا فقال
لم ار شيئا استحسنه فقيل انت عبد الله حقا فاذا كان
العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحقيقه بمقام(?) الانس ونزوله
في حضرة القدس وسبيله منها القرب في مناجاته وبه انقت(?) به المعنى في قوله في
المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم متى اطلق لسانك

بالطلب

بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب
هو ان يحل عنه عقدة الصمت الذي اوجبها الاستغناء
بالاغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه
هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وانطلق لسانه
بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب
الدعوة لصدق الوعد بالاجابة دعوة المضطر والله لا
يخلف الميعاد وانشد في لو لم ترد نيل ما ارجوا واطلبه
من فيض جودك ما علمتني الطلبا وفي الحديث عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اذن له في الدعاء منكم
فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيئا
فما احب اليه من ان يسئل العفو والعافية في
الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة
قال الشيخ ابو بكر النعالي(?) رضي الله عنه وكيف
لا يحبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له الدعاء
وعن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه
البلاء صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت
الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان
اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع
صوته فاذا قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك
لا تدعوني بشيء الا استجبت لك ولا تسالني

شيئا إلا أعطيتك إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن
أدخرك عندي أفضل منه وإما أن أدفع عنك من
البلاء ما هو أعظم من ذلك. العارف لا يزول اضطراره
ولا يكون مع غير الله قراره. معرفة العارفين فهي أن
معرفتهم بأنفسهم وبما هي عليها من الفاقة ~~والاز~~
والافتقار إلى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك
في أنفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر
من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه
الاضطرار قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله
عنه في قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه
الولي لا يزال مضطرا. قال ابن عطاء الله رحمه الله معنى
كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمؤثرات
الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة
الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة
المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله تعالى
دائم وإنما لم يبق له مع غير الله قرار لوجود
وحشته من الأشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم
وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك أنما تقدم
له من الاستيحاش من الخلق وإطلاق اللسان في
بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين
أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار
أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر
ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك

قيل

قيل إن شمس النهار تغرب بليل وشمس
القلوب ليس تغيب. أنوار الظواهر التي
بها أظهر آثاره أنار هذا الحق تعالى هي الإدراكات
والإحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر
العبد وأنوار السرائر التي بها أنار هذا الحق
تعالى هي المعارف والعلوم ~~ولطائف~~
ولطائف الإدراكات والفهوم التي اشتمل
عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر
متعلقة بأنوار الآثار الإمكانيات وأنوارها
معانيها ولطائفها المستكنة فيها
وأنوار السرائر متعلقة بأنوار الصفات
الأزليات ولأجل اختلاف المتعلقين في
الحدوث والقدم والفناء ويكون ~~المتعلق~~
~~مثله أبدا النبي عليه السلام حيث قال~~
البقا وكان ما ذكره المؤلف رحمه الله
من أفول أنوار ما تعلق بالحادث الفانية
وعدم أفول أنوار ما تعلق بالقديم
الباقي شاهد المؤلف البيت المذكور
مستشهدا به على ما ذكره ومعناه
بين وقبله: طلعت شمس من أحب
بليل فاستنارت فما لها من غروب
وفي هذا تنبيه على أن الأمور
الباطنة هي التي ينبغي أن يغتبط

والعدم ثابت
والغني والفقر
والبقا

ان يغتبط بها ويفرح بحصولها
ويعتني بترتيبها ومراعاة حالها
بخلاف الامور الفانية العاجلة
وحينئذ قال لا احب الآفلين

ويروى ان رجلا سال سهل
بن عبد الله رضي الله عنه
عن القوت فقال هو الحي
الذي لا يموت فقال انما سالناك
عن القوام فقال القوام هو العلم
قيل سالناك عن الغذاء فقال
الغذاء هو الذكر قيل انما سالناك
عن طعم الجسم فقال ما لك
وللجسم دع من تولاه
اولا يتولاه آخرا اذا دخلت
عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت
ردوها الى صانعها حتى يصلحها

وفي معناه انشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل ... والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا ... هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة ... ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى وتبقى دائما في غبطة ... او شقوة وندامة لا تنجلي

اعطيت

اعطيت جسمك خادما فخدمته ... اتملك المفضول رق الافضل
اشركته شيئا انت فيه حملته ... ما دام يمكنك الخلاص فعجل
وتستطيع بلوغ اعلى منزل ... ما بالك ترضى بادنى منزل

وقيل في معناه ابيات

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ... فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وقال رضي الله عنه ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار
اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له في كل
ما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا فينبغي له ان لا يكترث بنزولها
ولا يبالي بوروده لم يتعوذ منه لانه اعلم بمصالحه به هنئ وليعتقد
ان ذلك اختيار المولى له وذلك مصالح لا يعلمها هو كما قال تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
قال ابو طالب المكي يعني والله اعلم ان الفقر يكون العيلة
والفقر والخمول وهو خير له في الاخرة وقد يحب الغنى والعز
والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وانشد ايضا في معنى قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فقيل الظاهرة العوافي
والباطنة البلايا لانها نعمة الاخرة فاذا كان ذلك يحسب
المومن فهو نعمة كما ان ما كان مثله الحمد على نعمه فقال
في التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره
وانشر فيه بنفسه وجمعا عنه ما الالم والعناء

وخيب عني ما الا يخفى لعظمه ٭ بانك انت المبتلي والمقدر ٭
وما لامري عما قضى الله معزل ٭ وليس له مثل الذي يتخير ٭
وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه يقول جربت مرة وكنت بمرو
وحيثية من ذلك بعثلت الحمام بيقي على قلبي شي من الرضا بكنت
التي كل واحد منى تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر وقال الاستاذ
القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رضي الله عنه
يقول في اخر عمره وقد اشتدت به العلة فقال من امارات التاييد حفظ
التوحيد في اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله
هو ان يقرضك بمقاريض القدرة في امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت
ساكت خامد وقال الشيخ رضي الله عنه كنت نايما عند سري السقطي رضي الله
عنه فنبهني وقال يا جنيد رايتني كاني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري
خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم
وبقي معي العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة اعشار
العشر وبقي معي عشر عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا اردتم ولا الجنة
اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت لهم
اني مسلط عليكم من البلاء بعدد انفاسكم وما لا تقوم له الجبال الرواسي
اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شئت فهولاء عبادي حقا
من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره
قصور النظر في عدم روية اللطف في القدر انما هو من جهة ضعف اليقين
وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم اذ لو كمل نظر العبد ونور بصره لراى في ذلك
من الفوايد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر واكثر كما روي عن بعض
الصالحين العارفين انه قال لقد مرضت مرضة فاحببت ان لا تزول وكان
عمران بن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره

سطيحا

سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان
تحته نقب لقضاء حاجته ودخل عليه مطرف واخوه العلا ابن الشخير فجعل
يبكي لما راى من حاله فقال لم تبكي قال لاني رايتك على هذه الحال قال لا تبك فان احبه الى الله
تعالى ثم قال احدثك شيا لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت
ان الملايكة تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال بعضهم دخلنا
على سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شي حتى
كشف فقالت له امراته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت
الضجعة ودبرت العراقيب واصبحت نضوا ما اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا
منذ كذا فذكر اياما ثم قال ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهولاء
الذين شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي عنفه لطفه فاوجب
لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على ان احبوا
زوال ذلك عنهم ولا نقصانه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا
نذكر منها ها هنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله
ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله بها عباده
منافضة لارادتهم ومنقصة لشهواتهم وكل ما انزعج النفس ونغصها
والمها فهو محمود العاقبة من قبل ان ذلك داع له الى الله تعالى وملازمة
بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا من اعظم فوايد البلايا وفيها ذلك
من نفسه كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا ضعف النفس
وذهاب قوتها وبطلان صفاتها التي بوجودها يقع في الذنوب والمعاصي
وتتاكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو
المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني
والمرض قيدي احبس بهما من احببت من عبادي وفيها ايضا تحصل الطاعات
القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح وذلك

قال الاستاذ الكبير هاذه الحالة العظيمة ع ح

مثل الصبر والرضى والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد
الواحد بن زيد رضي الله عنه هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده
فقال حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل
رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا
اني استحيي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب
المكي رضي الله عنه اراد به انه لم يفتح باعماله الى مقامات المقربين
فيوجدك مواجيد العارفين فيكون مزيدك منه القلوب التي يستعمل بها كل محبوب
مطلوب لان القناعة به حال الموقنين والانس به مقام المحب والرضى وصف المتوكل
اي انما انت عنده في طبقة اصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم من
اعمال الجوارح وهذه اشارة الى ما قلناه من افضلية اعمال القلوب
على اعمال الجوارح بمن وفقه الله تعالى الى منازلة هاذه وتوفية حقوقها
في البلايا النازلة فقد حط على كنوز البر ذكر ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم
التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير رضي
الله عنه امتحن بقرحة في ساقه بلغت به الى ان عظم شانه في الموضع
الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس ما يصنع بك
فقال لا ولكن شانكم بها فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا
ولا انكروا منه حتى مسته النار عضوا فما زاد على ان قال حس واصيب حينئذ
بابنه محمد وكان من احب ولده اليه فلما راءا القوم بيده بعضهم قال اما ان
الله تعالى يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها
وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول ليهنك لئن اخذت لقد ابقيت
ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لطال ما اعطيت وذكر ابن قتيبة
في عيون الاخبار له عن المدائني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه
على الوليد فسأله عن سبب ضره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم على

وجه

وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بجميع ما
كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير
والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت الا ورأيت الولد في بطن
الذيب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني رمحة
حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد
ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس
من هو اعظم منه بلاء وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه انه خرج
مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فلاذ بهم السير الى كهف جبل فاذا
فيه عبد مقطوع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له
يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء فلما رجع طرفه الى السماء
وقال يا سيدي باي ذنب سلطت هؤلاء علي ليسخطوني عليك ويكرهوا
الي سيدي والهي اتوب لك من ذلك الذنب واستغفرك منه لا اعود فيه ابدا
قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر بن الحارث
الحافي رضي الله عنه انه قال رايت ببغداد رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت
حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو
نعم من محنة به قال فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان
يكشف ما به واذا دعوت فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته علي ونحى راسه من حجري قال
بشر فاعتقدت الا اعترض على عبد في نعمة اراها عليه من البلاء وقد
روي في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس لجبريل
دلني على اعبد اهل الارض فاتى به الى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال
واذا هو يقول متعتني بهما ما شئت وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت
لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما سالتك ان ترني صواما

فروا ما قال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد امرت ان اسلبه بصره فاشار
الى عينيه فسالتا ثم قال قد متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث
شئت وابقيت لي فيك طول الامل يا بار يا وصول فقال عيسى يا هذا تدعو ندعوا
معك اي يرد عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت
فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته
احب الي من ذلك قال يونس يا عيسى بل تالله ما رايت احدا اعبد من هذا
قال عيسى بل يا يونس ان هذا الطريق ليس يوصل الى رضاه بشيء افضل منه
وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وبهما
ايضا تحصل له كفارات الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات
والعطايا وقد يحصل له الى ذلك الاعتبار بما يرد عليه من انواع البلايا لان
العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة
على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها فيجعل الله تكفير سيئاته
بها وان قدر عليه ولم يتكاسل عنها امره بتخليصها من الشوائب
وتسليمها من الآفات والمعائب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من اتباعه
به امله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان ما يختاره له خير مما يختاره
لنفسه بشهوته وهواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال للرجل الذي قال له اوصني لا تتهم الله في شيء قضاه عليك
وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير وليس ذلك
لاحد الا المومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن
حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وذكر ايضا من حديث عبد الله

بن مسعود

ابي هريرة وابي سعيد الخدري انهما سمعا

يقول

بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما
تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة
وذكر البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس
بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض
اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروي
عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب
والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي عن
نبينا صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والصداع وغير ذلك
ذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وبه حمى يجد حرها من
فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك يشدد
علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الصالحون وان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها
وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى تقتله وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما
يفرح احدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين اي من الآثام والذنوب بالحمى والامراض
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه للحمى اذهبي
الى اهل قباء وقد روي في بعض الاخبار انه لا امرا اهل قباء الا انصار فيه ان
النبي صلى الله عليه وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت فقالت ام ملدم اكل اللحم واشرب الدم وحري من فيح
جهنم

صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا
حقوقا فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق احد من الانصار حضر
الصلاة فطلبهم فقيل اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم
الحمى كفارة وطهارة فقالوا يا رسول الله ادعوا الله حتى يديمها منا
وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب فقال ما لك يا ام السائب
او يا ام المسيب تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي
الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد
وذكر البخاري من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي
المومن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال
في آخر الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما
الكريمتان ايضا وروي ان انس بن مالك وابا ظلال رضي الله عنهما
كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال متى ذهبت عينك قال
وانا صبي لا اعقل قال افلا احدثك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه
الخلود في داري والنظر الى وجهي ومسمى بو هلال ابن سويد ونحو
ابو ظلال المذكور انه سمع انسا رضي الله عنه يقول مر بنا ابن ام مكتوم
فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني جبريل
عن هذا وضربائه الذين ذهبت ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني
جبريل ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ليس له جزاء الا
الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احد

عبد

عبد يحزن ذهاب عينيه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد
لله بصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رحمهما
الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنه ان امراة سوداء اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي قال
ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت
اصبر قالت فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها الى
غير ذلك مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا
يحصى كثرة ويحصل له ايضا تجديد التوبة واداء الحقوق
والتباعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة
ذكر الموت اذ هو اقرب اليه مما تذكره فقد قيل الحمى بريد الموت وقيل
في قوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يستغفرون اي يختبرون بالعلل وفي حديث عايشة وانس رضي الله
عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم
قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الاخر يذكر
ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا
خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال وقال لا يخلو
المومن في كل اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة وكان لذلك هو
ويفتقد الحق في هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشيء وفيها ايضا
يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في
مرضه مثل ما كان يعمل من الخير في صحته وذلك ابلغ له في الوصول
الى غرضه لانه من اختيار الله له وهو خير مما اختاره لنفسه وفي
الخبر يقول الله تعالى لملايكته اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل في صحته
فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

ولا يذكرون صح

وان توبيته توبيته الى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث ابي
موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه الله
وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا
الى غير ذلك من الاخبار التي لا نعلمها وانما ذكرنا هاذه المعاني
هاهنا لانها لايقة بكلام المولف رحمه الله وكانها مفسرة له وايضا
فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه في حال نزول البلايا
به يسخط ويجزع ويضطرب ايمانه وربما تزلزل ايمانه فيحتاج
الى من يذكره بامثال هاذه المعاني ليحصل له بذلك من الرجاء
وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجو له بذلك ان مات من موته
حسن الخاتمة وحب لقاء الله والاعمال بخواتمها وهاذا الغرض هو
الذي اوجب لنا في هاذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر
الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمين قلوب اهل البلاء بذلك
وتسلمها الى الله تعالى واضحات تلك المسالك والله ولي التوفيق
لَا يُخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَبِسَ الطُّرُقُ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ
غَلَبَةِ الْهَوَى عَلَيْكَ الطرق الموصلة الى الله تعالى واضحة
لايحة لان الحق تعالى هو الذي تولى ذلك وبه انزل الكتب وارسل الرسل
ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه
وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن رويتها قال يعميه
احمد بن خضروية البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والحق لايح والداعي
قد اسمع فما التحير بعد هاذا الا من العمى سَتَرَ أَسْرَارَ الْخُصُوصِيَّةِ
بِظُهُورِ الْبَشَرِيَّةِ وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ
سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها اهل ولاية الله بحيث
لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعل فيهم من التهيئ والقابلية

جمي

بمو لطيف حكمة الله تعالى ان ستر ذلك بما ظهر من البشرية التي
من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هاذا الستر لكان سر الله مبتذلا
غير مصون كما قال في لطايف المنن ولا يضر الشمس من سحاب والحسناء
من نقاب ثم ان حقيقة ظهور البشرية هو الاتصاف بصفات الافتقار والاحتياج
وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتاله فظهر
لنا من ذلك وجود اله معبود وهاذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت
لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لما كان لنا شيء يظهرهما كما قال الشيخ
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة ظاهرها الربوبية
فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره
المولف هاهنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى لا تطالب ربك
بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك اذا دعوت ربك
وسالت منه مطلبا من المطالب ولم تطمع لك اجابته فحسن به ظنك
ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسال عما يفعل ولكن
طالب نفسك بتاخر ادبك فانها اهل المطالبة وتوجه اليها من
وجوه احدها انك دعوته ليجاب في دعايك فيحصل لك بذلك غرضك وهذا
مما يقدح في كمال عبوديتك وسياتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك
سببا للعطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما
باحكام الربوبية والثاني اعتقادك انه لم يستجب لك اذ اظهر لك
عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل لله ان يخفيها عنك
لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما شاء مما تعلمه او
تجهله وقد تقدم هاذا المعنى عند قوله لا يكن تاخر امد العطاء مع الالحاح
في الدعاء موجبا ليأسك الى اخره والثالث وهو اشدها اعتراضك على
ربك في حكمه ومطالبتك له اذا تاخرت اجابة دعايك ثم ذكر المولف رحمه الله

الحالة التي اذا كان عليها العبد فاز بنيل الارب ووصل الى غاية مارب فقال
متى جعلك الله في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام
لقهره فقد اعظم المنة عليك هاذان الامران اللذان يلزمانك في اقامة لها صح
العبودية لربك لا يتم حتى يهيئهما الله تعالى لك وانك في مراعات احكامهما
وو فقك لذالك فقد اعظم المنة عليك ولماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما
ان كنت عبدا حنيفا قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه صحبت اخا في
الله تعالى في البداية واتينا لنطلب مغارة عسى ان نكون من اولياء الله وان يفتح علينا
بما فتح عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل في هاذه الجمعة لعل في هاذا الشهر يفتح الله
علينا فنصير كذالك واذا بشيخ على باب المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فسلم
ووقف فقلنا له من انت قال عبد الملك وعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف
حالك فقال كيف حالك كيف حالكما بعد هاذا المنكر علينا ثم قال كيف حال من
يقول لنفسه في هاذه الجمعة اكون وليا فقلنا له كيف في هاذا الشهر اكون وليا
فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبد الله تعالى كما امرك مخلصا
لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا
لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا ان الله رحمنا به فرجعت الى نفسي
باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما علمك وما خطرك لا انت ولا شي
وتبنا واستغفرنا ذالك ففتح الله علينا بجوده وفضله ليس كل من ثبت تخصيصه
كمل تخليصه التخصيص هاهنا هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده
اثرته وعنايته ويواليه لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذالك حتى يتحقق
بالفرار ويتخلص عن روية الاغيار والاكوان وهاولاء هم خواص المقربين اهل
العلم بالله والمحبة له ومنهم من يتوقف عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حالة
بما يليق به من علوم واعمال وهاولاء عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد
والزهاد واهل المجاهدة والاوراد وهاولاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم
الحق

الحق من لطايف الكرامات وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظايف الطاعات
والعبادات فلم يتخلصوا من روية نفوسهم ولم ينفكوا من مراعات حظوظهم
بل هم ساكنون الى الاسباب مشتغلون بوجود الحجاب ولذلك يختص الحق تعالى
هولاء باظهار الكرامات على ايديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا
لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من
الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد
يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة افضل ممن يكاشف بها لان كاشفه الله
تعالى بصرف المعرفة قال فالقدرة اثر من اثار القادر ومن اهل القرب القادر لا يستغرب
ولا يستكثر شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى لمن سمع اجزاء علم الحكمة
وسيل الشبلي رضي الله عنه وقيل له انا نراك تذكر انه جاع في البادية
في البادية كلها طعاما فقال العبد برزقه ولو بلغ الى محل التمكين لكان
كمن قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فصل في لطايف السر واعلم
ان الكرامة تارة للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه تظهر صح
فالمراد تعريفه بقدرة الله ووحدانيته وان قدرته لا تتوقف على
الاسباب وان العوايد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل
العوايد والوسايط والاسباب حجب قدرته ووجه شمس احديته فوقف
عندها المخذول ونافذ منها اليه هو بالعناية موصول قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه وفايدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم
والقدرة والارادة والصفات الازلية بجمع لا بيقين وامر لا ينفذ كانها صفة
واحدة قائمة بذات الواحد يستوي من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله
بعقله وكمل انها تثبت لمن ظهرت له ربما وجدها اهل البداية في بداياتهم
وفقدها اهل النهايات في نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهاية من الرسوخ في
اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهاكذا كان السلف رضي

الله عنهم لم يحجبهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم
من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة
رافعة لمزلة الشك في المنة ومعرفة بفضل الله تعالى فيمن اظهرت عليه
ومشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامات على ثلاثة
اقسام قوم يجعلونها غاية الامر ويرون ان من ظهرت عليه وان
فقد وصل ثم يتوجهوا اليه بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما
هي خدع يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما
ليس هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبي لابي العباس الرقي ما يقول اصحابك في
هذه الامور التي تكرم الله بها على عباده فقال ما رايت احدا الا وهو يومن بها — فقال ابو تراب من لم يومن بها فقد كفر
وانما ساله التكلم عن شي من الاحوال فقال ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بل قد زعم
اصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها
فاما من لم يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكل هذا من ابي تراب
بعد ان عطش القوم وهم اصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال فتى اريد
ان اشرب به في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض فشرب — اتى
وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال القدح معنا الى مكة فقال الشيخ
ابو الحسن والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله تعالى ومن اظهرت
عليه عظيم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى فقال والقسم
الثالث وهو ان يضع الكرامة في الولي لغيره والمراد بذلك الذي تعرف ذلك
العبد الذي شهد شهادة صحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة
اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف وكان مرتابا فيعود الى الايمان او شاكا في
خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعلم فضل الله بما فيه مرود اليه الاحسان
انتهى كلامه وقال ابو نصر السراج سالت ابا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى
الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا حتى تركوا

الدنيا

الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان يجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك
فقال لا يعطيهم لقدرها ولكن يعطيهم ذالك لقدرها ولكن يعطيهم ذالك
حتى يحتجوا بكون ذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق
النحو فيتم الله لهم فيقولون الذي يقدر على ان يصير لك الحجارة ذهبا
كما هو ذا تنظر اليه العين بقادر ان يسوق اليك رزقك من حيث لا
تحتسبه فيحتجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق فيقطعوا
بذلك ضجيج نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر ونحكي لنا بن سالم — فيكون ذلك سببا لرياضتها صح
في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال كان رجل
بالبصرة يقال له ابو اسحاق وابو احمد كان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا
اعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا ابا محمد
ان نفسي هذه ليست تترك البكاء والصراخ من خوف فوت القوت والقوام
فقال له سهل خذ هذا الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تاكله
فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال سهل امامك ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي فالمعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من
جبلتها الشك فقال ابراهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي
باني مومن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين فقال
فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامة تاديبا لنفوسهم وتهذيبا
لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض
العلماء ما رايت هذه الكرامات الا على ايدي البله من المريدين
وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال له يوما
ربما اتوضى للصلاة فيسيل الماء من يدي قضبان ذهب وقضبان
فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا

بها وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رضي الله عنه قال
جاءني أبو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي وجماعة
وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لأبي
حفص قد كان فيما مضى لهم الآيات الظاهرة يعني به الكرامات
وليس لك شيء من ذلك فقال له أبو حفص رضي
الله تعالى عنه فجاء بي إلى سوق الحدادين إلى كير عظيم يحمى فيه
حديدة عظيمة فأدخل يده في الكير فأخذ الحديدة المحماة
فأخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل
بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله
فخشي على حاله أن يتغير عليه إن لم يظهر له ذلك فخصه بذلك
شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لإيمانه بل ربما فر عنها العارفون
وخاف منها المحققون قال بعض الشيوخ أطيب ما يخادع به الأولياء
الكرامات والمعونات وذكر عن أبي حفص رضي الله عنه أنه كان جالسا
وحوله أصحابه فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم
فبكى أبو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي
فوقع في قلبي لو كان لي شاة لذبحتها لكم فلما جاء هذا الظبي عندنا
شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجري معه النيل
فأجراه معه فبكيت وسألته الإقالة مما تمنيت وسمعت
الصيوفي يحكي عن بعض الأبدال أنه قال لتلميذ من تلاميذ الشيخ
أبي مدين رضي الله عنه ما بالنا لا يعتاص علينا شيء وهو يعتاص
عليه أقل الأمور مع أنا نتمنى مقامه ولا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ
أبا مدين فقال ذلك لأنا تركنا مرادنا لمراده وعن
بعضهم أنه كان يسير في البادية فانتهى إلى

بئر

بئر فإذا الماء قد ارتفع إلى رأس البئر فقال اللهم إنك قادر
على هذا ولكني لا أطيقه فلو بعثت لي بعض الأعراب يصفعني صفعات
ويسقيني شربة ماء كان أسلم لي ثم إني أعلم أن ذلك الرفق ليس من جهته
وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه إذا رأيت الرجل يشير
إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال وإذا رأيته يشير إلى الآلاء
والنعماء فطريقه طريق المحبة وهو أعلا من الذي قبله وإذا رأيته
يشير إلى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكره فطريقه طريق
العارفين وهو أعلا رتبة من جميع الأحوال وقال أبو يزيد
رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الآيات فلا ألتفت
إليها فلما رأى ذلك جعل لي إلى معرفته سبيلا وقال رضي
الله عنه ..

**لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد
ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى
به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو
مطلبك منه**
الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة
أو باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار
ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسمي بالورد ما من العبد
للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد
من لطف وكرامة والورد أحق ما يعتنى به العبد ويراعيه من
الوارد على وجهين أحدهما أن الورد يختص بهذه الدار لا يقع إلا فيها
فهو منقطع بانقطاعها
وإذا فات فيها فينبغي للعبد أن يستكثر من أوراده

قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثاني
ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه
عليك اولى واليق بالعبودية من طلب حظوظك وتوقعها
واذا ثبت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استغفاره
من نهاية الجهل وكان مستحقه جهولا كما قال
في لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى اودع انوار الملكوت في اصناف
الطاعات فمن فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة
جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا من الطاعات
ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون
من جري الحقائق على السنتهم وفقد انوارها من قلوبهم وان
الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستفرعة لباب الغيب
عنده والتكهن من العيب يفتح لك باب الغيب فلا تكن ممن
يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين
الغافلين عن الله ولا اجتهدهم المدد من الله والمومن ليس
كذلك بل المومن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه
فان توقف الوقت عليه استبطا ادبه ولا يستبطي مطلبه
ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تنبيه
على تاكيد امر الاوراد وان مراعاتها من احسن سمات العارفين
وقد ذكر في الجنيد رضي الله
عنه وفي يده سبحة فقيل له انت مع
شرفك تاخذ في يدك سبحة فقال نعم
سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل يوم

جعل [illegible] بالطاعة والمعاملة بشرط
[illegible] لا يحتجب الغيب عنه وانما
[illegible] بالغيوب ووجود الغيوب [illegible]
بينهما

حانوته ويسبل

ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورئي الجنيد
رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت
تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وابيدت تلك الرسوم وغابت
تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد
الجريري رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه قال كنت
في حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت
في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي
وقال ابو الحسن الدراج رضي الله عنه ذكر الجنيد اهل المعرفة بالله وما
يراعون من الاوراد والعبادات بعد ما اكرمهم الله به من الكرامة فقال الجنيد رضي
الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال
ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابه قال فكان
قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت
الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض اصحابه
ممن حضر في ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا
يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد
الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد هذا وقت
منة الله الله اكبر فلم يزل ذلك على حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه
وقال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من
حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي
الله عنهما لما حضرت ابي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال لي يا بني
دعني فاني في وردي السابع قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومداومة
الاوراد من اخلاق المومنين وطريق العابدين وهي مزيد
الايمان وعلامة الايقان وفي الخبر عن عائشة رضي الله عنها

الحصري

نسئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة
وفي لفظ اخر كان اذا عمل عملا اتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال
الى الله تعالى ادومها وان قل وجاء في الاثر فلا تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة
يروى عن الحسن البصري وتارة عن عائشة رضي الله عنها وبعضهم يحكيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم في الخلع من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان
يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان
في نقصان فالموت خير له وقد يكون استعظام الورد من المكر والاستدراج
للعبد ويكون سببا لذلك ان يلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب
له استحسان حالته واغتباطه بحالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية
وهي امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم
الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل
ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات
من باب البر والتقرب الى الله فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط
الاعمال وهذا عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول
هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها
ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد
في معرفتي واقوى في حالي قال السهروردي رضي الله
عنه في كتاب عوارف المعارف باب من تعوق بجنب الوقت بجلال من لم يحكم
اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيبرز
العبادات ويستحق هذا ويسلبه الله لذة المعاملة ويذهب عن
قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والاخرة فيجعل الصادق اذا اقعد
من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات
فيصلح لقوم من ارباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات الأوراد

ويصلح

ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم
الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى
ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه وهو مناسب
لما ذكره المصنف رحمه الله وليس من هذا المعنى ما روي عن ابي
سليمان الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله عنهما انهما
قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره
يوهم ما ذكرناه الا ان ابا نصر السراج رضي الله عنه فسر هذا الذي حكاه عن
ابي سليمان الداراني رضي الله عنه فقال وهذا الذي قال ابو سليمان
يحتمل معنيين احدهما انه اراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات
والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر
المشغلة والعوارض المذمومة التي تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل
ايضا انه اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير
وطنه ويستلذ بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب
ووجود الالام التي كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام ابي نصر وهذا
صحيح والله اعلم **ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار**
على حسب صفاء الاسرار ورود الموارد الالهية من الله تعالى على عبده بحسب القوة
الاستعدادية المجعولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب
صفاء سره من كدر التعلقات بالاثار والركون الى الاغيار **الغافل اذا اصبح**
ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به اول خاطر يرد على
العبد هو ميزان ترجيحه بالغافل اذا اصبح اول خاطر يرد عليه
نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم فهو مشتغل بتدبير
نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه وهو
محجوب بان يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه خاطره

قلبه وينتقض عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه
منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم ان يحببه الله تعالى تعلقات
الاعمال ويهون عنه جميع الاشغال ويرضيه ويقر عينه بما يقضيه فيه من اعمال
او يورده عليه من احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن هو
وليه وحبيبه قال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت
وما لي سرور الا في مواقع القدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ
اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن
ابلغ ما رايت في هذا المعنى الذي ذكر المولف وما يجيء بعده وعلى امثاله كل عاقل
متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم الصقلي رضي الله عنه في كتاب صفة الاولياء ومراتب
احوال الاصفياء ومسنده الى ابي ايوب بن بشر الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت
رجلا في مرج الديباج ليس معه شيء فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام
فقلت يرحمك الله اين تريد قال لا ادري قال هل رايت احدا يريد مكانا ولا يدري اين يذهب
قال نعم وذلك انكم مرة ان اذهب الى مكة فيرجع الى طرسوس وكم مرة اردت
طرسوس فيرجع الى عبادان فيقضي الى مكة ولا ادري قلت فمن ابن المعاش
قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة
ويعريني مرة ويكسيني مرة ومرة يقول لي انت لص ومرة ينومني على الفراش ويطعمني
الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ومرة يطردني الطرد العنيف ولا ينومني الا عند
النواويس قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فقلت في نفسي
قلت فبشرني رحمك الله كيف هذا قال انا رجل اسيح نهاري فاذا جن علي الليل فربما
ياوي في الليل الى قرية فاذا انظر الى اهلها قال بعضهم لبعض هذا الصالح قد عود هذا
ياوي الليل الى هذه القرية فاذا صلينا عشاء الاخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم
فاقول لبيك فيقول لي قم فالعنة فمر ها هنا ليس لك ها هنا موضع فاقول له وكرامة

فاين ابيت

فاين ابيت الليلة فيقول خارج النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لي ماوى الا عند
النواويس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فاوي في الليل الى قرية فاذا راوني اهلها قال
بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول
هذا عندي يبيت فاذا صليت عشاء الاخرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فاقول
وكرامة فامضي معه الى المنزل فياتيني بالطعام الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني
وياتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولا يدع شيئا من البر الا يفعله بي حتى اصبح
فهذا حالي مع سيدي فقلت رحمك الله متى قدرك ان تدخل بغداد فاني في موضع
كذا وكذا قال فانا يوما قاعد اذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي فسلمت
عليه وادخلته البيت فقلت له ايش صنع مولاك قال اخي ما فعل بي ضربا
شديدا وقال لي يا لص ثم ارني ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلت له ايش القصة
قال كان اجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الانبار جئت الى مقثاة فقد نبذ فيه
المقدود فجعل ياخذ بظهري ويقول يا لص يا خبيث مقثاتي غيرك من كم ارصدك
حتى وقعت عليك قال واذا انا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فاقلبه السوط
في راسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه وتقول لمثل هذا يا لص قال فما كان يعنيني
ان كنت عنوة لصا اذ امتن زاهدا الا كما احدثك قال فاخذ بيدي صاحب
المقثاة فذهب بي الى منزله فما ابقى من الكرامة شيئا واستحلني من عنده وجئت
اليك وقد يكون من معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من
الاشارة من قلبه فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا
ميراث شريف اتصله دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين رضي
الله عنه احرص ان تصبح وتمسي معرضا مستسلما لعلك تنظر الى ما يفعل فيحكم
وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه
لم يهتد الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فانعقاد قلبك في اول وهلة الى حولك
وقوتك فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم

في قبضته وتخصيص أهل الوصلة بأنهم في كنفه وإيوائه لا يكلهم إلى غيره
واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صده
المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين أظهرهم نسكه رجع في الحال عن
تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل به في الظاهر عزة ونصرة بعد ما كان
دعا إليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من صاده
من الكفرة وعمل في ذلك على ما أظهر له الله من آياته العظام عند بروك ناقته
لما أراد توجيهها إلى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا للقصد ومفردا لما
اعتمده إنما حبسها حابس الفيل لا تدعوني اليوم قريش إلى خطة فيها صلة
الرحم إلا أجبتهم إليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرط وكتب صالحهم
على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا في الأرض آمنين فلما استوثق
بينهم الصلح وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها ذلك
صح التدبير
الله فيه الحسنى وقرت أعين الصحابة رضي الله عنهم بما أبرزه إليهم من ألطاف
ومنن وقد صح بمعنى جميع ما قلناه الخبر ونقله إلينا علماء الحديث والتفسير
وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليتبرأ من قوته وحوله في جميع
تصرفاته اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا
نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أن أتقي إلا ما وقيتني اللهم وفقني
لما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية إنك ذو الفضل العظيم وليقل
أيضا ما رأيته لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم إن الأمر عندك
وهو محجوب عني ولا أعلم أمرا اختاره لنفسي فكن أنت المختار لي واحملني في أجمل
الأمور عندك وأحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير
إنما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء
فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء . العباد والزهاد في غيبة
عن ربهم بنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الأشياء
ويستوحشون

ويستوحشون منها لأنها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد
لهم بالوجود كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه والله لقد عظمتها
إذ زهدت فيها فهم يفرون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم مقاصدهم
بميلهم إليها أو فتنتهم بها ولو كانوا من أهل العلم بالله والمحبة له لرأوه ظاهرا
في الأشياء كلها ولكان لهم في ذلك من قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم
لنفوسهم فلا يكون لهم من الأشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لأنها مرائيه
متلاشية بهذا الاعتبار أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف
لك في تلك الدار عن كمال ذاته رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه
لهم في هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء
حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار أبصارهم
من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف علم منك أنك لا تصبر عنه
فأشهدك ما برز منه عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاضطرار في حقه
وهو حال شريف تقتضي وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية
تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه
الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده
لعلمه بعدم صبره عنه بأن أشهده ما برز منه من الآثار والأكوان تسلية له بالأثر
عن المؤثر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى إذا
انتقل في مقعد الصدق وحصل له عند الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم
وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة
التي مر بيانها وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون لك
الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في الأوقات
ليكون همك إقامة الصلاة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لوجود
لا وجود الصلاة صح
الملل وتحجيرها في الأوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما

على عبد بان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد
سبيل عبوديته والملل تارة يعرض للانسان من عمل تلحقه فيه مشقة
فيصعب عليه ويحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل
من جهة اشتغاله به وهو شيء يعرض للطبع بعد ايثاره للشيء ومحبته
له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب
ورود الملل الغفلة والمداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس
وتستثقلها فاذا الوقت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس ان كانت مجزأة • الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات لايقاع العبادات فيها مع شدة
الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلزم التعيين
لها اوقات تقع فيها وان فاتت تدفع فيها وهذا المقصود معنى تعيينها
في الاوقات فان كان الملل والشره وانحصر في الصلاة لم يكن اللائق بها معنيها
لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يومر الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة
الصلاة قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر
فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن اقام الصلاة اما بلفظ الاقامة
او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه الذين يومنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة انه اذا صلى المومن صلاة
فتقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة
وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا
قال ابن عطاء الله رضي الله عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها مع
حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسره سواه وقال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه هي القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهوده

برؤية

برؤية من تطلع له فيحفظ عليه احكام الامر فيما يجري عليه منه
وهو عن ملاحظتها بنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم
مستغرقة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله بالصلوات
دون سائر العبادات حسن لان ذلك اكثر ما يقع فيها وفيه يكون
استطراد للكلام على الصلوات حسبما يقوله باثر هذا الصلوات
الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب كما روي في الحديث الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلوات كمثل نهر عذب
غمر بباب احدكم يقتحم فيه في كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من
درنه واستفتاح لباب الغيوب لان القلوب اذا طهرت وتزكت
رفعت عنها الحجب والاستار فادركت ما غاب عنها من الاسرار الصلاة
محل المناجاة لان فيها يكون الثناء والدعاء والمناجاة
هي اطيب الاسرار عند صفاء الاذكار للملك الجبار ومعدن المصافاة
وهي زوال الاغيار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفوا
لك حينئذ شهودك وتمحو اثار تلك وجودك تتسع فيها
ميادين الاسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور وتشرق فيها شوارق
الانوار فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات معانيها
متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف من فوائد الصلوات
وان المقصود منها انما هو تخليصها كان كلام المؤلف كله كالدليل على ما
قاله من ان المأمور به انما هو اقامة الصلوات لا وجود الصلوات وان الصلاة
المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنهض
لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة ام العبادات
واساس الخيرات قال الله تعالى اقم الصلاة لذكري اخبر ان الصلاة
المراد منها الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

معنى

انما فرضت الصلوة وامرنا بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر
الله ولذلك كانت قرة عين حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي
الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة
رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن
منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر
عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من
يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح للمصلي وان الله تعالى يباهي ملائكته
بصفوف المصلين وفي التوراة مكتوب يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا
باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري وكانوا يرون ان تلك
الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب
وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه دعا الله تعالى الموحدين الى
هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها الوان الضيافات
لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة
وهي عرس الموحدين هياها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات
حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه
حدثنا ان المؤمن اذا توضأ للصلوة تباعدت عنه الشياطين في اقطار
الارضين خوفا منه لانه تاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه
ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه
فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله
يقول الملك صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من
قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى
الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل

فاذا

فاذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كان شيء في قلبه اكبر من الله عنده يقول
الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان
السماء فيكون حجابا للقلب عن الملكوت قال فيزداد ذلك الحجاب لصلاته وتلتقم
الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى
ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والاثار موافقة
لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله وكالمتفق عليه ولذلك اوردتها هاهنا
والله ولي التوفيق برحمته علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها
وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها هذا من فضل الله تعالى الذي عوده عبده
فتقليل اعدادها بان جعلها خمسا في خمسين ذلك تخفيف منه لما علم من
وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب خمسين وذلك فضل
منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة
في حديث الاسرى متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق
فيه ويكفي المريب وجدان السلامة تقدم ان العمل لاجل حصول الجزاء مدخول
معلول وجلبنا هنا الآثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه
مقنع وقد كرر المؤلف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما
ذكره هاهنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا
الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه
بوجود الصدق فيه والصدق الوفاء بحقه في العمل وانى له توفية ذلك
مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة
من غير مزيد عليها قال ابو سليمان رضي الله عنه العبادات الى طلب العفو
عنها اقرب منها الى طلب الاعواض وقال خير النساج رضي الله عنه ميراث
اعمالكم ما يليق بافعالكم فاطلبوا ميراث فضله فانه اتم واحسن قال الله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون لا تطلب عوضا

عليه وقريب من هذا قول النصراباذي
العبادات الى طلب الصفح والعفو
عن تقصيرها اقرب الى طلب الاعواض

على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء على العمل ان كان له قابلا
فضل الله تعالى عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك
بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد وعامل
وما اشبه ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل
والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه بحمد الحال بالثناء والشكر وقال
يا رب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات
جميلة انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والخيرات
من فضلك فتقبلها مني والحق بي ما وعدتني كان لي في ذلك حسبا ولا املا لحق
العمل ان ينسبه الى نفسه شيئا من محاسن الصفات ومحاسن الاعمال
حقيقة ولا اذ لا اهلية فيه لذلك واما من رام الصفات والاعمال
ونسبها فيها بمقتضى الامر ان يضيف ذلك الى نفسه وان يعتبر به فان ذلك
من طلعه وجهله قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد
حسنة وقال انت يا رب بفضلك استعملت وانت اعنت وانت سهلت شكر
الله تعالى ذلك له وقال له يا عبدي انت اطعت وانت تقربت واذا نظر الى نفسه
وقال انا عملت وانا اطعت وانا تقربت اعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي انا
وفقت وانا اعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت وانت
قضيت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل انت
اسأت وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يا ربي انا ظلمت وانا اسأت
وانا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت
وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت لا نهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولا
تفرغ مدائحك ان اظهر جوده عليك ان رجعه الحق تعالى الى نفسه ورده الى عقله
وحسه فقد طرده عن بابه وابعده عن جنابه وكانت احواله مدخولة
معلولة واعماله مستقبحة مردودة ومن اواه اليه واظهر جوده عليه

(هامش) السبوع في حلى على اعمال العباد واخفى عنهم ما هو الله عز وجل فكيف يطلب
العبد الجزاء على عمل الله ... على العقل ومعنى ذلك الشرط
فقد تقدم في اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك

فقد

فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله حسنة جميلة
واعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل
∴ لما انتسبت الى حماك عرفت ∴ اني قصدت انا ولا امر انسه ∴
وقال رضي الله عنه كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودك ولوازم وجودك
من كل شيء من جميع ذلك وانما هي عوارض عندك بلا تراه وجودك الا بوجوده ولا
بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه
الى غير ذلك من الاوصاف وانما لك ذلك الا ان تتحقق باوصاف عبوديتك من
عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران بل هما شيء
واحد لا تعدد فيهما على التحقيق منعك ان تدعي ما ليس لك مما
للمخلوقين ابايح لك ان تدعي وصفه وهو ادره هذا كالدليل على ما ذكره انفا
من انه لاحظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط والادعاء لشيء منها
مركب من معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة
التي اتصف بها واعلمنا بشأنها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال
ما احد اغير من الله تعالى ومن غيرته انه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد هو من الفواحش
الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشرك في قلب العبد بادعاء شيء من اوصاف
الربوبية لنفسه فقد اراد مولاه في ذلك منازعته له وتكبر عليه وفي حديث ابن
عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار ومعنى
المنازعة الدعوى فوكا في عبارة اولا الامثال بمعقول واشارة ومعنى الغيرة في حقه
تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو
حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى قد منعك ان تدعي

(هامش) لك وكا منك ٢ ٩
(هامش) تشتغل زمان
(هامش) العلمي

ما اليسير في مما اعطى للمخلوقين من الاموال ومسميات ذلك كلها وعدة وانا بحيث
يصبح لك انه عين وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا انت
ولا غيرك وهواه امس اعظم الظلم واشد العدوان قال التستري رضي
الله عن ذلك. قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله هذه المسألة
هو الغرض الاقصى الذي هو منتهى نظر الصوفية وكل ما صنفوه ونوهوا وامروا
به ونهوا عنه من اعمال واقوال واحوال انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف
والمطلب المنيف فشانهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظهم
بالكلية كما قيل الصوفي كلامه هدر ودمه مباح وليس في كل هو المقصود
لهم بالذات وانما اغراضهم في ذلك ما يلزم عنه من انفراد الحق تعالى عندهم بالوجود
ولوازم الوجود وانفراد لا يشاركونه في شيء منها البتة كما ذكرناه وانما
وهذا هو عين السعادة الذي اعوز اكثر الناس من لم يخوضوا منه الا بالاماني
انه يتحقق المرء عبوديته الله عز وجل الذي لا يخلو اشرف منه كما قال
الشاعر • البيت فلما انتهى ثم غاب • فما وراءه في قصد ومطلوب • كيفي
وهذا المعنى كانت عندهم غاية خطرات الحظوظ وخبيثات هواجس
الهوى وعلما يقتضي بقاء النفس وثبوتها من جهة المقامات وايثار
الخطاب والكرامات ذنوبا عظيمة واخلاقا ذميمة فلا جرم في صدق العبودية
والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شره ويخافون
من بسط كنفه وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل
• اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب •
ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه فشكى اهل اقليم عاملهم
الى الملك فقال تخيروا من شئتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما راوا ميل
الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الفلاح
في الولاية فامر بكتبه المنشور وامر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة

في الكفاية

في الكفاية بانواع الكرامات والمبار وحسن مجوزيه عليه بماء وزرع بيبيه
سمر شهرا من بعول انه الترب على الموت هذا جزاء من اختار الولاية
على خدمة مولاه فهي هذا عبرة لاولي الاعتبار والى هذا المعنى الجليل
المرتب الى هوا السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن يحيى بن رضي
الله عنه حيث يحيى ابن معاذ رضي الله عنه انه رآه في بعض مشاهداته
من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه
رافعا اخمص قدميه عن الارض فالتفت بذقنه على صدره شاخصا
بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر واطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما
طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض ما تقلبت
لهم الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك
فاعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد
نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الي فراني فقال يحيى فقلت
نعم يا سيدي فقال مذ انت هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني
بشيء فقال احدثك بشيء يصلح لك ادخلني في العلا الاسفل فجرى بي في
الملكوت السفلي فاراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك
العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم
اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي
ما رايت شيئا استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني
لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن وذكر اشياء قال يحيى فهالني
ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تسأله المعرفة به
اذ قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت

عزت عليه فلا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب رضي الله
عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد غار نفسه ماخوذ اذ غار ربه عز
وجل له موجود اذ طال مقامه في المقامات فنظرت عين حبه الى الصفات وهو
لذاته ناظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها من حسنه وشانت الزينات
جميعها بعد النظر الى زينه وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملات بجماله
ان لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن او يرى في عينه الا اياه
ام كيف ينظر غير اياه ام كيف يطلب غير ما احب او يقع غيره اذ طلب
بل كيف يقع بغير ما طلب وهذا نعت عبد مطلوب يعني ما طلب ووصف
شخص محبوب يعني ما احب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي
الاشارة عن الله سبحانه يا عبدي اعز نفسك فيعز بعدها الملك والملكوت فتلحق
الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندي سواء ما ابدا فلا تستطيعك
ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي كنت عبدي واذا كنت عبدي كان عليك نوري
فلا تستطيعك ما ابدي وان ارسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري عليه ما اذا
جاء ذلك لم يطعك ما دون ذلك به فتامل ما انت له والعبارات عنه في هذا المعنى خارجة
عن الحصر وفي ما رسمناه منها كفاية وانما اغربنا هذه المعاني وان كانت
في الظاهر اعلى من رتبتنا ولها علاء المولف رحمه الله تعالى لا يرجع امر الجهل
ماذا اوقفنا فيه النظر وتهممنا فيه بوجود العبور وفا ان ما ذكرنا هو المقصود
المعتبر وكلام الصوفية رضي الله عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى
يجزيهم عنا خيرا وييسر علينا بالنفع عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا
للاصغاء اليهم ويشرح صدورنا لاستحسان ما يرد منهم او يرد وعليهم عنه
وفضله كيف تخرق لك العوايد وانت لم تخرق من نفسك العوايد
خرق العوايد بانكشاف عالم الغيب لا يكون الا لمن تحلى به الامر خرق عوايد
نفسه وغنا عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها

وان ظهر له

وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغي له ان يخاف عند ذلك من الاستدراج
والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه بان احبه او طلبه فهو دليل على غلبه مع ارادته
وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوايد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل
هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه جميع
الاسرار من الغيوب التي تكشفها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب
والمطلوب لا يكون محجوبا بل هو عن نفسه مسلوب فلا يبقي عليه من نفسه
بقية وينظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فيسترها عليه رحمة
له لانه لو كوشف بها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفس خفية
وعين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها
كراهية لظهور الخلق على معصية وخايفا منها كخوفه على نفسه فتظاهرها
عليه بهلكته فهناك حين يتجلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا
للشيخ ابي عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الايات
وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها
عنه رحمة فاذا خرق عوايد نفسه لا يريد ظهور شيء من الايات وخوارق العادات
له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة وكان له
تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة فالذي حصلت له اهلية ورود الالطاف
ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصوفية المهيع الناهج وضرب مع
اهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ ابو العباس بن العريف رضي
الله عنه اصبحت يوما مهموما فملت للشيخ ابي القاسم ابن ربيل حدثني
بحكاية عسى الله ان يفرج ما بي فقال نعم رصد ليه رجل بعض السواحل يعرف
بابي الخيار فبصرته يوجهته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم تتكلم
ولم اكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاودية متبعرفون فاجتمعوا
اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم احدا وجلس

وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان
وقت الصلاة العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك
يتذاكروا في سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء
الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم
تفرقوا وجلست عندهم ثلاثة ايام
وهم على ذلك الحال ثم وقع في نفسي ان اساله
عن مسالة

استفيدها

استفيدها فتقدمت اليه فقلت ايها الشيخ مسئلة اسئل عنها فقال
قل فنظر الجماعة الذي كان المنكر ويتهم قرعت فقلت له ايها الشيخ متى يعلم
قال
المريد انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون اغضبته
فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لا بد ان اسئله عن المسئلة
وعزمت على ان لا اتقدم اليه فقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد انه
مريد فاعرض عني كالاول ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالث وسالته
عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لم لا تقول هكذا اظنك تريد ان تسئل
عن اول الفتح بعضه المريد في الارادة فقلت نعم فقال لي اذا اجتمع فيه
اربع خصال احدها ان تطوى له الارض وتكون عنده كخطوة واحدة وان
يمشي على الماء وان ياكل من الكون متى اراد وان لا تترك له طاعة بعد
ذلك فيطمع اول قدمه في الارادة واما متى علم المريد عند ذلك انه مريد
سقط من حد الارادة قال الشيخ ابو العباس بن العريف رضي الله عنه
فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها ثم قلت له ايش تنامس
الارادة يا ابا القاسم فتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى و
اعلم انما ذكر ما يحرزه من الفائدة تسميته باسم مريد مع كونه مسلوب
الارادة وما احسن ما قال الشاعر تكون مريدا اثر فيك ارادة
واذا لم تريد شيئا فانت مريد والتحقيق في هذا ان من تحققت ارا
دته العبودية لله عز وجل بمراعاة حقوقه لاجلها وجب عليه من
ذلك التوصل الى نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم
بذلك الا لانه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة باشرف المطالب
ونهاية الامال والمآرب وذلك امر وجودي يصح ان يشتق منه اسم
لمن قام به ذلك الامر لانه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة
المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي

وجوه الاخرى الاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر ان يطلق اسم الا
رادة على من سلبت منه وبحكم عرض وجدت فيه رشاقة وسماحة و
نعمة وبهذا يتبين لك صحة كلام ابي يزيد رضي الله عنه واستقامته
حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد وانه ليس بمختل ولا متناقض كما
توهم بعضهم قال في التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد
ان لا يريد فقد اراد وهذا اعتراض لا معرفة عنده بوجه الكلام ان ابا يزيد رضي
الله عنه انما اراد ان لا يريد لان الله اختار له وللعباد اجمع عدم الارادة معه
فهو في ارادته ان لا يريد موافق ومترتب انه هو مختار لله ليس لك منه شيء
واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض لتنزل
علم الحقيقة الماخوذ عن الله قال فما بال الشيخ بهذا الكلام كل مختار
للشرع لا ينافي اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لكنا
ينخدع عقل قاصر عن مدارك الحقيقة بذلك فينظر ان الوظائف والاوراد
ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد
اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء
فانما انت مطالب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير
الله ورسوله لك فافهم قال الفقير علمت ان ابا يزيد ما اراد الا يريد الا ان
السارد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه
انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى مال الى بعد المناسبة
بينه وبين المسالة المنبه عليها من الكتاب والحديث نجوم تجر بعضه
الى بعض لكن لما كان مقصدنا في هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد في
مجالسها ومظانها لنفرع مسائل هذا الفن الغريب اسماع من اراد
الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرفين في مثل ذلك وكنا
سائرين فيه على اوضح المسالك والله تعالى ولي التوفيق هذا الشان

وجوه الطلب انما الشان ان ترزق حسن الادب اذا التزم العبد طلب
حوائجه وحظوظه من مولاه ولا يطلب ذلك من غيره فلا يظن انه وفى
بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشان المعتبر عند المحققين
وانما الشان ان يتادب هذا العبد بين يدي مولاه اولا بالحسنا
بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه كما
سيقوله المولف بعد هذا او يطلب منه عبودية منه له لا لقصد
نيل حظه فيهذين الوجهين يحسن ادبه ويصح سؤاله وطلبه
وذلك هو الوفاء على التحقيق ما طلب لك شيء مثل الاضطرار
ولا اسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار اضطرار العبد هو
اخص اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شيء اجل منه قال
ابو محمد عبد الله بن منازل رضي الله عنه العبودية الرجوع في كل
شيء الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية
اجابة الدعاء قال عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار
المطلوب منه ان لا يتوهم العبد شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه
شيئا من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق
في البحر والضال في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو الا
لنجاته من هلكته احدا سواه قال بعض العارفين المضطر الذي
يقف بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه بالمسالة فلا يرى بينه وبين الله
حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي من لا شيء والذلة
والافتقار امران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى
الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فقد لتهم وجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما
قيل واذا تذللت الرقاب تقربا منها اليك فعزها في ذلها

وقيل حين اسلمتني الى الغزال والملام تلقيني بغير زلة في لطائف المنن
والجوالب للتوفيق وعلامة صدق الرجعى الى الله في اول كل فعل وترك
بتحقق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين
يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ ومن ذلك ابدا وقد قال الله
سبحانه وتعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه
انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك
وما اعطيت من نور وفتح كما قال من خليل فيما اخبر الله عنه ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن ادخلها
كما يبرلك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء
الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة وفي رواية اخرى كنز من كنوز
تحت العرش والترجمة تظهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبري من
الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته
لولاك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل
اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه
ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله
تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب وشيء
من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم
يكن الا ارادته وعلمه في تحصيل هذا الغرض بنفسه وهما من جملة
المساوي والدعاوي المحتاج الى محوهما قال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة
الوصول الى الله يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل وقال سيدي ابو
الحسن لن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من

تدبيراته او

تدبيراته او اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل
اليه ابدا ولكن اذا اراد الله تعالى ان يوصله اليه تولى ذلك له بان يظهر
له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما تغيب بذلك صفات عبده
ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته كما اشار اليه بقوله في الحد[يث]
الصحيح فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا
تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون حينئذ
واصلا الى الله بما منه الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من
الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء وقال رضي
الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد متلبس
بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده
حوله وقوته عليه وهذا لا محيص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف
حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي
القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول العمل كما تقدم
قال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب وقلب
معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما كان
بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله
تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه
لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله
عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم
زاد فقرهم وفاقتهم فتبرءوا عن كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم
انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته ستر
العبد ورفعه فخره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه

وسكونه اليه واعتماده عليه وبعد ثنائه وخشيته وسقوطه من
عين الله تعالى انما يكون بنظره لنفسه واقباله على غيره واستناده
الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من
نظره لنفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معا
ملته ولبيته يتسلل فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية فجميع
هذه الاشياء فانه تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة
والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا
اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اوحى الله الى نبي من الانبياء قل للعباد الصديقين لا
يغتروا فاني ان اقم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم
وقل للعباد الخطائين لا ييأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب
اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية واحدة
وتوبة الطاعة الف توبة الستر على قسمين ستر عن المعصية
وستر فيها والعامة يطلبون الستر من الله فيها
خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر
عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق العامة يغلب
عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهة
ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من
الله عليهم فيها اي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا
من اعينهم وفي امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام ابو القا
سم القشيري رضي الله عنه هذه الاية الغالب على قلوبهم رؤية
الخلق ولا يشعرون بان الحق مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم

بوسم الغفلة

بوسم الغفلة روى عدي ابن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى
اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما اعد الله لاهلها
نودوا ان اصرفوهم فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع
الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا
من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك
اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس
لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم
الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم
تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفي
بعض الكتب ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني
اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنه
في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة
فيرى القوم انه يغض بصره فاذا غفلوا نظر اليها ويريهم انه يغض بصره
ويود لو انه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال ايضا في رواية اخرى
هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراة فيريهم انه يغض بصره عنها
فاذا راى من القوم غفلة لحظ اليها ونظرها فاذا خاف ان يفطنوا غض
بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه يود انه لو نظر الى عورتها وهذا
كله شان المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس ان
يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من اهل الايمان واليقين
برءوا من هذا الوصف القبيح لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما
وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم في نفع او دفع
وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر

من الله عنها في ان يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها
انفسهم فيعملون بها فيقعوا في مقت ربهم والتعرض لسخطه و
السقوط من عينه وشتان بين الحالين والى هذا اشار سيدي
ابو الحسن رضي الله عنه في دعائه بقوله اللهم انا نسالك التوبة ودوامها
ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطرا
تها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا حلا
وة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضد
ها من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك
ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك العبد من الآفات والعيوب وستر
الله الجميل هو الذي يحبب الناس الى الناس فاذا اكرمك احد فلا يغب
عن ذلك بك ان ترى لنفسك وصفا محمودا استحققت به الاكرام فتكون
جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم
بحالك على ان تحمدهم عليه دون ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر
عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافر النعمة ربك
ظالما بوضع الحمد في غير موضعه ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك
عليم وليس ذلك الا مولاك خير من تصحب من يطلبك لا لشيء
يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه لك واسبغ
نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التي يكرهها وليس
ذلك الا مولاك وخير صاحب لك ايضا من اعتنى بك واثرك واراد
من غير منفعة تنالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه صاحبا
ودع الناس جانبا لو اشرق نور اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان
ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق

ويبطل الباطل

ويبطل الباطل فالاخرة حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب
العبد ابصر به الاخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كانها
لم تزل وكانت اقرب اليه من ان يرتحل اليها فحق بذلك حقها عنده وابصر
الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها واسرع اليها الفناء والذ
هاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها
حتى كانها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا
والتجافي عن زهرتها والاقبال على الاخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجد
ان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له وانفسح قيل
يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما
قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب
دواعي نفسه فلا تامره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا
تكون له همة الا المسارعة في الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات
والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى
هذا المعنى الاشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال النبي صلى الله عليه
عليه وسلم كيف اصبحت يا حارث فقال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال
انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن
الدنيا فاسهرت ليلي واظمات نهاري وكاني بعرش ربي بارزا
وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل
النار يتعاوون فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه

فقال يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول
فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله اخبرني عن ابني
فان يك في الجنة فلن ابكي وان يك غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا
فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان والحارث
في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارث وروى
انس ان معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال له كيف اصبحت يا معاذ فقال اصبحت بالله مومنا فقال ان لكل
قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول يا نبي الله ما
اصبحت صباحا قط الا ظننت ان لا امسي ولا امسيت مساء قط الا ظننت
ان لا اصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت ان لا اتبعها الاخرى وكاني انظر
الى كل امة تدعى الى كتابها معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من
دون الله وكاني انظر الى عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة فقال صلى الله عليه
وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة ومعاذ بن جبل
الانصاريان رضي الله عنهما لما اشرق عليهما انوار اليقين وتمكن من قلو
بهما اي تمكن صدر منهما ما صدر مما ذكرناه من قوة الصدق وشا
هدا امر الدارين بمنزلة راي العين فسلمت اعمالهما من العيوب
والافات وحفظا من المحرمات والشبهات وظهرت منهما الاسرار
والقلوب وسار على كل امر محبوب وطارت ارواحهما اشتياقا
الى لقاء الواحد الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صار عند
هما احلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم ومن كذلك
غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وايمة الدين رضي الله عنهم
اجمعين ولقد اجاد مخبر عن حالهم فاسمع مقالا صادقا مقبولا

ان الاولى

(في الهامش: صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله)

ان الاولى ماتوا على نهج الهدى وجروا الهنيئة منهلا معسولا
وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه
وهو خال انس طعن يوم بير معونة في راسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه
على راسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى
فيمن حضر بير معونة مع عامر ابن الطفيل ثم اسلم فكان يقول مما
دعاني الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله
قال فقلت في نفسي والله ما فاز اليس قتلته حتى سالت بعد ذلك عن قوله
فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله والمطعون هاهنا والله اعلم
هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان
الامراء الثلاثة يوم مؤتة اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر
فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد
عن غير امرة ففتح الله عليه اظنه قال صلى الله عليه وسلم ما يسرني انهم
عندنا او قال ما يسرهم انهم عندنا وعينه تذرفان فلله درهم لقد حازوا
مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وقبلنا الامثال للذين عميت بصائر
هم واظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا في
اودية المهالك واكتنا العوا واغتررنا بهذه الغرارة الفتانة السحارة
فتشبثت منا الالباب بشباكها وانكببنا في مصايدها واشراكها
من غير شعور منا بحالها وتزوير محالها فكنا في قصدنا اليها وتعو
يلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه
لم يجد فيه ماء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعي
كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار اولياء الله المتقين مع ان احدنا
لو خير بين حلول الحمام او البقاء في الدنيا معلقا باشفار العين لاختار
البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد

ولا عن معصية بانتقال الوهم هذه كلها اخلاق يهودية فلا ينبغي لمن
ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود
وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص الناس
على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو
بمزحزحه من العذاب والله بصير بما يعملون فلو لم ينتبه العاقل
عن محبة البقاء في هذه الدار ويامر بايثار دار القرار الا لتشبهه بصفات اليهود
الناقضين للعهود المنتهكين ونبذوا امر المعبود لكان ذلك ابلغ
ناه وامرا باضلاعما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلو
بنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب
الينا اللقاء ورزقنا ما رزق اصفياءه واحباءه بمنه وكرمه ما
تحجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا شيء معه ولكن
حجبك عنه توهم وجود معه فينقطع ان لا موجود سوى الله تعلى
على التحقيق وان وجود ما سواه للغير والتوهمات باطلة فلا حجاب
لك عن الله تعلى اذا قد استوفى المولف جميع انواع اعتبارات
هذا المعنى قبل هذا فارجع لطالب المنزل اشبه شيء بوجود
الكاينات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظلال
موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب
العدم واذا ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احدية المؤثر اذ الشيء
انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية
الاثار لم تقطع احدا النجم تعوقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار
لا تعوق السفن عن التسيار ومن هاهنا يتبين لك ايضا ان الحجاب
ليس امرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي
للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شيء اقرب من حقيقته فمن

[margin: ان يعمر]

[margin: انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ما سواه]

[margin: الحجاب الذي توهم الحجاب]

حجبك عن الله وجود

حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان
واراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير اسد
فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هنالك اسدا وانما هو
الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه
توهم الاسد لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود
ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ظهور الحق تعلى
من وراء حجاب المكونات هو الذي وجب ظهورها ووقوع الابصار عليها
ولو كان وجود حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود
التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم
تبق هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار
وفي رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء
ادركه اظهر كل شيء بانه الباطن وطوى وجود كل شيء
لانه الظاهر من اسمايه تعلى الظاهر والباطن واسمه الظاهر
يقتضي بطون كل شيء حتى الظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل
شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور حتى الباطن معه فيظهر
اذ ذاك وجود كل شيء حتى الظاهر معه فينطوي حينئذ
وجود كل شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى الباطن
معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شيء فالحق تعلى هو الموجود بكل
اعتبار والحمد لله اباح لك ان تنظر ما في المكونات وما اذن لك ان تقف
مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات ولم يقل انظروا
السماوات قل انظروا ماذا في السماوات يفتح لك باب الافهام
ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام امر الله
تعلى بالنظر في المكونات ليس لذاتها الا ان في ذلك البعد عن الله تعلى

[margin: وجود كل شيء]

بالنظر إلى ما سواه ولم يبح هذا وإنما أمرهم بذلك ليتوصلوا
بنظرهم فيها إليه لوجود ظهوره فيها ولإشارة إلى هذا المعنى
هي في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والأرض والمعنى المقصود
في وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح باب الأفهام
ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأ
جرام وهي أغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم
يأذن فيه قال في لطائف المنن بها انتصبت الكائنات لتراها ولكن
لا أن ترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها
من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولتكن هذا
المعنى ما أثبت لك العوالم إلا لتراها بعين من لا يراها فاز وعنها
رقي من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة
بأحدية ذاته للأكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم
وإنما حصل لها وصف الثبوت بإثبات الله لها وجعلها أكوانا
فالثبوت لها أمر عرضي والحق اللازم هو وجود أحدية الله عز وجل
والأحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث
لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان
وبطلانها بحيث لا توجد إذ لو وجدت لم تكن أحدية ولكان في ذ
لك تعدد واثنينية كما قيل

رب وعبد ونفي ضد ... قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا ... وجود فقد وفقد وجد
توحيد حق بترك حق ... وليس حق سواي وحدي
وأنشدوا
سر سرى من جانب القدس إذا بدا لي لم يكن ذاك الفناء عني فذا إحيائي
وردني للبقاء حتى أعبر عن جمال حضرته لكل هيمان وطرت في

ملكوت

وطرت في ملكوت من عجائبه لم أر فيه غير وجود ما له ثان وأنشد
المؤلف لنفسه في لطائف المنن يرثي رجلا من إخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره ... حسن ولا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه ... لا ترك إلا للذي هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه ... من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حسب الإله شهوده لوجوده ... والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشار إلى الصريح من الهدى ... ودلت عليه إن فهمت دلائل
وحديث كل وليس شيء غيره ... يقضي به اللب اللبيب العاقل
لا عزو الانسبة مبثوثة ليغدم ... ذو ترك وجهد باطل

وقال رضي الله عنه الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن
أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها
ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها وآفاتها
مطلوب منه لأن ذلك يؤديه إلى الحذر من غرورها وشرورها
فتصلح بذلك أعماله وتصفو أحواله وإلا فسدت عليه واعانت
لدخول الآفات عليها ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه
ومدحهم له لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم
إنهم لما قاموا بجزء ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به
ينبغي أيضا أن يقوم هو بجزء ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء
اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان أن
يدخل في بطنه وقال الآخر إذا قيل نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من
أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة
رضي الله عنهم لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إني
لأحسبك أعرابيا وقال بعضهم لما مدح اللهم إن عبدك تقرب

تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وقال اخر
اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا بما يقولون
واغفر لنا ما لا يعلمون وقال الامام ابو حامد الغزالي رضي
الله عنه وانما كره المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلوبهم بحالهم
عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو
المقرب الى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله
تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهو الممدوح ان كان عند الله
تعالى من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان
كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى في
وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق
والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق
وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه
من امر دينه انتهى كلام ابي حامد رضي الله عنه
المومن اذا مدح استحيا من الله ان يثني عليه
بوصف لا يشهده من نفسه المومن الحقيقي هو الذي لا يشهد
من نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه في
وذكروا محاسنه استحيا من الله استحياء تعظيم واجلال
ان يثنى عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه في
واحتقارا لها ونفورا عنها ونفوذ عنده روية احسان
الله تعالى اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا
هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى
ثناء العبيد اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن

ما عند الناس

ما عند الناس الا اغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل
والغباوة وذلك من علامات المقت لان المغتر بذلك ترك
يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال اعلم بنفسه في
وقد شبه الحارث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح
بالباطل بمن يهزا به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك
لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى
بالسخرية به قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب
التي يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج
من جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه في حال المدح يعلم ان المادح
لم يشاركه في ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ في
للمستهزا به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله
وغباوته قد رضي بان يكون له في قلوب العباد الجاهلين بحاله في
قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم
من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها
ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح من اهل العلم
والخير واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا غباوة اعظم من الرضى
بمدحهم والفرح بهم قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه
تزكية الاشرار لك هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء
ان العامة يثنون عليك فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم
راوا مني شيئا اعجبهم ولا خير في شيء يسرهم ويعجبهم ويروى
عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه اتبكي
وقد مدحك فقال انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه
فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكم على العلة

في ذلك اذا اطلق الثناء عليك ولست باهل فاثن عليه
بما هو أهله المومن هو الذي لا يرى نفسه اهلا لان يمدح او يثنى
عليه لأن موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم فاذا اطلق
الله تعالى السنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك
فينبغي ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على
الله بما هو اهله ليكون ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة
بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت اهلية
الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من
الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك
من الملك الحق تقدم ان الزهاد في غيبة عن الله تعالى
فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا واثني عليهم
شهدوا امر ذلك من الخلق فانقبضوا خشية ذلك لانهم
خائفون من فوت نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من
الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا
يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم
فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم
لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو
ساكت فقيل له في ذلك وما علي من ذاك ولست اغلط في
نفسي بل لست ثم للبشر والحمد والمنشئ هو الله عز وجل وقيل
هذا هو المعنى في الخبر المروي اذا مدح المومن ربا الايمان
في قلبه قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وفيه طريق العارفين
ان يجلو الايمان العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه
ويضيفه الى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها

ويشهد من

ويشهد لامر الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع
ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه
انتهى قلت والمولف رحمه الله قصايد في مدح
شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها بين
يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد
منه بعضها ويقول في بعضها ايدك الله بروح القدس نحو
ما كان يقوله رسوله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان
ابن ثابت مع ان حب المدح عندهم من الرذايل التي تشبه
الفضايل وبهذا النظر والشهود الجمعي استقام لهم من
مدحهم لانفسهم وثنايهم عليها ما لم يستقم لغيرهم
كما وقع لجماعة منهم وقد روي في ذلك عن سيدي عبد
القادر الجيلاني وسيدي ابو الحسن الشاذلي وسيدي
ابي العباس المرسي رضي الله عنهم وغيرهم غير شيء
مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما
ذلك الا لما ذكرنا ولا يتاول ما وقع لهم من
ذلك بما تاول علماء الظاهر مدح يوسف
عليه السلام لنفسه وثنايه عليها بغاية الحفظ
والعلم لصحة الحاجة اليه في هذا المقام والله تعالى
اعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان
صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة ان لا يكره
ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم
مضطرون في قبضة القدرة فيسمح لهم
ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يصل

ولا يصل بشيء من الاذى اليهم كما قيل
رب رام لي باحجار الاذى لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى الله يطلع على فرح القوم فيدنيني اليه
متى كنت اذا اعطيت بسطك العطاء
واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك
على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك
القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات
بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية
عند العارفين فمن وجد ذلك فليعترف به بعدم
صدقه في عبوديته وانه طفيلي بين اهل
الله تعالى في ادعائه مقاماتهم وهو
لم يوهل لها والطفيلي هو الذي ياتي الى
الولائم والضيافات فيدخل مع اهلها

اهلها

مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة من بني
عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان
ياتي الولائم من غير ان يدعى اليها فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه اكثر الخلق مع الله تعالى في احوالهم السلمي
وارادتهم على التصنع وما تحقق منهم له الا قليل الا تراه تعالى يقول
وما يتبع اكثرهم الا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه
وله من الاحوال والافعال نظر الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه
وكان الحق من حيث الحق له لا من حيث هو الحق وذكر اكثر الحبيبين يشيرون
اليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء او خلاف
مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا
ما ادعوا به وما اشاروا اليه ولو كانوا الحق من حيث الاستغراق لنسوا
في جنب ما اشاروا اليه جميع الموارد سراء ام ضراء من حل في ميدان
الوصول لا يعترض عليه عارضة خلاف وانه هلك حاله عما سواه وقال
رضي الله عنه اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يوئسك من حصول
الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك
الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الغلبة
والشهوة انه اجرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه
فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس
بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طهرة وابعد رؤية
توجب له القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله لانه قد يكون ذلك
الذنب اخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه اذا اردت ان يفتح
لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا اردت ان يفتح لك باب
الحزن فاشهد ما منك اليه الرجاء والحزن عما لا من مشاهدتي

بمن أعطاه ان ينفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله من الفضل والكرم
والاسعاف فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن اراد ان ينفتح له
باب الحزن فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء
الادب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الحزن **ربما افادك في**
ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا تقدم ان القبض يوثره العارفون على البسط لما فيه من عدم
حظ النفس ووجود قدر تهمم على الوجدان اذا به دون البسط وقد ينفتح
لهم فيه من ابواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد
ان يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفه في اشراق نهار
البسط كما انه يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار وليتكل على الله
الى ربه وليحسن ظنه به فانه لا يدري ايهما اقرب له نفعا كما اشار اليه
بالاية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع
وقد تقدم نحوه من كلام شيخه ابي الحسن رضي الله عنه **مطالع**
الانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد
مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم وهاذه هي الانوار
الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة قال في لطائف
المنن واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه
بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه قد حرس
السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المومن
اولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسوله صلى الله عليه
وسلم لم يسعني ارضي ولا سماي ووسعني قلب عبدي المومن فانظر رحمك
الله هذا الامر الاكبر الذي اعطيه هاذا القلب حتى صار لهاذه الرتبة
اهلا ولهاذا قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المومن

العاصي

العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع وله
قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف
عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من اوصافه ونعوته من نعوته قال
ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما
ابهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ من الانوار قد ملاته وانبث
الانوار من وجوده حتى اني لم استطع النظر اليه فلو كشف الحق تعالى
عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات
انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس يطرا عليها
الكسوف والغروب وانوار قلوب اولياء الله لا كسوف لها ولا غروب
لذلك قال قايلهم: ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب
نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزاين الغيوب
نور اليقين المستودع في القلوب يستمد في نهاية ضيايه من النور الوارد
من خزاين الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ ابي
العباس المرسي رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المولف رحمه
الله ما انار الظواهر بانوار اثاره وانار السراير بانوار اوصافه **نور يكشف**
لك به عن اثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه النور المدرك بالحواس
يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثة وليس لك الى ذلك كبير
حاجة الا من حيث تستدل بها على المؤثر عز وجل والنور المستودع في
القلوب يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفي هاذا
غاية بغيتك وبه تشرف قدرك ومن اجل ذلك تتحقق في المعرفة
وترتقي في المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك وهذا فرق ما بين
النورين قال في لطائف المنن نور الشمس يشهد به الاثار ونور اليقين
يشهد به المؤثر قال ولنا في هذا المعنى •

هاذه الشمس فابلشا بنور ولشمس اليقين ابهى نورا
فرأينا بها النور الذي نهايته فلم رأينا العينا

ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس الظلمانية فتحجب محبتها بكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال ابو الحسن الششتري رحمة الله عليه في قصيدته النونية

تقيدت بالاوهام لما تداخلت عليك ونور العقل اورثك السجن
وهمت بانوار فهمنا اصولها ومنبعها من اين كان فما همنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما تبعد من اظلام نفس حوتكم غنا

ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار انوار السرائر انما حجبت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها عن ان تبتذل لها بوجود اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هاذا المعنى في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وقال رضي الله عنه

سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان يكون بسبب او

طب

طب كان اولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة اصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وانسه وطهر اسرارهم من مجالس الاغيار وصان قلوبهم بما اودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا لذلك ضنائنه في عباده وخبايه في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى اغير على اوليائه من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يخفيهم في اعين الخواص والعوام فانى يكون لاحد دليل عليهم او وصول بسبب اليهم قال في لطائف المنن فاولياء الله اهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار القلوب لله سبحانه عباد ظن بهم عن العامة واظهرهم للخاصة والعامة ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله قبض ارواحهم بيده فتطيب اجسامهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابد مع الباقي الاحد عز وجل انتهى وقال ابو يزيد رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرائس ولا يرى

الحارس الا من كان هو مالهم واما غيرهم فلا وهم محذورون عنده في مجال الانس
لا يراهم احد في الخيال ولا في الاخرة وقال ابو علي الجوزجاني رضي الله
عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تعالى تولى الله سبحانه
سياسته فتوالت عليه انوار التولي ولم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله
عز وجل قرار وفي الاشارة عن الله عز وجل انما سميته الولي وليا لانه يليني دون
ما سواه فهم متفقون حتى يأتي الحق تعالى لهم من يوصل اليهم نعيمه ولذلك
صدر المؤلف كلامه بالتسبيح ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب
عنك الاستشراف على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء اسرار الناس بعضهم
عن بعض لا سيما اسر يقتضي وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدليل
الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سواه من الاسرار الملكوتية
ووجه الفرق بينهما ما يذكره المؤلف الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم مما
ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده
ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المؤلف في
المسالة التي فرغنا منها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب او بسبب واخفاء ذلك
ايضا عن عامة المومنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد
لاوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بما يجب منها فان فرط في
ذلك وترك القيام بتلك الحقوق راسا وقع بسبب ذلك في محذورات لا يقوم
لها شيء ومن كلام سهل بن عبد الله وقد سأله بعض تلامذته كيف تعرف
اولياء الله فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا الى اشكالهم او من اراد ان ينفعه بهم
ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه
بهم كفر ومن قعد عنهم حرج ولكن الله تعالى جعل الاختيار وتغطية امورهم
رحمة منه لخلقه ورافة ولكن الله قد اخفى كراماتهم فقال تعالى الله ولي الذين
امنوا والله ولي المومنين فان ردهم به ولو اظهرهم حتى يعرفهم لكان في النقص

اليهم

اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضا والمعنى الذي ذكرته في هذه
المسالة قريب منه من الكلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب في كتاب الشكر قال فيه
ثم بعد ذلك من لطائف المنعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض ونشرهم
عند العلماء والصالحين منهم ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين
عنهم ولو ظهر عليهم ايات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من
ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول الحسنات
عليهم ولحبطت اعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما يحمل
العاملين لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتاخرت
عقوبات المؤذين لهم عن العاجلة ففي ستر هذا نعمة عظيمة لما سترت عليهم
من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم ففي ستر هذه انعم عظيمة
على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على
المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشانهم لتعظيم الله تعالى من اجلهم اذ كانوا
اساءوا اليهم من وراء حجاب فهذا من لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما
جاء في الخبر من اذى وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم ان الناس لو لقيوا فقد يكون مثل
ذلك الحمراء نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان يخبر انه رسول الله وان الله عز
وجل نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمته من كان اعلم انه نبي الله عز وجل
لتعظيم حرمة النبي انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول اولى في تقرير
معنى ما ذكره المؤلف رحمه الله سبحانه اعلم من اطلع على اسرار العباد
ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال
اليه المطلع على الاسرار التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة
الالهية التي تسع المومنين وتحلم على الظالمين وتصفح عن الجاهلين وتيسر الى
المستكبرين فعباد الله تعالى اجمعين بانه يكون ذلك الاطلاع فتنة
عليه لانه الحامل له الى رؤية نفسه واستعظام امرها والعجب بعمله والتكبر

والله

على غيره وهاذا هو اعظم الفتنة ويكون سببا الى حر الوبال اليه من ادعائه
لصفات ربه ومنازعته له في ردائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية
الخزي والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء وفي الاشارات عن الله تعالى عبدي ان استخلفتك شفقت عليك
من الرحمانية شغلا فكنت ارحم بالعبد من نفسه وقد ادب الله خليله ابراهيم
في بعض مواطنه العظيمة الشكا ليعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم
عند اطلاعه على الاسرار روي عن قسامة بن زهير انه قال بلغني ان ابراهيم عليه
السلام حدثته نفسه انه ارحم الخلق فرفعه الله حتى اشرف على اهل الارض
فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله عز وجل انا ارحم
بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لما ارى الله تعالى ابراهيم عليه السلام ملكوت السماوات
والارض اشرف على رجل بمعصية من معاصي الله تعالى فدعا عليه فهلك ثم كذلك
اخر واخر فهلكوا فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم انك مستجاب الدعوة فلا
تدعوا على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوب فاتوب عليه واما
ان يعقب الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان الله تعالى
له يعجز ولا يرحم لهاذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة
رحمته لهم ذكر في بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى
السماء وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض فعرج به ذات
ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه ياكل رزقك ويمشي
على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم
اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني كما رايتهم عاصين

فلما

اوري

فلما اهبطه تجلى في المنام ما ذكر الله تعالى في كتابه حيث يقول اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك واخذ السكين
بيده قيل له اللهم هاذا ولدك وثمرة فؤادك واحب الناس اليك فسمع قايلا لما
تذكر ليلة ان سالت اهلاك عصاة عبادي وما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق
بولدك فاذا سالتني هلاك عبيدي اسالك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي
حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة
ما يخفى صعب علاجه النفس شانها ابدا طلب الحظوظ والفرار من
الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها الطاعات فضلا عن المعاصي
ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق ذلك وقد تجد من النشاط
والقوة في نوع من العبادات الخفية ما لا تجده في نوع اخر وان كان هاذا النوع
اتم فضيلة منه وما ذاك الا لان حظها فيه اكثر من الاخر فاهل الفطنة والبصيرة
يتهمون انفسهم اذا الفت نفوسهم فاعمل ابواب العبادة لمعرفتهم بخدعها
ومكايدها فيفتشون عن ذلك عليها ويتلطفون منها وقد حكي عن ابي محمد
المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك
كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل
ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت لحظ وشوب من
نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهكذا ما يبقى
ارحل النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العلماء فلذلك تعسر مداواته لانه
يحتاج الى رفق فهم ونور خاطر فليتطلب ذلك اذا ابات نفسه ولطايف
خدعها وخفايا حظوظها فليعمل على تصفية اعماله من ذلك فالجرم ان ذلك
كان ذلك متعذرا فيجب عليه اتهام نفسه ومجاهدتها في كل ما تدعو اليه
كائنا ما كان قال الشيخ ابو بكر الفقيه سمعت بعض مشايخنا يقول عن ابي بكر
احمد البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى اسبيجاب للغزو فقلت سبحان الله

أن الله يقول إن النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا
ولكنها استوحشت من قلة لقاء الناس لتستروح إليهم وليتسامع الناس بها
فيستقبلونها بالبر والتعظيم فقلت لا أسكن العمران ولا أنزل على معرفة
فأجابت فأساءت ظني بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها أقاتل العدو
حاسرا فأكون أول قتيل فأجابت وعددت أشياء مما أراده فأجابت إلى كل
ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فإني لها متهم ولقولك مصدق فألهمت
كأنها تقول إنك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك إياي ومنعي شهواتي ولا يراني
أحد فإن قاتلت وقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس
فيقال استشهد فلان فيكون لي شرف بين ذكر الناس قال فقعدت ولم أخرج
ذلك العام فما أكثر خدع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها وسيأتي من كلام
المؤلف إذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فاتبعه فإنها لا يثقل
عليها إلا ما كان حقا **ومما يخاف من الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك** رياء
العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج إلى أمارة عليه ورياؤه
بعمله حيث لا يراه أحد أمر خفي لا يعرف إلا بالأمارات والعلامات بل هو أخفى
من دبيب النمل ومن أماراته أن يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه
في المحافل والمجالس ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحد في حقه الذي يستحقه
عند نفسه استبعد ذلك وأنكره واستنكره ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره
وإهانته وإهانة سواه حتى ربما يظهر من بعض سخفاء العقول هذا الكلام على ألسنتهم
فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم
حتى ينتصر لهم ويأخذ بثأرهم فإذا وجد هذه الأمارات في نفسه فليعلم
أنه مراء بعمله وإن أخفاه عن أعين الناس وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه
قال إن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا يرخص عليكم السعر ألم تكونوا
تبدءون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لا أجر لكم قد

استوفيتم

استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه أن رجلا من
العباد قال لأصحابه إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن
يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في
أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب
أن تقضى لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه
فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ
من الناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام
ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل
أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي
حديث آخر فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح
الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا
أنفسهم بسببه من الأشرار روي عن الفضيل بن عياض أنه قال من أراد أن ينظر
إلى مراء فلينظر إلي وسمع الحسن بن دينار امرأة وهي تقول يا مرائي فقال لها
يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ودخل رجل على داود الطائي
فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت
ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار من الزهاد أنت لا والله
من العباد أنت لا والله من الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول
كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي شر من
الفاسق إلى غير ذلك مما روي عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الجلي
والخفي إلا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك
وغيب عن نظرهم رؤية الخلق جملة بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة
فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء
خالصة وإن عملوها بين أظهر الناس فبراء منهم ومن لم يحظ بهذا المشاهد

الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بجمله وان
عبد الله تعالى في فلاة جبل بحيث لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم من
قول يوسف بن الحسين الرازي اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في ازالة
الرياء عن قلبي فكانما ينبت على لون اخر استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك في عبوديتك الخصوصية ههنا لما اختص الحق
سبحانه بعض عباده من علم نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع
بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع الى ان يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله
حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك والفرار
بحاله من رؤية الاغيار له ولهذا افضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين
ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام
اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه فاذا خرج
الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى فليعط بيمينه وليخفها عن شماله واذا
صلى احدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد
سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد
بن ابي الحواري من احب ان يعرف بشيء من الخير او يذكر به فقد اشرك في عبادته تعالى
من عبد على المحبة لا يحب ان يرى خدمته غير مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله
القرشي كل من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء
لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف وقال
سهل بن عبد الله التستري من احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو
غافل وقال ابراهيم الخواص ما اخلص من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن
احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم من استوطاء لا تحب
ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك لا تحب ان تعرف يعني العبد اخفاء حاله جهده
وان يبلغ في كتمانه اقصى ما عنده قال الحسن ادركت اقواما ما من

احدهم

احدهم يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس
مع القوم وانه ليفقه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت اقواما يأتي احدهم
الزور فيبكي وما يشعر به الزور ولقد ادركت اقواما وما عمل يقدرون ان يعملوه
لله سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما يجمع احدهم القرآن وما
يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمعهم احد
وقال محمد بن واسع ادركت رجالا كان الرجل يكون راسه مع راس امراته على
وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امراته ولقد ادركت
رجالا يقوم احدهم في الصف فتسيل دموعه على خديه لا يشعر به الذي الى
جنبه وفي رواية عنه ان كان ليبكي عشرين سنة وامراته معه لا تعلم فان
دفع منه اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه
عن ان يجد فيه الفرح باطلاع الناس على حاله وليتوجه الى نفسه ويكرهه
ولا يرضى منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان غالب هذا واستشعر
الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه
ولو في لحظة خيف عليه ان يجد الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان
كان ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لان سببه قد استثبت
له وان كان قوي الارادة سالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون
فيقع حينئذ الغيرة على الحال وينحط بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان
اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي هذه الطريق كما تقدم عند
قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فاذا تحقق العبد المعرفة ومشاهدة الوحدانية
الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله نبأ منه على نعم الغني
واداء الواجب الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا حسن
ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الرياء فيقول وهل
رايتم من يرائي بفعل غيره وكان اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك

فيقول الم ينل الله سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث
فان قصد من هذا احالة الى هداية عباد الله ودعايهم الى الله تعالى فاظهر
احواله واعماله للاقتداء به والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الاول
كله وداخل في حكم هذا النوع الثالث وعلانية هذا افضل من سره لانه سلم
من الافات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوايد التي تضمنها اظهاره
رجعهم وقد جا في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء
وهذا الترجيح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله عن
فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد فعل
ما ذكرناه من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين منعنا من ذكر
وقايعهم خشية الاطالة وكان في الحسنهم لاجل هذا الغرض ومقام
هذا الكبير مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فللجزم كان له الدرجات
العلا عند الله لانه من الايمة المتقين لله وقد اخبر الله تعالى عن ابراهيم وذكر
عنه دعايهم في ذلك فقال عز من قايل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون
فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فصل في الطريق التي
اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهوده
قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف
عبده وقال الم يعلم بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
فمبنى امرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال
وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم رغبة
في اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين
وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء اظهرهم
وان شاء سترهم وان شاء اظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم
فاقتطعهم عن كل شيء اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة

الله

الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما
لم يكن الظهور مطلبهم واراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك
بتاييده واراده مزيده كقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب
الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة
وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء
بل اراده وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس المرسي من احب
الظهور فهو عبد الظهور ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله
فسواء عليه اظهره او اخفاه غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم اليك بشهود اقباله عليك هذا المعنى هو حقيقة صدق
عبودية العبد لله الذي اشار اليه من المسالة التي قبل هذه وهو ان لا
يكون له شعور بما من الخلق اليه من نظر او اقبال ولا تشوف اليه ولا طلب
له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه لما من الله اليه من نظره اليه واقباله
عليه فيغيب ادنى الحالين باعلاهما وقد الحسبان بعلمه ما من الخلق اليه امر
وهمي باطل ينبغي الغاؤه اليه كل ذي عقل تام يوجب له ذلك الانقياد
انواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط في اهوا الناس وتحسين مواقع نظرهم
منه بالتصنع والتزين لهم وتهيبة التجاهل والحشمة لديهم تكبرا وتعظيما
عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتقلب الاسرار والاعلان وهذا
عند ابلغ ما يستعجله من دنياه ان يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه
وسلبه ثوب الغنا والعز ولبسه لباس الطمع والذل فيتردى بذلك همته
وتقل قيمته ولهذا اب لخوة اكبر وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما • وفاز باللذة الجسور

وراى سهل بن عبد الله رجلا من الفقراء بمكة فقال له شيئا فقال له
يا استاذ لا افخر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل الى اصحابه

وقال لا ينال العبد حقيقة من هاذا الامر حتى يكون باحد وصفين حتى
يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو وخالقه فان احدا لا يقدر
ان يضره ولا ينفعه او يسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه
انتهى ثم من له تحصل لما اراده منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم
متباينة فربما استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما
رضي شخص بما لا يرضى اخر فهو يعمل بزعمه فيما يتبعه (عنه) الناس وهو ساع
فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب
في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هاذا المعنى
ذكر ان لقمان خرج ذات يوم الى السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال
الناس شيخ لم يشفق على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار
هلا زاد ذلك انثنا فنزل لقمان وبقي الرجل فقالوا شيخ يمشي وصبي راكب فنزل
يمشي مع والده وساقا الحمار جميعا فقالوا حمار فارغ وهاذان يمشيان
وكان غرض لقمان ان يري ابنه شان الناس مع من يراعي نظرهم وانه
لا يسلم منهم على اي حالة يكون فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس
من طلب ما لا يدرك فهاذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول
وسفهاء الاحلام واما من كان له عقل وافر وعلم باهر فلا يميل الا لما هو
حق وحظ صدق فهو مما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم
نوال فهو يعمل فيما يوديه الى هاذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام
او عيب عايب ويقول بلسان حاله الهوا الذي تكرهون في ذاك الذي يشتهيه
قلبي ويقول ايضا ما قاله محمد بن اسلم مالي ولهاذا الخلق كنت في صلب ابي
وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم تقبض روحي
وحدي فادخل في قبري وحدي وياتيني منكر ونكير وحدي فان صرت
الى خير صرت وحدي وان صرت الى شر صرت وحدي واوقف بين يدي الله

ونكير

وحدي

وحدي ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان فان بعثت الى الجنة بعثت
وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي فما لي وللناس وقد سيل
الحارث بن اسد المحاسبي عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذي لا يبالي
لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب ان يطلع
الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السيء
من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا
من اخلاق الصادقين من عرف الحق شهده في كل شيء فلا يستوحش من
شيء ويستانس به كل شيء كما تقدم من نعت العارفين ومن فني به غاب
عن كل شيء كما تقدم (مثله) فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا اليه
استناد ومن جهل لم يوثر عليه شيئا من مراداته وشهواته
وهاذه الامور التي ذكرها المولف هي علامات بلوغ هاذه المقامات
العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له ان يدعي
تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها
انما حجب الحق عنك شدة قربه منك شدة القرب حجاب
كما ان شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك
وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الوجود
فكيف يراه فان لطايف المنن لعظم القرب هو الذي غيبك عنك
شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب ان تغيب في القرب
عن القرب لعظم القرب كمن يشم رايحة المسك فلا يزال يدنو وكلما
دنى منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت
الرايحة عنه وانشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والامر اوضح من نار على علم
اراك تسال عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

انما احتجب بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارة
تداولها الناس وضربوا لها امثالا بالشمس وذلك ان الشمس نورها اقوى من
ساير الانوار المحسوسة وقوته هو الذي حجب الابصار الضعيفة عن ادراكها
فقد صار ظهورها الذي اوجب وجود نورها حجابا وليس الحجاب على الحقيقة
منها لان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب
هاهنا ضعف البصر عن مقاومته فيضان النور والحق تعالى احتجب عن الخلق
بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظيم نوره وانشدوا في هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعزة استترا

وانشدوا

فالنور يظهر ما ترى من صورة ... وبه وجود الكائنات بلا مترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصير من الورا
فاذا نظرت بعين قلبك لم تجد ... شيئا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار
العبودية وقياما بحقوق الربوبية لم يامر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال
منه الا ليظهر افتقارهم اليه ومثولهم بالتواضع والخضوع بين يديه ليكون
ذلك اظهار العبودية وقياما بحقوق ربوبيته لا لان يتسببوا به الى حصول
ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين
عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المولف الان قال ابو نصر السراج
سالت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التعليم والتفويض فقال
يدعو الله على وجهين احدهما يريد به ان تزين الجوارح الظاهرة بالدعاء
لان الدعاء ضرب من الخدمة يريد ان يزين جوارحه بنوع الخدمة والوجه

الثاني

الثاني ان يدعو ائتمارا لما امر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة الدعاء
اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا ان لا ينقطع سؤاله
ولا رغبته وان اعطاه كل ما طلبه وناله سؤله واربه وان لا يعرف من العدم
والوجود والمنع والعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله في
الاحوال كلها كما انه ربه في الاحوال كلها وفي بالعبادة بجهده وجهده عريا
مما يميله من شهوته وهواه قال الشيخ ابو الحسن لا يكن همك في دعائك
الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك قال الامام
ابو القاسم القشيري شر الناس من يتعلل الى الله تعالى عند هجوم البلاء فيلوح
الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه اباته ضيع
الوفاء ونسي البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وابدل العهد بنقض الوداد وليعلم الذين
ابعدهم الله في سابق الحكم وخرطهم في سلك اهل الردة وقد قيل بلاء يلجيك
الى الانتصاب بين يديه مصحوب لحظ خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه
كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على نفي
السببية المذكورة لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه امر
لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل المسبب
ابدا الا متقدم على السبب جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا دليل اخر
على ما ذكره وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل فلا يكون
سببه الدعاء والسؤال لان احكام الله تعالى تجل عن ان تنضاف الى علة او
سبب من قبل ان له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة فصنعه علة لكل
شيء ولا علة لصنعه كما قال العارفون المحققون عنايته فيك لا لشيء
منك واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في ازله
اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم
النوال عناية الله بك في الازل حين تكن حين لا حين غير معللة بشيء كاين

منحسن اخلاص اعمالك او وجود احوال تتوسل بجميع ذلك اليه واين كنت
انذاك وانت عدم محض بل لم يكن هنالك الا محض كرمه وافضاله وعظيم
احسانه ونواله الا ترى قال الواسطي اقسام قسمت ونعوت واحكام اجريت
كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات علم ان العباد يتشوفون الى
ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم انه لو خلاهم وذلك
تركوا العمل اعتمادا على الازل فقال تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين
ظهور سر العناية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عز
من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه في
قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على تلك العناية وليس
بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة
ويتركوا العمل الذي هو مقتضى العبودية الواجبة لله عليهم الى المشيئة
تستند كل شيء لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال ولا تستند هي
الى شيء لاستحالة وجود النقص فيما يجب له من الكمال وهذه العبارات التي
ذكرها المؤلف من اوله الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت
بتعاضدها وتكرارها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى ان احكام الازل وتقدير
الاسباب والعلل يجب عليه ان يبني عليها اعماله واحواله فيلزم العبودية
والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو ادب التوحيد
جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر بن موسى الواسطي ان الله
لا يقرب بعين الاجل فقيرا ولا يبعد غنيا الاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ما وصلك اليه
بهما ولو اخذتهما كلتاهما ما قطعك بهما قرب من قرب من غير علة وقطع
من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ايضا
ما خالفه احد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته انى يكون له

الوفاق

الوفاق وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته انى يكون له الوفاق
والخلاف وهو مقلب الليل والنهار فيهما وهو قائم على الاشياء والاشياء
في بقائها وفنائها الا به فمن وجد ولم يوحشه فقده بل لا فقد ولا وجد انما
هي رسوم تحت الرسوم وقال رضي الله عنه •
ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن
مسالته فقد يكون من الادب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار
راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب القوم قال الامام ابو القاسم
القشيري واختلف الناس في اي شيء افضل الدعاء ام السكون والرضا فمنهم من
قال الدعاء في نفسه عبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة
والاتيان بما هو عبادة افضل من تركها ثم هو حق الحق تعالى فان لم يستجب
للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لان الدعاء اظهار فاقة
العبودية وقد قال ابو حازم لان احرم الدعاء اشد علي من ان احرم الاجابة
وطائفة قالوا السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق من اختيار
الحق اولى كذلك ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الازل خير لك من
معارضة الوقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله عز وجل
من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقد قال قوم يجب
ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضى بقلبه لياتي بالامرين جميعا
قال الامام ابو القاسم والاولى ان يقال ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال
الدعاء افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعاء
وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف
ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء
فبه اولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي
ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله

فإن وجد من الدعاء زيادة نشاط في وقته فالدعاء له أفضل وأولى وإن عاد
إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثال قبض فالأولى ترك الدعاء
في هذا الوقت وإن لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه
هاهنا سيان وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء أولى
لكونه عبادة وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت
والسكون له ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه
فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسه فيه حظ فالسكوت أتم وفي الخبر المروي
أن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره
أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبريل أخر حاجة
عبدي فإني أحب أن أسمع صوته انتهى كلام أبي القاسم إنما يذكر من يجوز عليه
الإغفال وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال أو في هذا كالدليل على ما ذكره
من أن ترك الطلب قد يكون من الأدب في ذلك لأن في الطلب إشعارا بتجويز الإغفال
عليه فيقع في ذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الإهمال منه فيكون ذلك
تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلأجل هذه
العلل كان ترك الطلب عندهم أولى أدبا وقد سئل الواسطي أن يدعو
فقال أخشى أن أدعو أن يقال لي إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن
سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك من
الأمور ما قضينا لك في سابق الدهور وروي عن عبد الله بن منازل أنه قال ما
دعوت الله منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لي أحد لأنه ما مضى علي ما سبق
ورود الفاقات أعياد المريدين الأعياد عبارة عن الأوقات العائدة على
الناس بالمسرات والأفراح وهم يختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه
بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم
من مسرته وفرحه بفقد حظه وعوز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال

الخاصة من المريدين لأن معاملتهم [أمور] إنما هي على مراعاة قلوبهم وتصفية
أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك إلا بوجدانهم لما
يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون
الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة إذ يحصل
لهم بذلك من المعرفة وحلاوة لا يعرف قدرها إلا هم للانعام من وجودهم لقرب ربهم
ورؤيتهم له في حال فقدان حظوظهم فكلما ازدادوا فاقة وبلاء ازدادهم
مولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف بحول الكعبة وهو يقول

مؤتزر بشملة كما ترى • وصبية باكية كما ترى
وامرأة عريانة كما ترى • يا من يرى الذي بنا وما يرى

أما ترى ما حل بي أما ترى فسمعه بعضهم فجمع له كسوة ودفعها إليه فقال
له إليك عني لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول هذا القول قال في التنوير
وفي البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا أولو البصائر ألم تر أن
البلايا تخمد النفوس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع
مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم
أذلة وقال أبو إسحاق الهروي من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر
سبعا على سبع فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير اختيار
الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع
على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة ونكتفي عنه بقول المؤلف متى
ظهر انفكاك لطبعه عن قدره في ذلك المقصور نظم الشعراء في هذا المعنى فواجب
إذا أن تكون ورود الفاقات أعياد المريدين كما قال فإذا فقدوا أعز المحبوب آنسة
الأسباب استشعروا أنه الحق وجود الحجاب وبعدهم عن مجال الاقتراب فحزنوا
لذلك وتأسفوا ووجد والرعاد عليهم أحوال الأول ومن هذا المعنى ما حكي
عن خير النساج قال دخلت بعض المساجد فإذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي

وقال أيها الشيخ تعطف بي فإن محنتي عظيمة فقلت وما هي فقال
فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فإذا هو قد فتح عليه بشيء من الدنيا
وقال بعضهم إن الفقير الصادق ليحتمي من الغنى حذرا أن يدخله الغنى
فيفسد عليه فقره كما أن الغني يحتمي من الفقر حذرا أن يدخل عليه فيفسد
عليه غناه، وقد تقدم من حكايات عطاء السلمي وفتح الموصلي والفضيل
بن عياض والربيع بن خثيم وأبي واقد ما ذكرناه، وأنشدوا في ذكر أعياد المريدين
والعارفين وقيل إنها لأبي علي الروذباري رحمه الله تعالى

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه • فقلت خلعة ساق حبه جرعا •
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما • قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا •
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به • يوم التزاور في الثوب الذي خلعا •
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي • والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا •

ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة ورود
الفاقات يحصل للمريد مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السر وقد لا
يحصل له بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة
وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن فيه دخول الآفات فلا يفيد
فلتك تحليه ولا تزكيه بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للهوى
والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو هذا المعنى عند قوله إذا فتح لك
وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل الى آخره **الفاقات بسط المواهب**
الفاقات تحضر مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وهنالك ما يكون
في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية **إن أردت
ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء**
هذا أمثل ما ذكره الآن وذكر الآية عقيبه إشارة بديعة وتصحيح الفقر
والفاقة هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة في المسألة التي تأتي بأثر هذه

وفيها

وفيها تتعلق بظاهر الآية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة
القوم ما قال بعضهم صدق الفقير أخذ الصدقة ممن يعطيه إلا ممن تفضل
إليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها
من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم
بالفقر مع دناءة همته **تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك
يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك
بحوله وقوته** هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب وقد تقدم
التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف
عبوديته متحققا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي في بعض كلام تقدم ذكره وتحقق
العبودية ملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى وأضدادها
أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل
من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من
للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط
الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله
واصبروا إن الله مع الصابرين انتهى كلام الشيخ أبي الحسن رحمة الله عليه وقال
رحمة الله عليه **ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة** الكرامة
الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها إلى
أمرين صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به صلى الله عليه وسلم ظاهرا
وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليهما ولا تكون له همة إلا في
الوصول إليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين
إذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له استقامة قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي
إنهما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان
وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعوى

والمجاهدة فمن اعطيهما ثم يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو
خطا في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا
فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها
الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص او هالك مثبور
وقال سيدي ابو العباس المرسي ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة
وغيرها من البلاد انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند
ربه وذكر عند سهل بن عبد الله الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات
هي شيء تنقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك
بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل يده
في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابي محمد المرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال
عندي ان من مكنه الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الماء وفي الهوى وقال
ابو يزيد لو ان رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا
كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان يقال انه يمر في ليلة الى مكة فقال
الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له
فلان يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء اعجب من ذلك وقال
الجنيد حجاب قلوب الخاصة المختصة به رؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون
الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل
تخليصه من علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك فيه مع حصول
النتائج لا اعتبار بما يدوم فيه العبد بنفسه من عمل او حال وانما العبرة بما
يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله العبد في الشيء ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته
ونتيجته ويبني على ذلك اداب ومعاملات وقد اشرنا الى شيء من هذا عند
قول المؤلف ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى اخره من
عبر من بساط احسانه اصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان

الله

الله اليه لم يصمت اذا اساء من شاهد احسان نفسه وعمله بطاعة
ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت منه اساءة
ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة
اهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح وطالح
ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه
في الحالين معا فهو من لا يشاهد له الا وحدانية ربه وقيوميته ارجعته
جرأته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه
طريقة اهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت
وما ذكرته هاهنا من مقتضى التكليف والتعريف وما نبهت به عليهما
من الكلام اللطيف اشرت به الى مسألة عظيمة مهمة تنبني عليها اداب
واحكام جمة وهي اختلاف الناس في معاملتهم لربهم بسبب تباينهم في
مراتب قلوبهم من احكام هذه مسالة التعميم الخ التي انتصر المؤلف عليها
في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني عليه ولا طرف قد نبه
عليها في لطائف المنن واتى فيها بكلام مستوعب حسن فراينا ان ننقله
هاهنا بكماله بكماله ليتبين به مقصدنا في تفصيله واجماله قال
فيه رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس الناس على ثلاثة اقسام عبد
هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله
اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ
هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته
فيقوم مقام المعتذرين في حق الله تعالى ويلازمه الاحزان ومخافة
الخذلان ويستولي عليه الكمد كلما تحركت منه سيئة او كشف
له عن وصف سوء وعبد اخر الغالب عليه شهود ما من الله
اليه والفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه الحشمة

بالله والفرح بنعمة الله قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول هو حال العباد
والزهاد والثاني حال اهل العناية والوجدان الاول شان اهل
التكليف والثاني شان اهل التعريف الاول حال اهل القبضة
والثاني حال اهل المعرفة بالله قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي
وعن ها نشرا بن الزمان عه الا لكان الجاري بمن الله عليه وعن ما
اسماء شيء احسن الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون
وقال رضي الله عنه قليل العمل مع شهود المنة والتفضيل
وكثير العمل مع رؤية التقصير والتحسر وقال بعض اهل المعرفة
لا تجعلوا شهود التقصير والشرك في التقدير وقال الشيخ ابو الحسن
قرأت ليلة والليالي قل اعوذ برب الناس الى ان انتهيت
الى قوله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطافه
الحسنة ويذكرك افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك
ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله
فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد والعباد واهل الجد والاجتهاد
ولذلك فلن تجد الزاهد الا والعابد الا مكمودا حزينا الا انه علم ان الله سبحانه
طالبه بالعبودية وحمله اعباءها والزمه ما صعب على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين
الزهاد ثقل ما حملوا ولم يتحققوا بشهود لطيف الحامل للاثقال عن عباده
المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل المعرفة
بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله
والقيام به حتى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا

وعلموا

وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجعى فحمل عنهم الاثقال
فساروا الى الله محمولين في محفات المنن مروحا عليهم بنفحات اللطف والقرب
وساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول عليهم
المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود ما منهم الى
شهود ما من به فيه لهم وطابت لهم الاوقات واشرقت عليهم العنايات واما
القسم الثالث وهم الخيرة اعدهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم
اهل التوحيد والداخلون في ميادين التفريد واهل القسم الاول وهم الخير غلب
عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك ولا خرجوا عن ظاهره
لانهم اقبلوا على انفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم ولو
لم يشهدوا الفعل لها ومنها لما توجهوا اليها بالتوبيخ اذ نص بذلك الذي
قال فيه العارف الذي سبق قوله لا تجعلوا شهود التقصير من الشرك في التقدير
فان قلت اذا كان توبيخ النفس ونحوها يستلزم دقيقة الشرك فكيف نصنع
والله تعالى قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا قصرت ونعيبها هواها اذا كانت
فالجواب انا نذمها لان الله تعالى امرنا بذمها من غير ان نشهد لها قدرة
او نضيف اليها فعلا تراه انها هي الفاعلة واما القسم الثاني وهم الخير شهدوا
ما من الله اليه فغابوا وان كان خيرا من القسم الاول الا انه ما سلم من اثبات لنفسه
اذ راى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه لما راى
ما شهد فلذلك فاتهم عين المعتنين واما اهل الله تعالى القسم الثالث وهو ان يكون
بشهودهم ما من الله الى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله وتأمل ما تضمنه من
الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة فقد دعانا في المناسبة التي ذكرت على ما هو عليه
في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره تشبه لغوار الحكماء اقوالهم بحيث صار
التنوير وصل النعيم الحكماء هم العارفون بالله تعالى العاملون به وانوار المنسربة

اليهم هي انوار معرفتهم وهي قرة عينهم فان الامور كلها بيد الله
تعلى لا شريك له فيها فاذا اراد ارشاد عبد من عباد الله تعلى ونصيحتهم باذن
باذن الله تعلى لهم سبقت انوار قلوبهم الى الله تعلى بالالتجا والافتقار اليه
في ان يتولى لهم من قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية واستعدادا لقبول
ما يريدون ان يلقوه عليهم من كلام الحكم فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به
تلقته قلوبهم التي وصل اليها اثار انوار اسرار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة
وابل المطر فيستبشرون بذلك الذي اتاهم انتجاع وقد اوصى لقمان الحكيم ولده
قال يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا اتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد
بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب الميتة
بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل المطر وانما الحكماء هم العارفون بالله
تعلى العالمون به لانهم خائفون من الله تعلى وفي بعض الاثار راس الحكمة مخافة
الله والخوف من ثمرات العلم بالله قال الله تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء
والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعلى فقط فالحكماء هم العالمون بالله
تعلى وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كليلة السنتهم في البيان عنها
كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز اللسان ترجمان القلب
فاذا صفي من الكدر وتزكى من الاغيار واشرقت فيه الانوار كانت ترجمانية
لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج اذان السامعين فتنبعث به
ذلك قلوبهم فيستجيبون لنداء الحق بسببهم روى الحافظ ابو نعيم عن سعيد بن
عامر قال كان قاص يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع فقال يوما وهو في
جلسائه ما لي ارى القلب لا يخشع وما لي ارى العين لا تدمع وما لي ارى
الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اتوا الا من قبلك ان الذكر
اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد ذكر المؤلف رحمه الله في صب
السوط في هذا المعنى التي تذكرونه ما يزيد كلامه في هذا الكتاب رضي الله عنه حظ

له

له منه التسليم المحمود فيسلم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه ابي العباس المرسي
رحمه الله على عظيم قدره في رعايته له برهانا على ذلك قال في
لطائف المنن وكنت قلت لبعض تلامذة الشيخ يعني ابا العباس اريد ان نظر
الي الشيخ بعنايته ويجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ
قال للذي قال للشيخ لا تطلبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل اطلبوا انفسكم ان يكون
الشيخ في خاطركم على قدر ما يكون عندكم تكونوا عنده ثم قال اي شيء تريد
ان تكون والله ليكونن لك في ذلك كذا وكذا لم اثبت منه الا قوله ليكونن لك شان
عظيم قال فجعلني بفضل الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدنا جمال الدين
ولد الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون ان يجعلوا ابن عطاء الله في الفقه فقال
الشيخ هم يريدونه في الفقه وانا اريده في التصوف قال ودخلت عليه فقال
اذا عوفي الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جده ويجلس الفقيه من ناحية وانا
من ناحية وتتكلم ان شاء الله في العالمين بكل ما اخبر به قال وسمعته يقول اريد
ان استنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت انا فاستنسخته
من غير ان اعلم الشيخ واتيته بالجزء الاول فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب
استنسخته لكم فاخذه فلما نهض ليخرج قال اجعل بالك الولي لا يتسخط عليه
احد فجهدها ان شاء الله في منزله فلما اتيته بالجزء الثاني يعني لقيني بعض
اصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من
عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن فلما اتيته بالجزء الثالث
ونزلت من عنده لقيني بعض اصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده
مجلس حضرا فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما رضي له
بجلسة حرس ولاكن بزيادة التصرف قال واخبرني بعض اصحابه قال قال الشيخ يوما
اذا جاء ابن عطية الاسكندرية فاعلموني به فلما اتيت اعلموا الشيخ بذلك فقال
تقدم فتقدمت الى ما بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا
ملك الجبال قد امره الله ان يصنع امرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال
ثم قال يا محمد ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك
به شيئا فلطف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من هذا
اصلابهم كذلك فهذا على حد هذا الفقيه لاجل الفقيه قال وخرجت يوما
من عند الفقيه الحكيم الاسمر وخرج معي ابو الحسن الجزيري وكان من اصحاب
الشيخ ابي الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من
اين تعرفني قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت انت عنده فلما نزلت قلت يا سيدي انه ليعجبني هذا الشاب
انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ
يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله وكان هذا
قال الشيخ قال وكنت كثيرا ما يطرا علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ
فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء قلت نعم قال هذه طائفة تلعب
بالشيطان لا الشيطان يلعب بها ثم مكثت لا يا ما ودخلت عليه فقال ما
حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسواس لا تعد
تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني قال وكان رحمه الله يلقي
الوسواس يعجل الملك الخلاق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزيز قال وعملت نصيحة باشارته جوابا النصيحة مدحه بها انسان
من بلاد اخميم فلما قريت عليه قال اعجبني هذا الفقيه ربه مرض عافاه
الله منهما ولا بد ان يجلس ويتحدث في العلم يشير الشيخ الى مرض الوسواس
قال فلقد انقطع عني ببركة الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون لشدة التوسعة
لا اجمعها فدونتها هلت في الامور والمرض الاخر كان في الم براسي فشكرت

ذلك

ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال ورايت ليلة من الليالي مهموما
فرايت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك
علما عظيما قال فلما استيقظت جيت الى الشيخ فقصصت عليه الرويا
فقال هذا ذا يكون ان شاء الله قال وجيت يوما من السحر فوجدنا اللقاية فلما
سلمت عليه قال يا احمد كان الله لك ولطف بك ووصلك بحبه سبيل اوليائه و
وبهاك بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكنني
الانقطاع عن الخلق واني مراد بهم لقوله وبهاك بين خلقه قال وكنت انا لامره
من المنكرين وعليه من المتعصبين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله حتى بيني
جرت مقاولة بيني وبين بعض اصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك
الرجل ليس الا اهل علم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون امورا عظاما وظاهر
الشرع يا باها فقال لي ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ
يوم تخاصمنا قلت لا قال فدخلت عليه فاول ما قال لي هاولا كالحجر ما اخطا
منكم جيعهما اصابه فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ
اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر الشرع من الذي كان ينقله عنه من
يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعدما جرت
المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني اذهب فارى هذا الرجل فصاحب الحق له
امارات لا يخفى شانه قال فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس
التي امر الشارع بها فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت
قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت
الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان شئت
قلت الى ان ابهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهي
ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد
شيئا في يقبل الاهل الاجتماع بهم على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادري

ما هو فيه فوقعت في مكان انظر الى انحناء السماء والى كواكبها والى ما خلق
الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك على العود اليه مرة اخرى فلما تيت
فاستوذن علي فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة واقبال حتى
دهشت خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت
يا سيدي انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجد
من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية
والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت
بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك
شهود المنة وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار
قال فقمت من عنده كانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال
ثم سالني بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهموم فلا اجدها
فقال • ليلي بوجهك مشرق • وظلامه بالليل ساري •
• الناس في سدف الظلام • ونحن في ضوء الظلام •
الزم فوالله ان لزمته لتكونن بين اتباع المختصين يريد مذهب الشيخ نعتا اهل
العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف
المنن وانما اوردت ذلك هاهنا على طوله لتعجب به قدر المؤلف ولتعرف
براعة بيانه في علم الظاهر وتعرف المتعصب ولتتعرض بذلك لنزول
الرحمة من الله تعالى علينا ومن الاته منحه وعطاياه لدينا وقد قيل عند
ذكر الصالحين تنزل الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورد
المؤلف من الكلام الذي نحن بصدده فحسب الشيوخ من عاصره من الايمة
والاعلام ولما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار
على علم ولقد طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهت بمآثرهما وعلومهما
الالسنة والاقلام والصحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة

لذكرنا

لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم انف
الجاحدين والمعاندين •
• سيكشف من ذاك المسمى اشارة • ويدعه مصونا بالجمال محجبا •
من اذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم
اشارته المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك
كان كلامه صوابا قال الجنيد رحمه الله الصواب كل نطق عن اذن اشار
بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته بل يفقهوا الذي
معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته بل يغنيها جوامعها الى الاطناب والاكثار
اكثار خطاب غير المأذون له في ذلك قيل لحمدون بن احمد بن عمارة
القصار ما بال كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة
النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق
ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار
من لم يستكمل الاوصاف المذكورة لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية
فان اظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة روية الاغيار
فمجتها اذان السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة
ان ينفتح له باب التفهيم مع وجود السلامة من افات النطق قال في لطائف
المنن من اجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا
ابا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة
حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا ابا
العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن
له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل
من احدهما وترد على الاخر عبارتهم اما لفيضان وجد او لقصد هداية

مزيد بالاولين حال السالكين والثاني حال ارباب المكنة والتحقيق

انما يقع التعجب منهم مع ما يخطر العوق به من الامور الغيبية والامور الشهادية
لاحد معنيين اما حال الغلبة الوجد عليهم وقيظانه وهم معذورون في ذلك
لوجود الغلبة وهاذا حال السالكين من اهل البداية واما لقصد تجريد يلزمهم
ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والتحقيق
من اهل النهاية فان من السالك لا عن غلبة وجد كان في الحق نوع من الدعوى
وان عن التمكين عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك ابتلاء سر لجسيم
يوهن لديه وايضا فحال المبتدي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة
الحق سبحانه وتعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب
الفهوم فكيف يصدر منهم نطق او تعجب على غير الوجه المذكور والصمت
من آداب الحضرة قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا

العبارة فرع لعادة المستمعين وليس لها الا ما انت له اهل

المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من
المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم من كان المستطعمين والسؤال ان
موسومون بالفقر والحاجة الى الاقوات لابدانهم وكما الاقوات هولاء مختلفة
فلا يصلح لواحد من هاولاء ما يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طباعهم
وامزجتهم فكذلك اقوات هاولاء الاخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم
من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للاخر لاختلاف مذاهبهم
وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم او عارف او واحد من اهل هاذا الطريق
ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغذائك وهي صالحة لقوم
اخرين ومما ينتظم في هذا السلك ان يقع في اسماع بعض الناس العبارة من بعض
الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتاثر باطنه بذلك تاثرا
عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر

وبعض

وبعضهم يقع له ذلك التاثر مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان ذاكرا
ما ضاد لله وقد سمع ارباب القلوب من الجمادات ويستعدون بمعاني الحالات
قال في لطائف المنن وربما فهم من الكلام غير ما قصده واضعه كما اخبر الشيخ
الامام مفتي الانام تقي الدين محمد بن علي القشيري قال كان ببغداد فقيه يقال له
الجوزي يقرا اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا

اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار

شعبان

فخرج هائما على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل مجاورا حتى مات قال وقرئ
على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني * لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف انت شاربه * فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية * خذ الجنان ودعني اسكن النارا

فقال انسان هذا لا يجوز قوله هاذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين
للقاري اقرا فهذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين هذا هو الذي شهد
له ابو الحسن الشاذلي بانه من السبعة الابدال قال ويحكى في هاذا ان ثلاثة
سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري فسمع كل منهم مخاطبة من الله تعالى
خوطب بها في سره فسمع الواحد اسع ترى بري وسمع الاخر الساعة ترى بري
وسمع الاخر الساعة ترى برها او سعة بري فالمسموع واحد واختلف افهام
السامعين كما قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال
سبحانه وتعالى قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى بري فمريد
دل على النهوض الى الله تعالى بالاعمال يستقبل الكرم بالجد وقيل له اسع
الينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة واما الثاني فكان سالكا
الى الله تعالى حقا ولتعد الاوقات فخاف ان تفوته الوصلة فقيل له ترى برها

على قلبه لما احرقته نار الشغف الساعة ترى بري واما الآخر فعار قد كشف
له عن وسخ الكرم فهو طيب من حيث انه لم يسمع ما اوسخ بريه قال وقال الشيخ
ابن عربي رحمه الله حضر بعض الفقراء دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع
بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعمر الاوعية وهناك وعاء زجاج
قد اتخذ للبول ولم يستعمل بعد فجعل فيه رب المنزل الطعام للجماعة واذا الوعاء
يقول منذ اكرمني الله باكل هؤلاء السادة مني لا ارضى لنفسي ان اكون بعد ذلك
محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ فقال الفقير فقلت للجمع سمعتم ما قال
الوعاء فقالوا نعم قال ما سمعتم فاعاد القول الذي تقدم قال فقلت قد قال غير
ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله بالايمان
فلا ترضوا بعد ذلك ان تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله
واياكم من اولي الفهم عنه والتلقي منه قلت وهذه النوازع كلها
مما يستملح ويستظرف وتتأثر بها القلوب السليمة وتنقاد لها القلوب
الكريمة وقد جرت عادة ائمة هذا الطريق باستعمالها وايرادها فجعلها
فلا حرج علينا اذا في ذكر بعض ذلك اذا كانت مناسبة تامة ووجدت
فيها فائدة خاصة او عامة وبالله التوفيق
ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه
وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة كما ان الواصل الى مقام من مقامات
اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة
والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر واما ذو البصيرة
فلا يخفى عليه من ذلك شيء في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من
كمال او نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته
فان ذلك يقلل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه
الواردات الالهية لا ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها

ويصونها

ويصونها فلا يطلع عليها احدا الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد في ذلك
لذة وانشراحا فتقوى بسبب صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه
من التأثير المحمود ولاجل غلبة احكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود
صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق
بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك لا تمدن يدك الى الاخذ
من الخلائق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما
وافقك العلم هذه قاعدة عظيمة يحتاج السالكون المتجردون ان يبنوا عليها
احوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على ايدي الخلق فقد ذكرها المؤلف بعبارات
بديعة محررة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرنا
فلنبسط كلامه في ذلك على حسب عادتنا معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة
هذا التنبيه وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه ونقول على حسب
ذلك ان ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين احدهما رزق يصلون اليه
باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال اهل هذا
الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهو حال ارباب
التجريد ولكل واحد من القسمين له آداب واحكام تخصه فاحكام القسم الاول وادابه
لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله وهي المذكورة في الفقه وغيره وواجب على كل من دخل
في شيء من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو واحكام القسم الثاني وادابه
هي التي تعرض لها المؤلف رحمه الله واجمل جميع ذلك في مراعاة شرطين
وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطاء الا من مولاه عز
وجل وهذا هو الشرط الذي اشترطه على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق
التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه
هم الرزق وتزول عنه علاقات الخلق ومن لم يكن على هذا الوصف كان عبد الناس
مولياً قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في ايديهم واستشرافه اليهم

فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة
والتبذل والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة
وغير ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل قال يحيى
بن معاذ من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين
ولا يقدح في تلك الرؤية المذكورة أن يكون علما وأيضا فإنه بل لابد أن تكون
حالة وذوقا دعا بعض الناس شقيقا البلخي وكان في طبقة من أصحابه نحو خمسين
رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق
إن هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت هذا الطعام وأنا أقدمه إليه فطعامي
عليه حرام قال فقام من أكلهم وخرجوا إلا شابا كان فيهم نقصت مشاهدتهم
عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمه الله ما أردت بهذا قال أردت أن أختبر
توحيد أصحابي كلهم لم يروه فيما صنع ولا ينظرون إليه فيما قدم إلا ذلك
الرجل وحده وإنما اشترطنا في رؤية العطاء من الله تعالى أن تكون حالا وذوقا
لأن ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرنا لأن التجريد حال شريف لا يدخل
فيه بالاختيار والتعمد لأن ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وإنما
يقيم الحق فيه من أراد به من أهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى
وجده في الهرب عن كل ما يقطع عن الله فحينئذ يسلبه الحق تعالى من تدبيره
واختياره ويكاشفه بوجوده في إيراده وإصداره ويكون تركه للأسباب
بحكم الوقت وإشارة الحال كما روي أن أبا حفص النيسابوري كان حدادا وكان
غلامه يوما ينفخ عليه الكير فأدخل يده في النار وأخرج الحديدة من النار
فغشي على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول رحمه
الله تركت العمل فرجعت إليه وتركني العمل فلم أرجع إليه وقال إبراهيم الخواص
لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب إلا أن يكون رجلا مغلوبا قد أغنته
الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجات به قائمة ولم يقع له عزوب يقول

بينه

بينه وبين التكليف فالعمل أولى به والكسب أسعد لحاله وأبلغ لأن
القعود كالصلي لمن لم يستغن عن التكليف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي
ما دامت الأسباب قائمة في النفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين
كنت ذا صنعة جليلة فأريد أن أتجرد فجال في صدري من أين المعاش
فهتف بي هاتف لا أراك تنقطع إلي وتتهمني في رزقي على أن أخدمك وليا من
أوليائي أو منافقا من أعدائي وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة
قبول العطاء عدم الاستشراف إلى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرنا
من أهل التجريد إلا بعد الرؤية المذكورة روى زيد بن خالد الجهني قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا استشراف
نفس فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال من وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسألة ولا إشراف فليأخذه
وليوسع في رزقه فإن كان عنه غنيا فليدفعه إلى من هو أحوج منه وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني
العطاء فأقول أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل
فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا
ولا يرد شيئا أعطيه فالاستشراف إلى الناس مذموم قادح في التوحيد فلا ينبغي أن يأخذ المريد
عطاء على هذا الوجه وروي أن أحمد بن حنبل خرج يوما إلى شارع باب الشام فاشترى
دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فجاء أبو أيوب الحمال فحمله وقد بعث إليه أحمد أجره
فلما دخل الدار وجد أنه اتفق أن أهل الدار قد خبزوا وأما كان عندهم من الدقيق
وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أبو أيوب وكانوا يصومون الدهر فقال أحمد لابنه
صالح ادفع إلى أبي أيوب من الخبز فدفع إليه رغيفين فردهما فقال أحمد ضعهما
ثم صبر قليلا ثم قال خذهما وادفعهما إليه فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا

فقال اخي عجبت من اخذه رزقه، قال نعم قال هذا رجل صالح لعل الحق استشرفت
نفسه اليه بعدما اعطينا مع الاستشراف فرده ثم ايسر فيه فناه اليه بعد الاياس
فقبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع النظر عن الخلق بالمرة فذلك لانه
خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم ولا بد منه فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة
استشراف الى الرزاق ولا يقدح في ذلك حقيقة العبودية ولا كرامة انه منها
الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام الحاضرة والمناجاة مع الحق
فيجب عليه عن ذلك الحرص فاجتنبا وليتبع لها من التعلق والتوكل بالله تعالى سببا
قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي كنت في بدايتي وانا بين العشا بين
اهلي وانا فارغ بالاسباب متجرد في النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها
وعليك السلام قالت لي العشا قد دهتني به داهية فتوقفت ثم الهمني الله تعالى
ان قلت لها اتدرين له موضعا قالت لا قلت لها اين هو ومتى هو قالت لا
قلت لها انا رب او عبد قالت عبد قلت فالعبد يقدر على شي مما هو الكبير
والشان الذي اتيتيني به اخرجي الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك
والقادر على كل شي فيعطيك ويجيب لك ما طلبتي فتطعميني وتكفي بما لك
وبابي وما هذه الحيرة قال فخرجت الى خالقها فجا عشا مما هو كثير واكلنا قال
وكذا يجري عليه ومن هنا اثبتت لنا فيهم وذكر ايضا مسالة عظيمة مفيدة تتضمن
كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بينته من الرزق وجعلها
من قواعد الفقر والارادة فرايتنا ذكرها في هذا الموضع وجعلها من الواجب
المتعين ليتحقق بالعمل بها كل من يقف عليها من مريد متجرد قال رضي الله عنه
اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان يكون جالسا او ماشيا اما فاعرف الجالس فان يجلسه موضع
اليه وهو مكانه وزاويته وطرف سجادته لا يتعداها ولا يكون التفاته الى وقت ولا
الى سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ما هو في حقه ولا فيه ومتى هو ولا
وقتها ويعلم ان جميع الاشيا تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو

خليفة فيه وقد برز من جميع الملتفتات والامل فهذا ان يكون هذه الافكار
تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال واما الماشي من الفقير الذي يكون في
سفر او غيره فلا تتجاوز همته خطوته شاءه ان يكون ماشيا فيسقط الالتفات
والالتفات اليه من بلد او شخص او مطعم او مشرب فيهلك ونطمع به العدو وتزل
قدمه فان تمادى في التعلق بشي من هذه الطوامع والشواغل ومشى الى شي منها
وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك انه يكون في يوم صايف وهو وقد اطابه
العطش الشديد فيعرض له خيال ما فيجي العدو فيروح عليه ان اسرع تلحق
ذلك الما تشرب منه فيزول عطشك فان مشى اليه لهذا الخاطر فيجي الى
الموضع فيجده سرابا فيقف متحيرا فيضحك به ويقول له الان تموت فيقتله من ساعته
فيموت قاتل نفسه لانه كان جاهلا بربه وباياته ولم يجرده واراه من جانبه ولا يعلم
العلم ولا يسال العلما ليقاتل به مع نفسه فان يحكمه اذا جاء له هذا الخاطر
بالترويح له من العدو في سعيه من السرعة الى الما والركون الى الاعيان من منازل
اشخاص او غيرها ما دار فيعرض على العدو ان الله تعالى يمكران متوالي قبل تحويله
في الضرورة فيطيعه في ذلك ويسلمه ويقول له ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من بات تائبا طابا او كاد ومن عجل الخطا
او كاد والجملة من الشيطان ومن هذا اكثر فلا يشغلنه انه كما يجي للنفس
والشيطان بهذه الانواع من العلم انهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد ما استغاث
بالله والتعلق به ثم يقول ايضا افتكران الله تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني
ان شاء الله ينبع في عينيه الساعة فيشرب ويرجع لزالت العلة فيقول له الشيطان بالضرورة
نعم فاذا كان هذا ذكر الحق فالله سبحانه اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فان
حصل هذا العلم ورجع يمشي متانيا همته مع خطوته ناظرا الى ما يرد عليه من ربه
فان توصل الى ما خطر له ماء او دواء من بعد ولم يجد ماء ولم يجد ما تعلق به خاطره
او الا من صاحب او معلم يفي على اصله لا تقيم عنده ولا تردده فيطمع به العدو وقتله

كما يفعل ايضا الشيطان بغيره انتهى ، وبعض ما ذكرناه من كلام
هذا الامام وهو منتخب من نفيس الكلام المغرب غاية المرام لما تضمنه من
المعاني البديعة والاقتباسات الرفيعة لما فيه من تجريد التوحيد والاداب المرضية
مع العبيد فهو جدير بان يكتب [illegible] ويكمل به الغرض الذي تقدم والله اعلم

الشرط الثاني

وحكم الشرط الثاني ان لا ياخذ الا من ابواب العلم وهذا اشبه لازم للمتجرد ايضا قال
الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان
يتورع في اخذها ويتقي المعاصي لها كما يتقيها اهل المكاسب لان لله سبحانه في كل
شيء حكما والتجرد عن المكاسب لا يسقط احكامها وانما عدم الطلب لا يسقط
احكامها الطالب ولا يرد العمل عملا يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء الصادقين
ان ياخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا ياخذ واكلها يحصون معايش في كتابهم
الا ان يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى بموافقة العلم التي ذكرها المولف
رحمه الله تعالى على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة
العلم الظاهر بان لا ياخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تاكلوا الا من
طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا ياخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا
جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا ياخذ من يد صبي ولا عبد غير ماذون له
ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن بان لا ياخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة
فلا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنى له عنه من ضرورة وحاجة من
غير استشراف ولا افتقار ولا باس ان ياخذ ما يزيد على ذلك ان كان يخلفه بعطاء
وبذل وايثار ويتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه او رياسة
او قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على وجه الابتلاء والاختبار اما الابتلاء
فبان ياتيه قبل وقته او زائدا على حاجته فان اخذه ليخرجه امر بذلك من
ابواب الخير واما الاختبار فبان لا ياخذ شيئا كان نوى تركه لله تعالى من
شهوة كان يبتلى بها فقد ملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق ربه فيكون

بعهد

بعهد الله تعالى وليبعد بعد الله عز بنيته ان خاف ابطال عزمه وفساد نيته
وان لم يخف ذلك فلياخذه ولا يخرجه الى غيره وهذا اشد شيء على النفس وهو
اعظم درجات الزهد ولا ياخذ من مان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ياخذ من ثقيل
على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تاكل الا طعام من يرى لك الفضل عليه في اكله
ولا تاكل الا طعام من يرى انه وديعة عنده ولا تاكل الا طعام زاهد لانه يرى باكله
ولا تاكل الا طعام من يرى ان صاحبه افضل من الطعام وقد روي انه اهدي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش
وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال هممت ان لا اقبل الا من قرشي او
انصاري او ثقفي او دوسي قال ابو طالب المكي رحمه الله وفعل هذا
جماعة من التابعين حملت الى بعض الورعين صرة فيها خمسون دينارا فقال
حدثني عطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله رزقا من غير مسالة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد سائرها
وكان الحسن يروي هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وحمل اليه رجل
اهدى اليه كيسا فيه الورق ورزمة فيها من دق خراسان فرد ذلك فقال
له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيئا مثل
هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله عنده من خلاق وكان الحسن يقبل
من اصحابه وكان ابراهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض
عليه غيرهم المئين فلا ياخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض اهل
الدنيا الشيء يقول ضعه عندك وانظر على قلبك كيف انا عندك بعد
الاخذ افضل منك او دون ذلك الواحد في فان قال له انت عندي الان افضل منك
قبل الاخذ رده وقال له ان انت عندي بعد الاخذ مثل ما كنت قبل ذلك قبل منه وان
نقص ذلك في قلبه لم يقبله منه وكان بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم يعني يرغب
في ذلك فقيل له ما ورد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون عند الله يحبون

ان يعلم بذلك ذهب اموالهم ويحبط اجورهم وروي عن الاعمش ان رجلا
شابا من العرب اتى ابراهيم التيمي بالفي درهم فقال يا ابا عمران خذ هاذه
الدراهم والله ما هي من قبل سلطان ولا من كنز ولا غلول فقال له ابراهيم رحمك
الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له يا ابا عمران ما منعك ان تاخذها
والله ما لامراتك قميص فقال صدقت يا سليمان ولكن هاذا شاب من العرب
لم يملكه السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان يجلس في حيه فيقول اعطيت
ابراهيم فيحبط الله اجره ويذهب دراهمه ومن ذهب الى هاذا سفيان
الثوري كان يشترط على بعض من كان ياخذ منه الا يذكر اشفاقا عليه لا من
اجله بان يذهب اجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى قال الغزالي فيكون الاذى ان يذكرها وقال الجنيد للرجل الخراساني
الذي جا بالمال وساله ان ياكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقرا فقال
الرجل انا اعلم بالفقرا منك ولم اخرج هاذا فقال الجنيد اؤمل ان اعيش
حتى اكل هاذا فقال اني لم اقل انفقه في الخل والبقل وانما قلت لك انفقه
في الطيبات والوان الحلاوات فكلما نفد اسرع كان احب الي فقال الجنيد
ومثلك لا يجوز ان يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد واحد ينبغي
ان يقبل منه شي الا من كان مثلك وكان السري السقطي يوصل الى احمد
بن حنبل الشي فيرده فقال مرة يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة
الاخذ فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك
الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي
وعلى الجملة فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا من يقين زهده ففارغ فيقدر الديسم
من الحاجات ويكتفي من جميع المؤونات قال ابو بكر الدقاق منذ اربعين
سنة اصحب هاولا فما رايت رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض ومن
يتهمهم ومن لم يصحب التقوى والورع في هاذا الامر اكل الحرام النص

والولد

وان اراد ان يحصل امثال هاولا فليفعل قال ابو طالب كان بشر بن
الحارث لا يقبل من الناس شيا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين
ياكل فقال العزيز امري انا اعلمك من اين ياكل كان له صديق عاقل في تنظيم
في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من الناظر اليه ولا يقبل من
الاتباع وهاذا الصنف العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يقبل من امري
ولا يليق معه اعز السري بن مغلس السقطي قال بشر رضي الله عنه
ما سالت احدا من اهل الدنيا شيا الا السري السقطي لانه قد صح عندي زهده
في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
قد اعنته على ما يحب وكان سري يوجه الى احمد بن حنبل يقول ذلك البقي
المعروف بطيب الغذا انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ
وانتهى به الى الضعف وتحققت الضرورة وسال من لا يقدر له بشي ورفقه
يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسال من
دون هاولا فمن جهل حاله جاء في الاثر من جاع فلم يسال فمات دخل النار
وقد سال الناس عند الفاقة والحاجة نبي الله موسى والخضر عليهما
السلام لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر الحداد وهو شيخ
الجنيد يسال من باب او بابين بين العشائين ويكون ذلك معلومه الى
عنده حاجته من يوما ويومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال ابو هذا
طالب لم يعب عليه عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخدري انه كان
يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شي لله ونقل عن ابراهيم ابن ادهم انه كان
معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره
يطلب من الابواب وكان الثوري يسال في البوادي من الحجاز الى صنعا اليمن
قال وكنت اذكرهم حديثا في الضيافة قال فيخرجون الي طعاما فاتناول
حاجتي وانهل ما بقي ولا يجتنب المريد الاكل بالحيي وبذل ان النسوان

فإن قيل كيف يرد ما يعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الأخذ فيها
وهو إنما يأخذ من يد ربه كما تقدم وهل المراد بذلك إلا راحة على الله فكيف
يستقيم ذلك فالجواب أن الإسلام يجمع الشريعة والحقيقة لا بد
منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور
ورعه ويحل باطنا من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو يرد ويرى وجه صحة
الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهرا إذ لا فرق في ذلك بين يدي المعطي
وبين لا أخذ فكما يشهد لا أخذ يد الله في العطاء عند يد المعطي فيأخذ ما
يعطاه عند موافقة العلم اتباعا لأمر الله تعالى وأمره يشهد يد الله تعالى في
المنع عند رده نفسه بالرد عند مخالفة العلم اتباعا لأمر الله تعالى وأمره يشهده
فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن أخذ ذلك وعدم إذنه فيه كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي أهدي إليه مع السمن والأقط وكما
فعله فتح الموصلي والحسن البصري مع روايتهما الحديث الذي ذكر فيه أن رد
الهدية رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره فلينظر فيه فبهذا ينتفي ذلك الخيال
والله تعالى الموفق لصالح الأعمال وإنما أطلت الكلام في هذه المسألة لأن الحاجة
ماسة إليها وليعلم من ذلك جميع تفاريعها ومسايلها داخلة في كلام المؤلف
على حكم الإيجاز والاختصار وكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه
أبي العباس المرسي في معنى ما ذكر كلام بديع مقتبس منتزع من كلام الله عز وجل
نقله في لطائف المنن قال رضي الله عنه للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان
والتقوى قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض وقد جود المؤلف رحمه الله تعالى صياغته وأحسن سياقته
في مقصد الإرشاد والهداية **ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته
إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى
خليقته** تقدم من الأدب ترك الطلب والسؤال من الله اكتفاء بمشيئته

ورضا

ورضا بسابق قسمته وإن الفقراء الحقيقيين يستحيون من الله تعالى
في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم للمخلوقين
وهل الحيا منهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم إلا واجب عليهم فلا يسألون
منهم شيئا ولا يرفعون إليهم من حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم هو
الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعد همتك إلى غيره
فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله ما من قلب ولا نفس إلا والله
مطلع عليه في ساعات الليل والنهار فأيما نفس أو قلب رأى فيه حاجة إلى سواه
سلط عليه إبليس وقال الأستاذ أبو علي الدقاق من علامات المعرفة أن لا
تسأل حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام
اشتاق إلى الرؤية فقال أرني أنظر إليك واحتاج إلى رغيف فقال رب إني
أنظر إليك واحتاج مرة لما أنزلت إلي من خير فقير وذكر الإمام أبو القاسم
القشيري أن بعض الفقراء كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف
ما شاء الله ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل
مثل ذلك ثم تباعد قليلا ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر في الرقعة
وإذا فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا قال فكان الرجل أصابته الفاقة
فصبر ولم يظهر حاله للخلق حتى مات وقال أبو بكر الجوهري رحمه الله
كنت بعسقلان على باب حانوت رجل عليه جبة صوف متخرقة فقعدت
إليه مسلما وعانقته وأجلسته وجاريته في حديث من العلم وكان فقيرا
حافيا فقلت له لم لا تسأل أصحابنا في نعل يقيك من الحفا فقال يا أخي
لنقل الصخر بالجبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال أهون من
موقف السؤال وارتقابي من الخلق قبل النوال ثم أخرجني من باب المدينة فانتهى
بي إلى صخرة منقورة فإذا عليها مكتوب كل من كد يمينه وعرق جبينه
فإن ضعف يقينه فليسأل المولى يقينه قال في التنوير واعلم

رحمه الله ان رفع الهمة السالكي لا يكون الا عن الخلق وعدم التعرض لهم
ان يعطوه من الحلي للعروس وهو احوج اليه لحياة النفوس وخلعت عليه خلعة
الملك فيعطيها وما نهاه يجري بان يدام له ولا يسلب عنه والمعنى ان لا يرفع
لخلع المواهب بحو ان لا تنحط له بلا ثقة من ايها الاخ بما نحن بجمعه في
المخلوقين لا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين وكن ايها الاخ ابراهيميا فقد
قال ابوك ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين وما سوى الله افل اما وجودا
واما امكانا وقد قال سبحانه ملة ابيكم ابراهيم اي اتبعوا ملته فواجب على المؤمن
ان يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق
تعرض له جبريل عليه السلام فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى
الله فبلى قال فسأله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته
عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال
من الله بل راى ربه اقرب اليه من عليه السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه جبريل
من النمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة
ابراهيم معاداة كل من شغل عن الله وصرف الهمة بالرفع الى الله لقوله تعالى
فانهم عدو لي الا رب العالمين والمعنى ان اردت الدلالة عليه فعليك باليأس
من الناس ولقد قال الشيخ ابو الحسن ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف
لا اياس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي هذا هو
الكيمياء والاكسير الذي من حصله حصل له غنى لا فاقة منه وعز لا ذل معه وانفاق
لا نفاد له وهو كيمياء اهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ ابو الحسن صحبني
انسان وكان ثقيلا علي فبسطته يوما فانبسط فقلت يا ولدي ما حاجتك
ولم صحبتني قال قيل لي انك تحسن الكيمياء فصحبتك لاتعلم منك ذلك فقلت
صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك لا تقبل فقال بلى اقبل فقلت له نظرت
الى الخلق فوجدتهم على قسمين اعداء واحبابا فنظرت الى الاعداء فعلمت

انهم

١٤٤

انهم لا يستطيعون ان يشيكوني بشوكة لم يرد الله بها فقطعت نظري
عنهم ثم تعلقت بالاحباب فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعوني بشيء لم
يرد الله به فقطعت اياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لا تصل
الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع اياسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك
غير ما قسمناه لك في الازل وقال مرة اخرى لما سئل عن الكيمياء فقال اخرج
الخلق من قلبك واقطع ياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك قال وليس
يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره وفهمه
غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك
تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله سبحانه انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم
هو ما ذكرناه من الاكتفاء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه
والدوام بين يديه وكل ذا الامر ثمرات الفهم عن الله تعالى انتهى ما تعلق بغرضنا
من كلام صاحب التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وانت اذا تاملته بعين
بصيرتك كان اهل الربح في علانيته وسريرته علمت منه انما تضمنه عظيم
الموقع وانه مفتقر منا الى ادراك في هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد
يحتاج اليه كل سالك ومريد فمن اعلاه حق رعايته وصرف الى العمل بمقتضاه
عنان عنايته فقد تحقق بحقائق الايمان وكان من اولياء الله تعالى بمكان ومن
اهمله وضيعه وجعل قدره وموضعه خيف عليه من الوقوع في الشرك الخفي
والجلي واستحق بذلك الحال ان يطرد عن باب مولاه العلي فيفرق طمعه في الخلق وتضيق
عليه متسعات ابواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين نيل ليس نوم
كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبد برافته الى غيري فاضاعها عليك مكافاة
لسوء ادبك وخروجك عن حدك في عبودية انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الي
منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا

خالصا فلا ترد ثم يعجز بعد السعي ويمتطي بالفاقة ويحكمك لنفسي
بالغنا فان وصلتها بي وصلتك بالغنا وان وصلتها بغيري قطعت عنكم
مواد معونتي وحسمت اسباب حرمانها في طرد الحرمان بابي فمن وكلته الي ملكته
ومن وكلته الى غيري هلكته انتهى ومنهم من يقبل ما اتى من فتوح الرزق
على ايدي الخلق ثم ترتفع همته عن ذلك الى ان لم يكن سؤال ولا طلب يحكى عن حماد
بن سلمة انه قال كان في جواري ارملة لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت
صوتها تقول يا رفيق ارفق بي فقلت في نفسي لعلها اصابتها فاقة وضر حتى
احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير وقرعت عليها الباب فقالت حماد
بن سلمة فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر
ودفئ الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها بعض شانك قال
فصاحت بنية لها خماسية اتى بحماد تكون بيننا وبين معبودنا قالت
لامها العار بعث صوتك بالظلمات من السماء علمت ان الله سيؤتينا بالظلمات الرزق على
يد الخلق مخلوق وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن
دهقان قال كنت عند بشر بن الحارث وهو يتكلم في الرضا والتسليم فاذا هو
برجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي الناس لاقامة الجاه
فان كنت متحققا بالزهد منهم فاعزف الدنيا فخذ من ايديهم ليمحي جاهك
عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن بعد التوكل تاخذ قوتك من الغيب
فاشتد ذلك على اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة ففقير
لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذلك من الروحانيين اذا سال اعطاه وان اقسم
على ابر قسمه وفقير لا يسال وان اعطي قبل فذلك من اوساط القوم عقد
التوكل والسكون الى الله تعالى فهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس
وفقير جعل الصبر وهو مدافعة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله
وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي

الله

الله عنك وقال رضي الله عنه **اذا التبس عليك امران انظر اثقلهما
على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا** هذا ميزان صحيح
باعتبار غالب ما نفس انها مجبولة على الجهل والشر فشانها ابدا انما هو
طلب الحظوظ والبراءة من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في
المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه
ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخفت
عليه وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي
الى نفسي ساعة واحدة وسكون القلب الى النفس هو اتباعها لما اخف عليها
دونه لا اثقل وهو محذور عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي
الهوى وارفق لا يؤمن عليه مثل هذا اذ خفة العمل على النفس انما يكون على
موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليه امران واجبان
او مندوبان ولم تعلم ايهما اوجب وافضل ليقدمه على الاخر فلينظر اثقلهما
على نفسه فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب ما نفس ان النفس المطمئنة
لا تتصف بالميل الى الشر فقد يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على انه باطل
فيكون نظر العبد حينئذ الى ما هو اكثر ثوابا واعظم مزية فليقدمه
على غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية عجيبة في شره النفس وركونها
لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض اهل الطريقة قال
قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعونا اليه جماعة
من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل ذلك
وقال كلوا انتم قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل
فقال انتم اعلم اما انا فلا اكل ثم انصرف قال وكرهنا ان ناكل دونه فقلنا
لمن دعونا الشواء صاحب الشاة من اين هذا الحمل ولعل له سببا مكروها فدعوناه
فلم نزل نساله حتى اقر انه كان ميتة وانه نبهه ثم شواه ليبيعه على ثمنه فشواه

وابى ان كلم اشتهيتمو فقال بعض فقراء الكلاب ثم قال اني لقيت الرجل بعد
وقت فسالته اي معنى تركته وباي عارض فقال اخبرني ما اشتهت نفسي
الى طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي روضتها بها فلما فحصت عما اذا
شرهت نفسي اليه شرهها ما عهدته قبل فعلمت ان في الطعام علة فتركت
اكله لاجل شره النفس اليه قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله فيما اتفقا
في شره النفس عن خصلة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والحد لان بعض العالم
بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة اعني
البايع الجمل وعجم الاخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن
الاكل بعد حاجتهم ثم تركه ورد البايع نقده وفوعه بحجة في المشتري وحسن
نيته انتهى وثم بين الاخير واكثر تخفيفا من الاول وهو ان يقدر نزول الموت
به في عمل سوى ان يكون مشتغلا به اذا ذاك فهو حق وما عداه باطل قال فطالب
الصدق والموت ميزان على الاعمال والاحوال كما هو ميزان في دايرة الترتيب فكما
تقدم يعني انه علامة صحيحة على مرتبة الرواية واما الاعمال والاحوال فاذا ا
التبس عليك امرها تدري هل يرضى الله تركه او فعله او حالة انت فيها الا تدري
هل قمت فيها بحق او فرطت فيها فاجر واورد الموت على ما انت فيه من
افعال واحوال فكل حالة وعمل هزمها الموت فهي باطلة اذ الموت حق
والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كنت فيه فانما هو حق لم يهزمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض
من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه ولا يشتغل فيه الا لله فقلت
الذي يقول العلم لله هو الذي اذا قيل له غدا تموت فلا يضع الكتاب من يده انتهى
قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب بان العبد في هذه الحالة

لايصح

لا يصح منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومعارضة حظ
النفوس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتم له ذلك الا ان
يتحقق بما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الامل
الذي هو اصل حسن العمل وهو انه لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه
حيا وعند ذلك يخلص عمله من الافات ويتطهر من انواع الرعونات
لان توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكر المؤلف
رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع
ذلك ان لم يكن متحققا فلا يسلم مما ذكرناه فاذا بعيد من الاخلاص من ياخذ
في علم غير متعين عليه لا خدمة له حتى ثمرته الا في ثاني حال ويكون في حالته
الراهنة متمكنا من انقطاع طاعة تربي مصلحتها على مصلحة ما اخذ فيه
من العلم فيفوز بثوابها ويتيسر له حصول التقرب بها الا في ذلك فوت نفسه
ووفاء حظه واية ذلك انه قد يعرض له حال اخر فيه غرض دنياوي
يكون اختلاط نفسه به اكثر فيقدمه على ما كان اخذا فيه ويتشاغل به من
غير مبالات بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بقصة الاخذ فيه تعلم التعلم
وتعلم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولله
مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور اكثر الخلق
في علومهم واعمالهم الا من رحم الله تعالى ولهذا يشاهد اكثر الناس عند
نزول الموت بهم يتندمون على ما اسلفوه من عمل ويودون ان لو انسي لهم
في الاجل وهيهات هيهات فيعوضه بالنفس الغفلة في زمان المهلة فانها
مبدا لكل عمل فاسد ومنشا وجود الغرة والجهالة لكل عالم عابد وما ذكرناه
من جمع فيه اختلاف درجات المصالح ليقدم الفاضل منها على المفضول لا يهتدي
الا من ايده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له في الخير وكان له حظ
وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد وصدر ولا شك ان هذه

المرتبة عزيزة المنال متعذر ادراكها على الاحاد من الرجال وسبيل من لم
يصل اليها ممن يمكنه ان اذا كان منصفا ان يستعين بنظر من هو اصح منه حالا
واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع امره اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير
به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله
وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسعى وضرب في حديد
بارد وسيلة من بعد تنبيهه على غرور الاخذ بالعلم في موضع اليوم من هذا
والله تعالى ولي التوفيق **ومن علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل**
الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات هذا من الصور التي يتبين فيها
خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال اكثر الناس فترى الواحد منهم
اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى
بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط
فيه من الواجبات ولا متحلل لما التزم ذمته من الظلامات والتباعات وما ذاك
الا انهم لم يشتغلوا بالحضلة نفوسهم التي خدعتهم ولم يعلموا انها من
اهوائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم فيه اعظم
شغل ولم يجدوا فسحة لشيء من الطاعات والنشغل قال بعض العلماء من كانت
الفضايل اهم اليه من اداء الفرايض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي الورد هلاك
الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطاة
القلب عليه وانما حرموا الوصول لتضييعهم الاصول وقال الخواص
انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا
الفرايض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق
فيها والنصح لها والله لا يقبل من عمل اعمالا الا بالصدق واصابة الحق
لها واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب المكي فاضل شيء للعبد معرفته بنفسه
ووقوفه على حده واحكامه لحاله التي اقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض

عليه

عليه بعد اجتنابه لما نهي عنه بعلم يديه في جميع ذلك وورع يحجزه عن
الهوى في ذلك الحد لا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا
بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال ومتى تعذرت
عليه السلامة كان من الفضل ابعد ومن الخسر لاغتراره اقرب انتهى **فيه الطاعات**
باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي يبقى لك حصة الاختيار انعم الله عليك بما امرك به من الطاعات
الموقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تعيينها لك باعيان الاوقات
لئلا تحمك فيها تفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعمل بها حتى
تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك
نصيب من الاختيار حتى تاتي بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج وكا
ضيق بك الحرج على نعمه **علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب**
عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم
يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله تعالى قلة نهوض العباد الى معاملته
الواجبة له عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية بجمال الحواجبه منهم
ان في ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود طاعته على حال
كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل الجاية وتحديه اليه
واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به وبعد بهم ما يفعل المالك الصبي
الا ترى كيف يذهب به ويذهب على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته
ويلزمه من ارشاده عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله
على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف قدر الاحسان اذ ذاك ففيه عجب ربك من
قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما يفعل باسارى الكفار حين يراد منهم
الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من اقوام الى الجنة بالسلاسل

يقادون صح

قلت وتعبيره الواجب بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف
الواجبة التي الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو
ابو خراش الهذلي • وليس لعهد الدار يا ام مالك • ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وكذلك تمثيله بالحديث المذكور في هذا الكلام والاشارة الى مقصوده بغاية الحسن
قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه الاخبار
عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة التي اعد الله تعالى بما فيها
من النعيم العظيم والعيش الدائم والخلود فيه الذي من حقه من سمع به من ذوي
العقول ان يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات
لينالها وهولاء يتثاقلون عن ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادون
اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذي ينفر منه الطباع وتالم منه الابدان
وتكرهه النفوس وقد قال جماعة من العلماء ان عجبت ويسخرون بضم التاء في حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامراته
اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور والعجب
منسوب الى الله تعالى وقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية
اوجب عليهم وجود خدمته وما اوجب عليهم الا دخول جنته هذا عبارة
حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله
تعالى غني عن خلقه لا تنفعهم طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها
انما اوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره الولي
هو علامة العامة الذين من شانهم التاني وعدم الانقياد للاوامر والنواهي
ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة المحكمة والمبالغة في النكير
واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم
ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم
العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب

المحضورات

المحضورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة
الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام حريتهم من رقة
عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال في التنوير وانما جعل
سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف
وبان نفوسهم متصفة بما من وجوه الكسل فاوجب عليهم ما وجب لانه لو خيرهم
فيما وجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود
طاعته وفي التحقيق ما وجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل
الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انما
لهذا الواجبات جبرانا الحق سبحانه جعل في كل ما اوجبه تطوعا من جنسه في اي
لا انواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل
في قيام العبد بالواجبات ولذلك جاء في الحديث انه ينظر في مفروض صلاة العبد
فان نقص منها كمل من النوافل جمع رحمه الله هذا ولا تكن مقتصرا على
ما فرض الله عليك بل يكون فيك ناهضة تحب توجب الكتاب على معاملة الله
فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في نفوسهم موازنة من الا لفعل الواجبات
وترك المحرمات لما تمم من الحيا والمنة ما لا يحصى خاص ولا يجزي ما ان فضل
البالغ للعبد ابواب المعاملة والمهيئ لهم اسباب المواصلة قال واعلم ان
الحق سبحانه علم ان في عباده ضعفا واقويا فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفا
اقتصروا على التمسك بما وجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان المحبة وجود
الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فشانهم كشان العبد يعلم السيد
منهم منه انه ان لم يقرر حد لم يبعه اليه شيئا فلذلك وقت سبحانه الاوراد
ووضع وظايف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة
ظل كل شيء مثله في الصلوات وفي الحول في الاموال النامية العين والماشية وبوقت
حصول المنفعة في الزرع واتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة وشهر رمضان

في الصيام بوظيفة الوظايف ووقتها وجعل للنفوس فيها بسعة الحظوظ والسعي
في الاسباب واهل الفهم من اهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا
والعمر كله نفسا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه
لغيره لذلك قال الشيخ ابو الحسن علي بن ردية واحق وهو استلاب الهوى ومحبة
المولى ان المحبة ان تستعمل عضوا الا فيما يرضي محبوبه وعلموا ان الانفاس امانة
الحق عندهم ومطالبة لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فوجهوا همهم
لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة
في ربوبيته غير موقتة بالاوقات وحقوق ربوبيته عليك ينبغي ان تكون
ايضا كذلك لذلك قال الشيخ ابو الحسن ان لكل وقت سهما يقتضيه الحق منك
بحكم الربوبية انتهى من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه
من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا
من استغرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب ان ينقذه
الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهده من استحكام ذلك
فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار
على كل شيء وهذا من ذا شيا ولتعلم ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط
ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه ييسر عليه ما
يستصعبه ويلهمه فيه ما ينقذه به وما ذلك على الله بعزيز وليتعلم هذا المعنى
بالحكايات التي تروى عن الطائفين الذين نفحت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت
منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده
وعطفه فاصلح اعمالهم واحوالهم وابدل سيئاتهم حسنات ورقاهم من
اسفل سافلين الى اعلا الدرجات كل ذلك في اقرب زمان واقصر زمان من مدة واوان
والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدي الفضيل بن عياض وعبد الله بن
المبارك وابي الفضل بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم معروفة مشهورة ومن اغرب

ما رايت

ما رايت في هذا الغرض ما رواه عبد الله بن مغفل عن عمه وهب بن منبه
ان رجلا قتل نفسا فجاء الى سايح من سايحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك فقال الربيع
له السايح من الارض عرجونا ابيض فغمسه حاليا ثم قال له اذا اخضر هذا العرجون
قبلت توبتك واراه السايح بذلك اياسه من التوبة لعظيم ذنبه فاخذ الرجل
العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم فتاب وجعل يعبد الله زمانا وهو يدعو
حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله وقدرته واغرب من هذا واعجب ما
خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن
اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له قتلت تسعة وتسعين نفسا
فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سال عن اعلم اهل الارض
فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله
عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى
نصف الطريق اتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملايكة العذاب الرحمة وملايكة
العذاب فقالت ملايكة جاء تايبا مقبلا بقلبه على الله وقالت ملايكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا
ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي
اراد فقبضته ملايكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه الموت
نأى بصدره وقال عيسى ابن عيينا كان يقال ما اوجز الله عبد العمل الاول وهو
يريد ان يقبله منه ولا وفق الله عبد النزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر
الفقيه يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبيب
والتسبيب لصالح العمل انه اخبره ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب
له اصحاب يجمعه بهم مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا اله

ما ينفعك من اجابتنا فقال له خلت البارحة في الاربعين وانا استحيي من
شيبي ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد العزيز قال وجبت
حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث بن سمي قال كان
رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير تذكر ما سلف
من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر
فيه ايضا عن رجل من العلماء انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد
احدقوا به يسالونه قال فقلت له ايها الشيخ اخبرني باحكم بيت قالته العرب
فانشدني ۞ صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه ۞ فلما علاه قال للباطل ابعد ۞
قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته عند شهوة
او خطيئة الا ارتدعت عنه وارجو ان لا يزال في الانتفاع به ما بقيت
ان شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع
ذلك فيه والله المستعان لا رب غيره ۞

ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك الظلم
اضداد الانوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها
والشيء يعرف بضده كما قيل ۞ وبضدها تتبين الاشياء ۞ فما وردت عليك
من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من
به عليك من انوار التجلي والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة
عليك من غير علة بذلك من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها
اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها
عندهم قال سري السقطي من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل
عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض
البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال شكر النعمة عصمة
من حلول النقمة وفي معنى هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بالعطش في البادية

لا من كان على شاطئ الاودية الجارية ۞ وقيل ايضا الولد العاق والمصر على تابيه
انما يعرف قدر الاب يوم وفاة ابيه ۞ وقيل نعم الله مجهولة وتعرف اذا فقدت
ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفنا اياها بزوالها فلتنبه
ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى ما هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا واستعير
من وقع في بغيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة انظروا
الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر الا تزدروا نعمة
الله عليكم وروي ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من
فضل عليه قال الشيخ ابو حامد رحمة الله عليه وكان بعض الصوفية وضع
على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر
حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم في التعرض لاقامة العقوبات
ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب القبور وتاسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى
بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله
عليه في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم حفر في داره
قبرا وكان يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد
وهذا كله موافق لما مر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور فينبغي
للعبد المذكور الغافل الذي تعرف النعم الموجودة لديه ابلغ منه فاذا
عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول عنه ولا يكون له سبيل
اليها وقد تفهم من كلام المؤلف من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها
فقد قيدها بعقالها لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك
فان ذلك مما يحط من وجود قدرك اذا ترادفت نعم الله عليك فلا
ينبغي ان تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك

وان لا يقبل له به بتركه فان الله تعالى يرفع قدره واعلا امره ويجعل القليل
منه كثيرا واشهده من حسن تولّيه له ونسبة الفعل اليه ما يوجب
حرمانه سيادته ورفعة قدره فلم تتجسس نفسه حظها وتقطع عن قدرها
بتجاهلها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر على وجه ما دب
الاتيان من الشكر بما وجب كان لامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله
ما من نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد افضل من الاولى لان
الشكر يستوجب المزيد وفي الخبر ان داود عليه السلام قال الهي ابن ادم ليس
فيه شعرة الا وتحتها نعمة فمن اين يكافيك ابدا فاوحى الله اليه يا داود
اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك الحمد ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد
اشفقت على نفسي من قبل ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت اراك اعلم بالله
مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان حمده افضل
من النعمة لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله العزيز قال الله تعالى ولقد اتينا
داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال
تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واي نعمة افضل من دخول الجنة **تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء
العضال** القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية لامراضه
التي اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل
فلذلك كان اعضل امرا وتعذر برؤه **لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج
او شوق مقلق** الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها الا وارد قوي
قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف مزعج او شوق مقلق وبما عـرا
ما ذكر لا يعرف الا المشتغل له بذلك **كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب**

القلب

**القلب المشترك العمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل
عليه** العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب المشترك الذي
فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك
معتل ينظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتل ينظر صاحبه الى نفسه
والعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص منه
والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى به لعدم وجود الصدق
فيه فمن صحح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق كان محبوبا لله
مثابا مرضيا عنده ولابد وقال رضي الله عنه **انوار اذن لها
في الوصول وانوار اذن لها في الدخول** الانوار الواردة على القلوب
من خزاين الغيوب تنقسم الى قسمين انوار اذن لها في الوصول الى ظاهر
القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه
فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه
ودنياه واخرته ويكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل
لاخرته وطورا يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه
لا يظهر فيها الا وجود الله سبحانه فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد
الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد
محبا للاخرة والدنيا وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه فاذا دخل
الايمان باطن القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ
اخر اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الهوى كان المومن
يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب وكان في
سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب
المكي وعلامة ذلك ان ينظر فان كان العبد يوثر الله تعالى على جميع هواه
وتغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله على محبة العبد من كل

من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما أنه مؤمن به حقا
وإن رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك قال
بعض العلماء ظاهر القلب محل الإسلام وباطنه مكان الإيمان
فمن ههنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الإيمان على الإسلام
وفضل الباطن على الظاهر

ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور
الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف
والأسرار الأنوار الإلهية قد ترد على قلبك فلا تجد فيه موضعا
لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه
من الصور والآثار الكونية فترتحل من حيث نزلت لأنها مقدسة مطهرة
فإذا رأيت حلول الأنوار فيه وتجلي المعارف والأسرار له فرغه من
الأغيار وامح عنه صور الآثار قال الله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين
وقد تقدم من كلام المؤلف كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة
في مرآته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من
نفسك وجود الإقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله
لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك والعبارتان
متفقتان معنى وإن اختلفتا لفظا حقوق في الأوقات
يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما
من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف
تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه الحقوق الكائنة في الأوقات هي
وظائف العبادات الظاهرة من صلاة أو صيام أو غيرهما فمن فاته شيء

منها

منها في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر إذ قد جعل له في ذلك
مجال رحب يستدرك فيه ما فاته من تلك الحقوق والحقوق المضافة
إلى الأوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد
وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد
مطالب بتوفية جميع ذلك عند وروده عليه إذ لله تعالى على كل عبد عند
كل حال يحل به ووارد يرد عليه حق جديد وأمر أكيد ولا يسعه الآن
يوفيه إذ ذاك فإن فاته لم يجد مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد
أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكن قضاؤها
إن فاتت ذكر الشيخ أبو العباس المرسي أوقات العبد أربعة لا خامس لها
النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله عليك في كل وقت منها سهم
من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة
فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها
ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله
ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر
والرضى رضى النفس عن الله والصبر مشتق من الإصبار وهو الغرض
للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء
فإن ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي
فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما له يا رسول الله فقال أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا ما فات من عمرك لا
عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له عمر العبد ميدان لأعماله الصالحة
المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة فهذه هي

السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له
منها الا ما سعى كما قال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وكل
جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره
ولا عوض له منه فان الغنيمة الوقت اذا فات لا يستدرك وليس
شيء اعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غني خال من ذلك الذي يتوصل
به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف
والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعات السلف الصالح لانفاسهم
ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في
البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير وقد قال
امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن يدرك
بها ما فات ويحيي ما امات وقد نظم بعض الشعراء

بقية العمر عندي ما لها ثمن ... وان غدا غير محسوب من الثمن
يستدرك المرء فيها كل فائتة ... من الزمان ويمحو السوء بالحسن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن عبد قيس وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت عليك فقال له وما تبادر
قال ابادر خروج روحي وقال الحسن البصري ادركت اقواما
كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم
دينارا ولا درهما الا فيما يعود عليه نفعه وقال
السري السقطي خرجت من بغداد
اريد الرباط الى عبادان
لا صوم بها رجب وشعبان فانقضى فيها

في مرضه علي البرجاني وكان من الزهاد الكبار جدا وفتا العطار وكان معي
ملح مدقوق وانا امص فقال لي جدك مدقوق وهكذا الوان من الطعام لم تقنع ولن
تدخل بستان الحبيب فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير فيسف منه
فقلت ما دعاك الى هذا فقال حسبت بين المضغ والسف سبعين تسبيحة
فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر
الله فيها الا كانت عليه حسرة وفي الاثر العبد تعرض عليه ساعات في اليوم
والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة
نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان اودع خزائنه من ساعاته في الدنيا من
الحسنات فيفرح بذلك ويغتبط بزيادة امره بره في الدنيا ساعة لم يذكر الله
تعالى فيها اراها في الاخرة خزائن فارغة لا عطاء فيها ولا جزاء عليها
فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته حيث لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه
محذورا انه يلقى في نفسه الرضا والسكون وجاء في الخبر ان اهل الجنة
بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور من جو واضاء فتهتدي منازلهم كما
تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم
كما يرون الكوكب الذي في افق السماء قد فضلوا عليهم في انوار الجمال والنعيم
المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم
في الهوى يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون يا اخواننا ما انصفتمونا كنا
نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء
من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون
ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تغفلون ويبكون حين تضحكون ويقومون
حين تنامون ويخافون حين تامنون فلذلك فضلوا عليكم فذلك قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال
ابو علي الدقاق روي بعضهم عند نهايته فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني

بالجهد وانا اجمع الى الخوف الاحرار والكبار من السلف قال الله تعالى وبعد ذلك
فليتمتع حسن المتاب مسرور به معناه انشد وا
رلا النسا في الصبا وقولا لا وجعلا حذر النفس حسرة المسبوق
ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا المحبة
للشيء تقتضي الانقياد له وشدة الطلب له ولا يبغي به بدلا كما قيل
حبك للشيء يعمي ويصم وذلك هو معنى الاستعباد والمحب لمن احب
غير الله عز وجل فهو مستعبد لذلك الغير كائنا ما كان والله تعالى لا يحب ان تكون
لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة
والقطيفة والزوجة قال بعض العلماء كتب الي اخ ان استطعت
ان لا تكون لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية بدا فافعل وقال
الجنيد انك لن تكون له على الحقيقة عبدا وشيء مما دونه لك مسترق وانك
لا تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية وقال
عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة قال المكاتب عبد ما بقي
عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن ابي عبد الله الرازي نزيل
نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفا ورأيت على رأس الشبلي
قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي ان يكونا جميعا
لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكان من عادته اذا
اراد ان اتبعه يلتفت الي فلما دخل داره دخلت قال انزع الصوف
فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فاحرقهما ومثل هذا مما
كان ينكره من لم يعرف مقصده في ذلك شيء كثير ورد عليه لا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود
عليك الحق تعالى غني عن اعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح
والمنافع

والنسك وهم الجاهلون لا يعرفون ذلك على سبيل التفصيل فضلا عن غيرهم بل عليهم
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة
بالسلاسل قال بعض العلماء المتأخرين على وجه الدار الدنيا لم يأمر العباد
بشيء وجوبا او ندبا او تخيير منهم بذلك الا لمصالح لهم في ذلك الامر ولم
ينههم عن شيء تحريما او كراهة الا لمفسدة لهم في تركهم امرهم بتركه
وجوبا او ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل عن طريق الهدى انه
يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الله ومشيئته
المستمرة في معاملته مع عباده على سبيل التفضيل عليهم اذ لو لا يجب على
الله مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم ان نظرنا الى كل ما هو واجب
او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يتضمن
التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمعية عليه لكن الطاعات
هي اسباب الجمع ووسائله فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب
التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا
ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية
الكمال والتمام وهي منزهة عن الزيادة والنقصان وهيبته العلو وقال ق ف
رضي الله عنه وصولك الى الله تعالى وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان
يتصل به شيء او يتصل هو بشيء الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه اهل
هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية العلم
لكن هو منتهى سير السائرين واما الوصول المفهوم من الذوات فهو محال
عنه قال الجنيد متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه
ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم
ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص
عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف واعلم ان الاتصال

والمواصلة لإشارات الشيوخ وكل من وصل إلى حق اليقين بطريق الذوق
والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد
الله بطريق الأفعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه
مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة
والأنس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي بطريق
الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مشتملا
على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مع ما في مشهوده عن وجوده وهذا
ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق حق
هذا رتبة اليقين ويقرب من ذلك في الدليل الخ وهو سريان نور المشاهدة
في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من
أعلى رتب الوصول فإذا تحققت الحقائق تحقق العبد من هذه الأحوال الشر
بعد أنه في أول المنزل فأين الوصول هيهات هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع
لا بد في عمر الآخرة الأبدية فكيف في العمر القصير الدنيوي
قربه منه أن يكون مشاهدا في درجة الأبد أين أنت ووجود قربه القرب
الحقيقي قرب الله منك قال الله تعالى وإذا سألك عبادي
عني فإني قريب وقال تعالى ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون وقال
عز من قائل ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وحظك من ذلك إنما هو مشاهدة
قربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة
الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما أنت فلا يليق بك إلا البعد ونفي
القرب عن نفسك كما يقول المؤلف بعد هذا إلهي ما أقربك مني وما أبعدني
منك المعنى يوقف في حال التجلي بجملته وبعد الرجعي يكون البيان فإذا أحب الله
أن ينفع قرأ ذلك علينا بيانه من العلوم اللدنية التي يقذفها الحق بمعانيه

بل

في أسرار العارفين عندنا بأنهم من الدعوى وتحرزهم من رفع الأشياء ونعوتهم
بالجبال ولا يفتقرون لما يهجم عليهم المولى من الحق تعالى تحقيقا لوعده
لهم من غير تعلم ولا دراسة عند ورودها عليهم وتجليها لهم جملة لا يتبين
لهم معناها ولا يدرون وجه حقيقتها إذا وعوها وتكلموا فيها إذ
هم إنما بالاعتبار والنظر ما تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما
بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى إن بعضهم ربما
يجد على لسانه وجنانه كلاما كثيرا من غير أن يلقي له بالا إذ يخرج من ذلك أن
زهدهم يتصيدونه ثبتا فلا يجده صحيحا مستقيما وقد أخبرنا بنحو من ذلك
من له قدم صدق في هذه الطريق عن نفسه قال الإمام أبو القاسم
القشيري وأصحاب الحقائق في حكم التحرير عليهم شيء لا علم لهم به
على التفصيل وبعد ذلك يكشف وجوهرهم بما جرى على لسانهم شيء ولا يدرون
وربما جرى ثم بعد ما عنهم عن النطق به يظهر لقلوبهم بها ما قالوه
من شواهد العلم إذ تحقيق ذلك ببرهان الحال في تلك الوقت اهـ كلام أبي القاسم
فهم وهم ما تكلموا ذكر المؤلف رحمه الله والله أعلم وكأنهم أشاروا
بذلك إلى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة
وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل أبو عبد الله بن طاهر الأبهري
عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال
العلم كله حقيقة وقال الشبلي الألسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة
ولسان حق فلسان العلم ما تأدى إلينا بالوسائط ولسان الحقيقة
ما أوصله الله إلى الأسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس إليه طريق وقال
رويم رضي الله عنه الحقائق ما فارق العلم وقال أبو علي الدقاق كشف لنبيه
بنفي الأسرار بل هو وقع في قلب أرباب الحقيقة فأجرى على الشريعة إذ أخفى
تحت شجرة أو غيلان رضي الله عنه وقال يا أبا علي حقيقة تخالف الشريعة

فهي كج واشارة المولف رحمه الله بهذه الحكمة في ذكرها الى هذا المعنى
بينة معنى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوايد عليك ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع
رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا
ورد على قلب مشحون بانواع الخبايث والرذايل ازالت ذلك فاذا ورد على
قلب مشحون بانواع الخبايث والرذايل ازالت ذلك بمرة وانبتت عوضا
من ذلك احوالا عليه واوصافا رضية انشد سيدي ابو العباس المرسي

٧١ لو عاينت حين تزلزلت ۞ ارض النفوس ودكت الاجبال ٧١
٧١ لرايت شمس الحق يسطع نورها ۞ حين التزلزل والرجال رجال ٧١

ارض النفوس وابدال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة بالحكمة
الى هذا المعنى جلية الوارد يات من حضرة قهار فلاجل ذلك لا يصادمه
شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الوارد من حيث يستظهر
الفهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على امره لا اجل ذلك لا يصادمه
شيء من رعونات البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا حضور دعا باطل والبا
طل لا يثبت مع الحق والاشارة بالاية الى هذا المعنى بينة كيف يحتجب
الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر قد اشبع المولف
رحمه الله الكلام على هذا المعنى اول الكتاب واتى فيه بالعجب العجاب وقد
نبهنا عليه هناك لا تياسن من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل
من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغي ان لا
ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لا تدرك ثمرته عاجلا
من وجود حضور او حلاوة او غير ذلك ولو لم يكن الا قصده التقرب به وصرفه له
عن غيره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تعل رجاء القبول
لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها
وجود

وجود الاثمار الوارد مراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك منه كما ان السحابة
مراد منها وجدان الامطار التي اقتضاها وجودها الا امطارها المجرد وجود امطارها
وثمرة الوارد انما هو تأتي القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات
محمودة فعلى هذا فان تحقق وجودها فيك فلا تزكي الوارد ولا تفرح به
قبل ظهور ذلك نوعا من الاغترار والخروج الى البشرية لا ظهار حظ على حذر من
لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت اسرارها
فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء انوار
الواردات المنبسطة على العبد هي تكييف ظاهره وباطنه بكيفيات
العبودية واسرارها المودعة لله فيها اخيار له من عظمة الربوبية
فاذا المبادئ الواردة هذه الفوايد فلا تطلبن بقاءه مع حال الكون ولا
تاسف على فقده اذ ان قصده الله غني عنه وعن غيره وليس يغني
عن الله تعالى شيء ومن الحكماء في امثال الناس ۞

٧١ لكل شيء اذا فارقته عوض ۞ وليس لله ان فارقت من عوض ٧١

قال ابو العباس ابن عطاء الله اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الى
ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله جميع
الاغيار والانوار والمقامات والاحوال الدنيا والاخرة والنعيم الباطنة
والظاهرة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقلبي
او مذهب فان ذلك قادح في اخلاص التوحيد قال في التنوير
واعلم ان البارئ سبحانه انما يدخلك في الحال التي تأخذ منها لا لتاخذ منك
وانما جاءت تحمل هدية التي هي من الله اليك فيها فتوجه اليها بالهم
السديد فيما ابداها او ابقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيها مليئا
اذ اد الامانة توجه اليها باسم المحبة فان جمعها وتوجهها فلا تطلبن
بقاء رسول بعد ان بلغ الرسالة ولا امين بعد ان بلغ الامانة وانما فهي المدعو

بزوال الأحوال وتعين لهم عن مراتب الأنزال هنالك يبدو الغوار وتنهتك الأ
ستار فكم من مدعي الغنى بالله إذا اغتر به بطل عند ظهور ما هو متجرد عنه من
مدعي الفقر إلى الله وإنما اغتراره بغير الله ثبوت اشتراكه الخلق معه فيما أثبته عنده
من معنى وهذا معنى عبد الله لا عبد العقل وكل العبد لك ربا ولا علة فهي عبد الله
ولا علة لتكون لك أعمال لذاته وقال سيدي أبو العباس عبد هو في الحال
بالحال وعبد هو في الحال بالمحول فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال والذي هو
في الحال بالمحول عبد المحول وأمارة من هو في الحال بالحال أن يأسى عليها إذا فقدها
ويفرح بها إذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول عبد المحول لا يفرح بها إذا
وجدت ولا يحزن عليها إذا فقدت وفي الإشارات عن الله سبحانه لا تركنن
إلى شيء دوننا فإنه وبال عليك وقاتل لك فإن ركنت إلى العلم تتبعته عليك
وإن أويت إلى العمل رددته عليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن آنست
بالوجد استدرجناك فيه وإن التفت إلى الخلق وكلناك إليهم وإن اغتررت بالمعرفة
نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا
تعلقك بالتنعيم غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان
ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله إليه هو غاية
مطالبه ومنتهى آماله ومتى وجده وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند
ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مرهوب به ومرغوب وهذه هي جنة أهل
التوحيد الذين استهتروا في ذكر الله المجيد كما روي عن أبي عبيد البسري قال إنما
لنتركا بالكلام ما الذي أجلسك في هذا الموضع فقال في وما سؤالك عن
شيء إن طلبته لم تدركه وإن جهلته لم يقع عليه فقلت تخبرني ما هو
قال علمي إن لله عبادا تستشفع في نعيم الجنان في الأراء فقد كنت أطمع أن نجيب
خلوتي ومن الخلق هربت وإذا أنا كذاب فقالت لو كنت محبا لله صادقا فما اطلع
على أحد فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله في أرضه مستأنسين بخلقه فيهم

على

على ما عنه فصاح صيحة وقال لي يا محمد وغيرك لو شممت رائحة الحب وعاينت قلبك ما وراء
ذلك والمعنى ما احتجبت أن ترى بوجه ما رأيته في فلان الأسماء وبالأرض استشهد إ
إنما حكم على قلبي ذكر الجنة والنار فقط أن كنت صادقا فما علمتني عن الله ما
شفعت لك كلاما بعدها وخفت أن يحبسوا لي الظن من الناس فتبعته تركته
ومضيت فبينما أنا كذلك إذا أنا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فحكيت عن
ذلك فقالوا ارجع فإن الله قد فتح فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا
الرجل ومن أين قالوا وقيل هذا يبكي إلى الملك فلبد على قلب إبراهيم الخليل
عليه السلام أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ما شغل أمر قلبه فهل
كان أحد هكذا إلا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقلت من أين قالوا
من المخصوصين من الأبدال فقلت علموني شيئا أنتفع به ولا أحب أن تعرف أنه
من لا يحب أن يعرف وفي مثل هذا الحال أنشد و

كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت إذ رآك النفس أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقد يسمى أبو سليمان الداراني فربما يبقى في العبد إلى
الله تعالى بمثل الغربة ما يبقى في بدنه أن يطلع السماء قلبه وهو لا يريد من النعيم
والآخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق
بهذا المقام العظيم فإن كان له شعور بشيء من الأغيار المحبوبة فيتطلع إلى
بقائه واستوحش لفقده فإن ذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليبحث عن تلك
وحده ولم يعمل في تصحيح هذا المقام جهده وقال رضي الله عنه
النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن
تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وا
تمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد

من انواع الثواب في الدار الاخرة من الحور والقصور والولدان والطعام والفواكه
والمشارب والملابس ونحو ذلك من انواع المسرات واللذات وعظائم العذاب
المتنوعة هي ما ورد من انواع العقاب بعضها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات
والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقوبات
وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود ذات هذه الاشياء وانما
نشرتها النعم والعذاب وانما ذلك لما اقتضته وظهر فيها من وجود قرب
الله تعالى وشهوده للمنعم او وجود حجابه والاعراض عن المعذب فهذان الامران
هما ينبوع النعيم والعذاب على التحقيق ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل
ما منعت من وجود العيان وجدان الهموم والاحزان الدنيا ويقع الاخروية
من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذي منع العبد
من وجود العيان ولو فقد عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظها لنفي
بوجود العيان ولم يبق له هم ولا احزان البتة بل يكون متصل السرور دائم الفرح و
السرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا والمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن
وهي ما قلناه من وجود العيان والعيان والله اعلم درجة فوق اليقين كما قال
الشاعر : كبر العيان علي حتى انه : صار اليقين من العيان توهما
قال الشبلي من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقيل اوحى الله الى
داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين والروحانيين
لا يغتمون على ... لا يفتقوا وانا المصباح فلو يصبح يا داود لا يفرح الهم
قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وشبه هذه من كلام
المولف اوحى الله الى داود في ما جرى وهذا يجتمع فيما استنارة القلب
بنور العلم وانحطاطه بوجود العيان والرؤية يخرج الهم ويحل محل
الروحانية عالي في وجود الهموم والاحزان لهذا الفهم اذ المهتدي
عاد جمعها عن نفسه ... جزيلة لا ينبغي ان يستعمل من قبل انها من جهة

لجمود

لجمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا في حق ما
زاد ان كانت في الامور الدنيوية وعدد آيات ان كانت في الامور الاخروية والهم
يتعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي من تمام النعمة
عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وجدان الكفاية من الرزق
وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على
العبد لما في هذه الحال من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية اما مصالح
الدين فعدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجد فيها الزيادة وجب له ذلك
طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فما
لاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان
اصل كل معصية لله عز وجل وفي قصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يرزقه الله مالا وما الامر اليه مشهور وقال
سعد بن ابي وقاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق
ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما طلعت الشمس الا بعث بجنبتيها ملكان ينا
ديان يسمعان الخلائق غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل
وكفى خير مما كثر والهى واما مصالح الدنيا في ذلك فيسيرة التنبيه
عليها في قول المولف ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه واما مصالح الدين
عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن اجل توصله الى الاستعانة
بها على الطاعة لله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد
قال الله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الآخرة ان تتوصل اليها
آتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى
تنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة

الوجه عن ذل المسألة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى
على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما اباح له من هذه النعمة الجسيمة فيستعجل
بذلك راحة نفسه ولا يستغنا عن غير جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد
في الامور العاجلة ويخلو القلب عن ذل همتها من طلب الزيادة من الدنيا ولم
يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك لميل الحرص والطمع
الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يكتفي بقدر ما زوي عنه
من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما حرص يقطع فيه عمره او
رغبة في غنا فيتعبه حتى ينسى ما انعم به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس الغنا عن كثرة العرض وانما الغناء
الغنا النفسي وغنى النفس عن الدنيا اشرف الاولياء المختارين
ومن اهل التقوى من المومنين المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله

هذا النفس ما يكفيك من سد خلة ... فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

يحكى عن بعض العمال قال كنت طاويا مطروحا على بابه نسيئة
سبعة ايام او اذ حضيت فنوديت في سري ان من اخذ من الدنيا فوق ما
يكفيه اعمى الله عينيه قال عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في خراب
الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة
جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي
قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد قلت وكيف عرفتني
وعجبت بمعرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك هنا
قلت لتعظيني فقالت وا عجبا لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد
الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة
الزهد فيظل حيرانا والها فان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره
فقال

فقال يا عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك
دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني
فقد اورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغناء
ارجع الى ما كنت عليه ارجع اليك ما كنت تعهده من نفسك قال ثم تركتني
وولت عني فانصرفت وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون ما اصنع
اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق بن ابرا
هيم التجيبي القرطبي المالكي في كتاب النصائح له عن ابي عبد ربه الشكاري
في الدمشقي انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب
نهر ومرج فنزل بها قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله في ناحية المرج
فاتبعته فاذا انا برجل ملفوف في حصير فسلمت عليه فقلت من انت
يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت ما حالك هذه فقال حال نعمة يجب
علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت في حصير فقال ومالي
لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي في الاسلام
والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره ذكره او نشره فمن اعظم
نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك الله ان تقوم معي
الى المنزل فانا نزول على النهر هاهنا قال ولم قلت لتصيب من
الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير فقال ما لي فيه من حاجة قال فجهدت به
على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف
رجلا بدمشق بكا فوقي في الغنى وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب
اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم احد ما اجمعت عليه فلما كان في السحر
رحلوا النحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الي دابتي فصرفتها الى دمشق
فقلت ما انا بصادق في التوبة ان مضيت الى متجري فسالني القوم فا
خبرتهم وعاتبوني على المضي فابيت فلما قدمت دمشق وضعت يدي في

بما لا يجد فيما زال بصبره في سبيل الخيرات حتى اصبح فيها وجد واعتقد لا اعمر
نفس الصبر زاد غيرا ابن ابراهيم وكان يقول بعض ابناء عبد ربه المذكور والسلوان
نهر يطفي نهر د ... ان ذهبا ما خرجت اليد ولا اخذت شيئا منه
ولو قيل لي من مس هذا العود مات لمسست اليه وعلى ... شوقا الى الموت

فصل فيما يفرح به بعد ما يحزن عليه ان الفرح ... عند العقلاء من جلب
المصالح من زوى الشيء عنه بعض الدنيا ورضي بذلك وقنع منها
باليسير ولم يتطلع الى زيادة ... من الرجاء فهو كامل العقل حسن النظر
لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن وترك لما فيه حصول
مصلحة الفرح الذي يزول عن قريب واعتاض عن ذلك الراحة الدائمة
كما قيل

ومن سره الا يرى ما يسوؤه ** فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله ** فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وفي الحكم يقال لا تفرحن بما يفرح فقده فالمفروح به
هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما اولعت بالشيء حزنه ** ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

ويحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له
نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده
كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة لا جبر لها او ان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت
قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر القدح يوما
فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال
هذه المصيبة واعظم منها ان زالت ... من اسباب الدنيا
فان نهاية ... بغصب او سرقة او جائحة نازلة فلابد ان يؤخذ عنها بالموت
الهادم للذات المفرق للشهوات فما كان له الف محبوب مثل الذي بعد
الموت

المرة التي حبيبة في وقت واحد لانه كان يصيبها كلها وقد تسلبت منه
في كرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا من فضائل العقل وقال سهل بن عبد
الله للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك
الدنيا وقال الحسن كيف يسمى عاقلا وهو يعتني ويهتم في الدنيا
ويباهي اهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم
الخاسرون اولئك هم الفاجرون اولئك هم الجاهلون وانشدوا

ايها المرء ان دنياك بحر ** طافح موجه فلا تسكنها
وسبيل النجاة فيها مبين ** وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال ابو علي الثقفي اف من اشتغل بالدنيا اذا اقبلت واف من
حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شيء اذا اقبل كان شغلا واذا
ادبر كان حسرة وقد قيل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره ** فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ** وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقيل لابي القاسم الجنيد متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان
للامور مميزا ولها متصفحا وفيما يوجب عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب
الذي هو اولى ليعمل به ويؤثره على هواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب
الفضل في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض الله عليه وليس من صفة العقلاء
اغفال النظر فيما هو اعود واولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير
فمن كانت هذه صفته بعد احكام ما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول
وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما اوتي عليه الدنيا وكذلك
لا يرضى ان يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل
له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل
بقاؤها وذلك ان الدنيا تبيد وتنفد ويبقى على العامل حظه وما حوى ...

زائل متروك ومجازي موروث خالي مع ترك حسن العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه و
كذلك صفة العاقل تصفح الامور بعقله والاخذ منها بالاوفر، قال الله تعالى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو
الالباب بعد ذلك وصفهم الله تعالى وذوو الالباب هم ذوو العقول الذين وقع
الثناء عليهم هنا ووصفهم الله بالاخذ باحسن الامور عند استماعهم واحسن
الامور هو ما يقبله وابقاها على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك ندب
الله عز وجل من عقل في كتابه كلام الجنيد وهو غاية الحسن ونهاية التحقيق
وجيء بمناسبة لما كنا بصدده من التنبيه على كلام المؤلف وانه ذكر ها هنا
للدنيا والله الموفق للعمل بمنه وكرمه **ان اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم**
لك هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية من اهلها الى الخزي بسبب وقوع العزل
عنها ومقتضى ذلك ان يعقل ترك الولاية المعزولة حذرا ما يلحقه من العار **ان رغبتك**
البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن بدايات الامور
بدايات الامور وظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة
الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فيعود [illegible] ضرره وهلاكه
ونهايات الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما تشهده
من بشاعتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويبعد من شرها
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكون ظاهرها غرة وباطنها عبرة [illegible]
بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا
عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر فالتفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما
تريد حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد فيها راس كل خير والتوفيق نجاح كل
بر فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح
كل بر فقال وكيف اعرف ذلك فقال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة
اشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر

ويخذل

ويخذل وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع
يغر بنضرته ثم ييبس وبتزاويق الاحلام [illegible] يرى السرور في منامه فاذا
استيقظ لم يجد في يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف
يغر ويقتل قال فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين مرة ثم زدت فيها حرفا وشبهتها
بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في النوم فقال
يا بني انت مني وانا منك فقلت اي شيء يكون الزهد في الدنيا قال اليقين
والقصر [illegible] والصبر [illegible] والعبر [illegible] وقف الراهب وقال خذها
واذا [illegible] خلع المتجرد [illegible] الفهد وقال محمد بن
علي الترمذي [illegible] الدنيا [illegible] عند العقلاء فهم
[illegible] عند الحكماء [illegible] وقد حذر
[illegible] الدنيا [illegible] الذين يرغبون [illegible]
[illegible] سبيل الرشاد انما هذه الحياة الدنيا متاع [illegible] سبيل
الرشاد [illegible] محبة الدنيا وطلبه لها [illegible] الدنيا
وغرورها وسرورها اكثر من [illegible]
في وصفه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور **انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار**
تزهيدا لك فيها ورود الاغيار والاكدار في الدنيا ونزولها على العبد من نعم الله
تعالى عليه لان ذلك يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها [illegible]
عنه وجود الغفلة والجهالة للاجل [illegible] الحال
والحنان لانه لو صفت له لرغب فيها وحرص على نيلها انما هو ما يتوهم
فيها من [illegible] على [illegible]

من غير منكد ولا منغص ولا تكدر لحصوله على هذه الاشياء على هذه عا
ما يحبه ويهواه كان ينبغي له ان يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها اذ كان
على قلة زمان امرها الى الفناء والزوال او الانفكاك والارتحال وقد
قال ابن المعتز لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر

٧١ اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا ٥١
٧١ ارى الدنيا لمن كانت فيه ... تدور وما تبقى عليه حالا ٦٢

ثم هي ما فيه له من سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى الخير فهو على انه
طلبته الطالبين وترى بقدر رغبة الراغبين فيها وهو معرض فيها لا
نواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والاكدار فما من احد
فيها الا وهو في كل حال ووقت متعرض للاسهم ثلاثة سهم نعمة وسهم
بلية وسهم رزية ما دام فيها ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا ابد الابد لا يفي
مرجوها بمخوفها ولا يفي خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر ٤١

٧١ ان الليالي لا تحسن الواحد ... الا اساءت اليه بعد احسان ٦٢

وقيل ٧١

٧١ ما فاح خيرك يا زمان بنفحة ... او نال ما امل منك رجاء ٤١
زمن اخ العطاء استرد عطاءه ... واذا استقاء بدا الوا منجوبا ٤١

وقد كتب علي بن ابي طالب الى سلمان الفارسي رضي الله عنهما
انما مثل الدنيا كمثل حية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها
وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما تيقنت
من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان
فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغاء دار الدنيا
كاحلام النيام وسرورها كظل الغمام واحداثها كصوائب السهام
وشهواتها كشرب السمام وتقلباتها كالامواج الطوام وقال

ابو

وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها وطر
ايا من يؤمل طول البقاء ... وطول البقاء عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبي

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اما تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونس الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم يقينا وتحقق من قلبه غاية التحقيق انه لم يتصور
منه على اخذ وجود رغبة البتة الا انه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين
ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من الدارين وذلك هو الخسران المبين
قال ابو هاشم الزاهد ان الله وسم الاولياء الدنيا بالوحشة ليكون
انسهم به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة
بالله مستوحشون والى الاخرة مشتاقون وقيل اوحى الله الى الدنيا
تضيقي وتشددي على اوليائي وترفهي وتوسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي
حتى لا يتفرغوا بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا
لذكري علم انك لا تقبل النصح المجرد بنور وقاد وانما يسهل عليك
وجود ثمرته النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس
بلذاتها الفانية وكل كريم الطبع سهل الانقياد واما من سكنت فيه
تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم الطبع صعب القيادة فلا بد من نصح

من الدنيا صح

هدايته وإرشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو موجود ما انضم إليه وتحرر ولبس
ذلك للعامل بكرامة فيأمن فضرا لنعمته عليه في ذلك واعمل بمقتضاها وسل ربك
في حكمته وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على
الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان العلم النافع الذي ينبسط
في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته
وأسمائه والعلم بكيفية التعبد والتأدب بين يديه فهذا العلم الذي ينبسط في الصدر
شعاعه فيتسع وينشرح للإسلام ويكشف عن القلب قناعه فيزول
عنه الشكوك والأوهام وفي حكمة داوود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح
في البيت قال العبد ... التوحيد العلم النافع هو الذي يؤثر في الصدر ونوره وذلك أن
النور إذا أشرق في الصدر تصور الأمور حسنها وقبيحها ووقع بذلك ظلام
الصدر فهو صورة الأمور فبانت حسنها وتجنبت قبيحها فذلك العلم النافع
من نور القلب خرجت تلك العلامات الصدر وهي علامات الهدى والعلم الذي قد
تعلمه في اللسان إنما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه
قد أحاطت به وأذهبت ظلمتها ضوءه وقال أبو محمد عبد العزيز المهدوي العلم
النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما
يباعد من النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس ومكائدها وهو
النور المشار إليه أنه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان والمنقول
والمعقول قال مالك بن أنس ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله
في القلوب وأما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه
وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته قال الجنيد العالم يعرف ربك والتعبد
في ربك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها مقصود علم التوحيد وهو
معرفة الله تعالى وحسن الأدب بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للإنسان
عمره الطويل إلا ينتفع منها بكثير ولا قليل وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي من لم يتغلغل

في هذه العلوم يعني علوم التوحيد مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه
العلوم قد لا يحتاج إليها وربما أخل بصاحبه هذا أو هذا عليها وقد استعاذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة أخرى
في بيان العلم النافع وتعريفه بالزهد فقال خير علم ما كانت الخشية معه خير العلوم
ما يلزم وجوده الخشية لله تعالى قال الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل
إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى
صاحبه عالما على الحقيقة وقال الربيع بن أنس في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده
العلماء قال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ألا ترى أن داوود عليه
السلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة والإيمان بك فما علم من لم يخشك
وما حكمة من لم يؤمن بك قال بعض المحققين هذا العلم الذي هو مطلوب به الخشية
لله وهنا هذه الخشية من أوصاف الذهن أما علامة وجودها الرغبة في الدنيا والتملق
لأربابها وصرف الهمة لكسبها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار
والاستكثار وطول الأمل ونسيان أمر الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه أن يكون
من ورثة الأنبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان
بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل
الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي من هذا وصفه
حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه وكان سهل بن عبد الله يقول لا تقطعوا
أمرا من الخير والدنيا إلا بمشورة العلماء فجحدوا العلماء عن السيئات فقيل
يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل
على أنفسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمرك الذين
يخشون الله تعالى وقال الواسطي أرحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى
واشتغالهم بما علمهم الله عز وجل وقال بعض المتوسمين في قوله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم إن العلم الذي ذكره في الكتاب العزيز أو في السنة

انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه انما
يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء
انما هم اهل الخشية وكذلك قوله [illegible] العلم [illegible] وقل رب زدني
علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء
ورثة الانبياء وقوله [illegible] طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم في هذه
المواطن العلم النافع القامع للهوى القامع للنفس وذلك متعين بالضرورة لان
كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد
بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله
ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله تعالى
ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بامر الله [illegible] اذا كان تعلمه لله وقد
فسره المعتبرون القادة على هذا وعنوا النافع والنافع لله عز وجل اذا التبس عليه
امر وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي [illegible] حاجة الخشية والتوا
ضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم والصبر على حسن معاملة الله ودوام مراقبته
وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات
وذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ
بك من علم لا ينفع ووصف الله العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض
السلف من ازداد علما ولم يزدد خشوعا [illegible] وقال رجل للجنيد اي العلم انفع فقال
ما دلك على الله وبعدك من نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام
المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله تعالى والاعراض عن الدنيا
وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابوابها وارباب [illegible] وترك ما فيها على طالبيها من
اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم اولياء
الله تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها

فوق

فوق [illegible] عن الاخرة وعن طاعة الله [illegible] ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من
احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما
يفنى وقال الفضيل بن عياض العلم طبيب الدين والدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب
يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ غيره واذا وفق الله العالم من العلماء للاقبال
على الله على اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها ما اول ما يلزمه ان
يحمد الله عليه [illegible] بواجب الشكر ويزيد نوافل واجتهادا وربما
انه [illegible] ذلك [illegible] من الله المجاهدة [illegible]
فيفتح الله عليه [illegible] الله [illegible] اذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما
يقتدى به في احكام الظاهر واحوال الباطن يهتدي بنوره كل من يحبه ويستضيء بعلمه
كل من [illegible] ويكون حجة الله على عباده وببركته [illegible] على [illegible]
نيا وطلب العلو فيها وطلب الرياسة واستتباع الخلق فهو العالم الذي هو غير
نافع وهو العالم المغتر [illegible] اعظم من ان [illegible] ونحن
نعوذ بالله من الخذلان العلم الذي تقارنه الخشية فلك و الذي عليك العلم الذي تلازمه
الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك واخرتك وليس لك الا ما ذكرناه والعلم
الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما هذا هو الفرق بين علماء
الاخرة وعلماء الدنيا حيث ان علماء الاخرة موصوفون بالخشية والزهد
وعلماء الدنيا [illegible] بالامن والغرة وقد بين علماؤنا حال الفريقين واوضحوا
امرهم بالنعوت والعلامات والطوالع ذلك النفيس [illegible] ومن انتشار
الفساد في الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع [illegible] اراد الشفاء
في ذلك استشفاء الاطلاع عليه [illegible] ذلك من الاخبار والاثار وعليه بكتاب
العلم من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي [illegible]
[illegible] هنا وقد قال الفضيل بن عياض علماء [illegible] ربيع الناس اذا نظر اليهم

الفقير لم يرد ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه الصالح
فكيف لو ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه قد ورد في الكتاب
والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصره الا ان ذلك لمن حسنت
وصحت نيته في ذلك بان يكون غرضه فيما يطلبه مرضاة الله تعالى واستعمال ما ينفع
عنده واستكثار الخروج من ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي
تحمد على فعلها صاحبها ويحتسب اجرها على الله جل وعلا وقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس
ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه
ولباسه ووجهه ولسانه وصلاته وهديه وزهده فان كان الرجل ليطلب الباب
من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له ليضعها في الآخرة
وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل اذا كان كذلك لم ينفع الدعاء
كدعاء الغريق وقال سفيان الثوري انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره
لانه يتقى الله به فلو اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان يستنتج التوصل
الى منال دنيوي من مال او جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا
قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الآخرة من نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
ابو هريرة من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا
لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن يقول والله لقد طلب هذا العلم
احد للدنيا حتى طلعت ما اراد به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل وما
موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة فاذا انقلب الى ذلك هذا الغرض
لم يتوصل به الى الجاه والاعمال السلطانية كالنيابة ما كانت او يتوصل به الى الاكتساب
من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله عز وجل وسخطه وباء باثمه واتى
المقت به وظهر الجهلاء ذاك خير الدين العلم واحد عن فقهه قال ابو عمر بن

عبد البر روينا عن الاوزاعي انه قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف
الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه قال وروينا عن فضيل
بن عياض وعبد الله بن المبارك قال بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن
يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان قال الفضيل بن عياض الناس من علم ليس
كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم
لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم الحرص على التقدم والترأس
قد ملكهم فاصمهم واعماهم ولذلك امارات وعلامات للفضلاء لا تخفى
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في آخر الزمان
رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين السنتهم
احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى ابي يغترون
ام علي يجترؤون فبي حلفت لاتيحن لاولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران
رواه عنه ابو هريرة وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل
الله تعالى في بعض الكتب او اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء عليهم الصلاة
والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين يتعلمون لغير العمل ويطلبون
الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب
الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي
يستهزؤون لاتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن
الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجد
هم عامرة من الجدران شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج
الفتنة واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف
انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع
والذلة والتخلق باخلاق الابرار وتوابع الاسرار والاعلان التي ينبغي

ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها والعمل الاتباع لحوائجه والمعاداة
فيه والحرص على التفطن للاسباب التي تعقد له على الاستقامة ولزوم الادب فيه يحدث الذي
تعلم فيه أعينه حفظا وطلبا من هذه الاسباب المضادة لذلك فيه وفهمها وفطنة
وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحي السنية فهذا كله يحصل به فوائد
العلم وثمرته الدنيوية والاخروية فلا خلا طالب العلم عنها او بعض منها كان ما يطلبه
علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان وسيلة وبلا لا وصلا للبر والعياذ بالله من ذلك
فلا ينبغي لطالب العلم ان يعلم ان الغرض من طلبة العلم لغير الله ما بجواز يكون الاخلاص وليس
في هذا القول ما يستروح اليه من طلب العلم الذي استوى العنا فيه وانما اخر هذا
عن امره من يعليه وتنقية صلهم الله منها كالحريق انما من عليه فيه لغيره وذلك كمنزلة
من به مرض مزمن في الغلا اعيا كل الاطباء ومضت عليه خلقه واخذ خنجرا او حربة
به مراقا بطعن ليقتل نفسه فصادف ذلك الداء فقطعه فخرج الداء منه وهذا
لا يستصوبه العقلاء فعله وان ... فيه وليست حسنا منه العواقب الحق
العتب على المغترين بانفسهم الى التهلكة ليس للمغتر رجوع او لو سلما وغاية موضع
وآخر ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم للاكتساب الدنيا وتحصيل
الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة
وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات في طلب العلم فمكث اربعين
سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلاة واحدة اذ المقصود من العلم العمل كما ان المقصود من الطهارة وجود الصلاة
ولقد سأل رجل الحسن البصري عن مسألة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد
خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه الذي
قد فرغ السامرة ونهيه فلان وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه من انفقأت
المجالس من عين قلبه والرجل الذي سأل الحسن البصري هو فرقد السبخي والله اعلم

بـ٣ العلماء

وقد

وقد روي عنه صفة الفقيه كلاما يليق ما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن
قال فرقد السبخي سألت الحسن عن مسألة فاجابني فيها فقلت ان الفقهاء
يخالفونك فقال لي ثكلتك امك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه
الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يتبختر
من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت
وعلى المعلم ان يتفقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير
والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرنا هاهنا ولا يبذله
لمن سوى هذا ممن على حاله او جهله قال رجل لسفيان الثوري او انك تحدث
ما معك من العلم رجو ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر على ذلك فقال سفيان
والله لو اعلم بالنية يطلب هذا العلم الذي يريد به الله لحملته الله كتبته انا الذي واتيه
في منزله حتى احدثه بما عندي من العلم رجوا ان ينفع به وقد سئل بعض العلماء عن شيء
فلم يجب فقال له السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم
علما الجم يوم القيامة بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب
فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به ومنه قوله عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم من غير اهله ويستحق به اولى كما قيل
ومن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وقد حكي عن بعض الامم السالفة انهم كانوا الخير والتعلم متى وقع اخلاقهم ولو
وجد واحد فيه خلقا رديا منعوه التعلم لفقد المنفع وقالوا انه يستعين بالعلم
على تنفيذ الخلق الردي فيصير العلم التي تصرف حمره وقوة التاكيد زيادة
العادة الرجل السوء كيادة ... الاصول المنظم عملا ازداد شرا ازداد
مرارة وهذا كله فيهم هو فيه ... ان العالم ان لا يهمله بل يراعيه ويتقلل

والاعتبار بما يؤخذ في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصولها من غير
ان يحصل لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانوا لم يعملوا بتركه
حكا او غيره لكن مفاسد العلم التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة انفسهم
والمفاسد التي تتعدى منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد راجح عند العقلاء
من جلب المصالح اما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم
الكريهة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم
الدنيا ويتزيون على غاية الكمال والفضل فاذا استشعروا ذلك توجهت بهمهم
اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم تتوفر منهم
ذلك جملة فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى اغراضهم
المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا وا
غتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط هو العلامة التي تدل على انهم متعلقون
باسباب الدنيا وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم ونفوسهم
وبعد حصول التاثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسي القلب لم تنفعه موعظة ** كالارض سبخا لم ينفع بها المطر

وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتقوى صفاتهم وتظهر اثار ذلك وعند ذلك
على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من ابنائها المترفين
وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل ما في ايديهم
عليهم بوجوههم اليهم والتقرب عندهم بانواع الحيل والتوسل اليهم
في ذلك من الرياء والتصنع والتملق والدهان ويخرجهم ذلك الى انواع من المحظورات
وضروب من الحيل مع ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او
بعضه حصل لهم معظم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم خرجوا من الحرية
الى استعباد الدنيا واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل
بن عياض لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه
وانزلوه

وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم
تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم
اذا سلمت لهم دنياهم حين بذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس
فذلوا وهانوا على الناس ولله در القاضي حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما ** راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ** ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ** لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا واجنيه ذلة ** اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ** ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ** محياه بالاطماع حتى تجهما

قال وهب بن منبه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن
دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون دنياهم
رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة
في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما راوا من سوء موضعه
عندهم وقال ذو النون المصري كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا
وتركا لها واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق
ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة
في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فساد في الظاهر والباطن
وانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس
الخبر كالعيان فبعد وقوع هذه المفاسد بهم وتمكنها منهم في سويداء قلوبهم
يتعذر عليهم سلوك طريق الخوف واستحكم في قلوبهم من علامات سوء الخلق فقد
قيل المتعود الباطل قطع الامل الرجوع عنه فكل ما كان بعد المسافة من الحق
كان الياس من الرجعة اوجب واعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم

بتصحيح عمالهم واعتقادهم انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل
الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا الرتبة العلية والمنازل العظيمة التي اختص
بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء ولم يعلموا ما عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق
ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم يسلكوا طريقة الخوف وكل همهم والاشتغال
وبهذا اهل الفساد الا انهم بينهم والاشتغال دون غيرهم واما الجهال فهم الذين تجري
الغير هم في ظاهرهم من ظاهرهم وهم يقتدون بهم فيما ظهر لهم من ذلك فيتبعونهم
اشد استبعادا فهل يبقى عليه شيء من الخير او نوع من انواع الفساد الا وقع
فيه اذا تمكن منه ومن هو مثله بسبب ما عندهم من الفساد وهو فلا منهم لذلك
وقوع الاغترار بهم من الجهلة والاغمار لمشاهدتهم حالهم وما هم فيه يشاهدونهم
قد حازوا من زهرة الدنيا ما ارادوه ويتوهمون انهم نالوا ذلك بسبب ما هم
لها اهل فاعتقدوا وحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب الدنيا
اذ كانوا هم عندهم خيار الناس لذلك فيقتدون بهم ويعتقدون فيهم انهم كذلك او يعود
عليهم ذلك بحسب ما هم عليه من الاتباع لهم ثم يخرج بهم ذلك ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم الاستقصاء حالهم الى الدوام الدائم وهو
مسار قد غلب عليهم اثر الكبر والخلاف بينهم الردية فكل من رآهم فانه يكاد ان
يعظمهم ويهابهم لما يعتقد ان فيهم خيرا من اخلاقهم وادابهم ومقاصدهم وهم
فيهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود في بعثة الرسل من التزهيد
في الدنيا والترغيب في الاخرة وجمع النفوس المستقيمة وابطال التواضع والانقياد
والتخلق باخلاق الابرار والاستقامة ونصحهم في الحذر من ارتكاب المفاسد والاقلاع
عنها لانهم يجلبون بحمد الله السكينة والعفو ولا تجتنبون الا السكينة والقناعة والتجلي
بالله ويكون وقالت الجمع ولكن راجعا الى العلماء ليتيسر اسباب ذلك عليهم دونه
ولقد صدق ابن المبارك رضي الله عنه حيث يقول
وهل افسد الدين الا الملوك ... واحبار سوء ورهبانها

وباعوا

٧١ وباعوا النفوس فلم يربحوا ... ولم تغل في البيع اثمانها
٧٢ لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي العقل انتانها
وروي عن ابن المبارك انه اخذ جيفة بيده واوضعها في كمه فقال العين فيه
انقا اذا منه هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعله على الجيفة حتى وارى قال
والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الدين كما دفنت هذه الجيفة بالتراب
تسبيل الذين كانوا من قبلكم هذه والقدوة بالقدوة والنعل بالنعل فعلت ومنشا
وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها
وانكشاف انوار الايمان فيها واملاسهم من حظوظ الدنيا ومع احتظائهم بها
منه فصاروا لذلك اسيرين لاهوائهم متعاطين لاغراضهم واراءهم فيوجد ذلك
نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات طاهرة كانت الاعمال صالحة و
ترتب عليها اثار الفلاح والنعم وذلك على القلوب مزية الاشراق وحميد الاخلاق
يوصف بذلك وجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة
كانت الاعمال فاسدة ايضا وترتب عليها اثار فاسدة والنعم بذلك على القلوب زيادة
ظلمة ورداءة وهي تقتضي البعد من الله وحصول المقت منه وطلب الجاه وحب الاعمال
معرض للهمة والاعتلال وكيف يشعر هؤلاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب الدنيا
والاذى واتعبوا انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا اكثر ليلهم ولياليهم بالجوع والسهر
واتعبوا نفوسهم في ملذوذاتها والبعد عن الجميع ما لو قابلها هل بعثهم على
ذلك باعث الدين او باعث الهوى والشك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال
في حقهم من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا
على تخليصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا
ذلك البتة ولو عرفوا انهم على احوال لا يجب عليهم فيها حجة يحتجون الى التوحيد
والقيام به فهم يخدعون ومن لم لهم ذلك والعالم بين الاخلاص ورثة والايمان لهم
من سقطاتهم والعناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين

لو يوجد لنا اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم
بلا سبب كما هو شأن ابناء العشائر الذين هم ما يحصل من اوقاتهم من معاولاته هذه المطالب
وينيلهم الطلب العلي عوضا عن البطالة التي يتيهون بها صاحبها وبحصرة من اغمي
الاشتغال في سواه الى ان ينقطع ذلك الوقت بلهو او لعب او ارتكاب محظور او ذنب للبطالة
التي يكون فيها استغراقه لنفسه واستجماع لعقله وحسن جمعه هذه الحال فمن ضيع
الدين من امثال هؤلاء واما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها طاعة الا من
الا الدنيا التي هي المجاوزة للحد في الغم والهم بمنزلة من هو حريص على ان لا
تسامح في الدنيا والحصول على غاية ملاذها فلا ترى يعمل لها ما عمله الزهاد وان كان
فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون
عليه في جنب ما يأمله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولا يحصل هذا الذي يحصل الا على
تسد الرمق والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم
يقصروا في خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم ما تيسر لهم مالهم وجاههم وقيامهم
ووصولهم معه لكن الرفيع الا درجات عقبا لهم لم يبلغوا اذ لكل مبلغ في الاجتهاد
واقتصروا على بعض وهذه كلها امور بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز
وفيهم والمانع للاكثر من مكتسب والى نفع من العلم تقتضي مادة نحن عليهم
كيف وهم يعتقدون محضه ويسلمون حاصله ويحققونه في الاطبيين عندما ينجلي
عن قلوبهم بعض ظلماتها وتنزجر عن عظيم جرائتها اما بتذكير مذكر من الخلق
او وعظ واعظ قلوبهم من قبل الحق تجرد عن عظيمها يراودونهم الرام الوجدانهم
ومحنتها وانفعال النازع لهم من ذلك ابراء الله تعالى بالمسيئة والقدرة وا
ستيثاره بالاخذ للارواح فهذا ما اراد الله ان يفعل بعبد من عباده لم يغنه عقل
ولم ينفعه علم قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومن مثل
هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتحقق ارباب الحقايق العظمة والجلالة
والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر ما ذكرناه ارباب الحقوق النفيسة التجاريد

وليسلوا

وليسلوا احكام الواحد القهار العليم بذلك بهمته وراوا منظر التحقيق حين يحل
غيرهم عن سواء الطريق مطالب فوق عنده فوق ثوابه وليقل الهمة اذا نظر
اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به
هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا فهكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به هذا وفضلني عليك وعلى
كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا من كان فحق على العاقل الناصح لنفسه
السالم في عقله وحده سد العالم على تصحيح اعمال الدين ان يكون على حذر من الزهو
منوطا بالجمهور ان يتاملوا هذه المقاصد ويقتبسوا بها ما توجد من العبارات النافعة
في تعليمه وتحريه فوق النكير في ذلك كما يحدث في اكثر المسائل التي يحتاج اليها
ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات العلل العظيمة حتى يقطع بوجوب
ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وهو في خطر في ذلك ولا سبيل الى هذا ولا يسعه
خلاف ذلك اذا كان منصفا فقال بعضهم ابن عيينة او الثوري حين سئل التحدث قال
فقال هو يرى ما صار الامر اليه ابناء الدنيا فلنقتد وكذا فيك ذلك فلا يلزم منا التحرج
حتى من هذا وحمل على جميل ما صلاة وحلبا وفهم ما نال لو كان ابيهم ابعد مقال
سفيان الثوري وعليه ايضا ان يحرص على مجاهدة نفسه فيما تدعوه اليه من التعلم
للذكر ما تستحيليه النفس من بواعث محضها ملحوب بالاجابات والعلل التي تقدح
في الاخلاص واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب
عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم في كلامه على بواعث طالب العلم في نوا
قبول العمل الصالح اذ هذا مما يفتح للعمل عند فوتها الا قليل ممن زاهد ونفع
ابطال الكلام على انواع النفوس دماء بها الى ما ظاهره خير عند قوله في النفس
عليك [illegible] وينفعل الحرج في ذلك من نفس [illegible] الحرث كلاب يعقل الا انه احد
ولو ذهبا في شهوة الحديث لحديث وكل يعجب زكي طلب الحديث انه سمع
ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار من الحديث يصدكم عن ذكر الله

وعن الصلاة فيطل انه منتظر فلما اسمعه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الجلوس لطلب
الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا مثل هذا الكلام عن منصور بن المعتمر فلما كان الا
كثار من الحديث بهذه المثابة عند امامي المحدثين في زمانيهما مع ما فيه من الفوائد
الاخروية فما ظنك بغيره من مسائل العلوم وفيما عداها ولقد ذكر الشيخ الحافظ
ابو عمر بن عبد البر باسناده الى عبد الله بن محمد الفقيه قال دخلت على مالك
بن انس رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي
فقلت يا ابا عبد الله ما الذي ابكاك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني
جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الراي
وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها
في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا اجمل الكلام اخذا فيه من المسائل المحققة
المبنية على اصول صحيحة فما ظنك بمن تكلم فيما لم يتحقق بعده من الهذيانات والزهاط بحكم
العادة واقتفاء العصبية وتقليد الاسلاف على الضلال وتقليد الرؤساء الجهال
حتى يجعلوه قبلة وحرا لا ماهم فيه وعلى كل واحد من العلماء والمتعلمين ان يشتغل بما هو اهم
عليه مما هو مامور به ومسؤول عنه من الاقبال على ربه والاصلاح لنفسه وقلبه وفي ذلك
شغل شاغل عما الهوه هذه وتفقد قلبه وبتسبيحه ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب
ذكرت طلب العلم عند مالك بن انس فقال ان طلبه لحسن لمن اراد به الله ولكن انظر
ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه
شيئا وكان الثوري يقول ليس طلب العلم ... هذا ليس من زاد الاخرة
وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجال وكان يقول لو كان
الشيطان ... حتى عليه ... فهذه نبذة ...
اللائق بها من هذا التنبيه لينتبه بها من يشتغل بها من ... عز وجل ومراجعة
خوف وحذر من التعليم والتعلم ... كلام المؤلف رحمه الله على ... والله
... سواه استعين حتى ... عليك او حججهم ...

مارجع

بارجع الى الله فيك بان كان لا يفقد عليه مصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد
من مصيبتك بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يرجو
الا اياه فانه عليه والعجز لا للاعراض عنهم ولا يلتفت الى المخلوقين في اقبالهم واعراضهم
والمدح والذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى فمن لم ينتفع
نظره الى الخلق انه ينظر الى الله ... وغيبة اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى
ما لم تعدم اقبالهم عليه او توجههم بالذم اليه فلم تجمع الهمة بينه وبين ربه
فان كان هذا تعالى علمه راضيا بفعله كان له عن ذلك اعظم سلوان علما بهونه من جهة
المخلوقين بالحمد والذم فعليه تعالى على ان يكون منهم من اقبال او اعراض او بعد
راضيا ... بذلك اعظم من مصيبتهم بأذى الناس له الا مصيبته
لديه اذى الناس انتبه عنده من عرف الله تعالى وذلك علمه بان ... الله
قال ابراهيم التيمي لبعض اصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون انك مراءي فقال
الان طاب العمل ...
وقال الشيخ ...
انما اجرى الاذى عليهم كي لا تكون ساكنا اليهم اراد ان يزعجك عن كل شيء
حتى لا يشغلك عنه شيء وجود اذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لانه
يمنع اعتقاد ... والاكرام والعبرة والاحترام لذلك ...
السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وحفظ الانس بهم فيتحقق بذلك عبو
دية لربه عز وجل قال سيدي ابو الحسن الشاذلي آذاني الناس مرة فضقت
ذرعا لذلك فنمت فرايت يقال لي من علامة الصديقية كثرة اعدائه ثم لا يبالي بهم وقال
...
غيره ...
ابو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن ...
... اللهم واني اسالك

اعوجاج الخلق عليك حتى لا يكون ملجأك الا اليه وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري
الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد
عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره
وتوكله عليه وحمى سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قال لنا
الشيخ ... الكبير ... بالله تعالى واهل الفضل يخرجون الخلق والعذاب
من القلب تحققا بالله فراى ... في ... المنن ... ان اولياء الله تعالى حكمهم
في بدايتهم ان يسلط عليهم الخلق ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا
ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك
فقد اعتقك من رق احسانه ... من احسن اليك ... معروفا
هكذا ... ولا ... تقدروا ... الطهر ... لتتخلص القلب من رق الاحسان
الخلق ولتتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن اهرب من خير الناس
اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك
ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك
من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم
اذا اقبلوا فتنوا قال ومن تسليط الخلق على اولياء الله في مبدا طريقهم سنة الله
في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن اللهم ان القوم قد قضيت عليهم بالذل
حتى عزوا وقضيت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك
بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه
انوار محبتك قال ومما يدل على ان هذه سنة الله في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا
والاية وقوله اذا استياس الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الاية وقوله اذ يقول ... بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات
الدالة على هذا المعنى وكذلك من استصحب خلالا او سكن مقاما فمن
سنة الله تعالى مع اوليائه تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم
لئلا

لئلا تناله لغيره ولئلا تنفيد بسواه قال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
المقاطع المتخللة السكون الى استحلاء ما يلاقيك به من فنون تقريبك وكانه في
خلال اوقات مناجاتك يناغيك بان يكل الطبيعة بحبيبك وبقربك تحتها خدع
نجابيه ومرادها رفعته السعادة كما شبه بشهود جلاله وجماله بالاشارات
في لطيف احواله وما يخص به من افضاله وافباله واداء الطاعات على وجه الاستحلاء
محدود عنهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر سيدي ابو الحسن
لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام في اول امره وساله عن حاله قال له
اشكوا الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار
فقال الشيخ ابو الحسن اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان
فيه واما شكواك من برد الرضى والتسليم فلم افهمه فقال اخاف ان يشغلني
حلاوتهما عن الله سبحانه وقال سيدي ابو العباس المرسي اللطف محجاب عن
اللطيف يعني السكون اليه والركون به عنده وشرك الفرح به ولذلك قال الشيخ
السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار
فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه
الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا
حتى لا تظله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه الى الله الحق
وقيل في تفسير من اراد تبيانه ولله او انهم ... على ... قال القشيري ... رجالا وان ... الى
رضوان ... اليه وليس من رجالي وان ... من هو ... فليس منه
يدعى ... وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه بينما انا ادور في جبال اللكام اذ رايت شابا
قد احرقته السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال
احذر فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد الى بعض اخوانه
من انس بالله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه
فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما نظر اليه كشف الله ما به من الغمو البلوى

وان اوجعلى يكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبس لباس الطمع فتزداد غيظه
بسببهم مع ضعفاء الرحمة يطمع بهم فتنقطع حيلته بعجز او موت او كمدا او معاد، استعاذ ونحن
نعوذ بالله من الشقاوة بعد ذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن
ناصيتك بيده الشيطان عدو وسلط على الانسان ومقتضى ذلك ان لا توجد منه غفلة
ولا فترة على التربص والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال ابليس
لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده
وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك بكل احوالك
اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتخلص
من كيده قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا
وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق
بهذه الصفات العلية التي هي الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والعمل
والافتقار اليه والاستعاذة به والاستجارة بكنفه لم يكن لعدو الله عليه سلطان
والله حسيبه ومن يحفظه ولولا امداد الله تعالى بالاستعاذة ما استعاذ
ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ به فلا بد منه قال السمرقندي ابو العباس
قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي اعرفوا بهذا الخطاب انهم امروا بعداوة
الشيطان فيشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وموجبها امره اي لكم ان الشيطان
لكم عدو اي ان كان حسبكم ان تشتغلوا بمحبته فكفاكم من ذلك قوله وقال ابو الحسن
رحمه الله وجود الشيطان حتى بجانب والله قد اطلعه فهابه ونفعه
ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يمسح به اقذار
النفوس وهي نسبة الشرور وانواع الفساد والمعاصي اليه او بالحق الله عز وجل
وهذا ستر لما به تعالى من ان تنسب اليه الا ان الشيطان قد ذكره ونحو
وهذا ان عمل الشيطان وما له من حول ولا قوة فهو بها لا ينفع ولا يضر ولا يملك سلطانه
الدار الى ما خلق الله خلقا اهون عليه من ابليس ولولا ان الله عز وجل امره ان النعمة منه

ما نعوذ به منه ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مطاردتك الشيطان فقال ومن الشيطان
نحن قوم صرفنا هممنا الى الله فكفانا ما من دونه وسئل بعضهم عن دفع
ابليس فقال الدفع من الله فمن علامات الاهلية لذلك وعلامات عنوانها
ان غلبتك العادة الجارية سلطنته عليك ومن جوانبها ان يوسوس اليك فان
اهل العلم قالوا ان كل احد من الناس يوسوس اليه هو كلما به مستبطنا فليبد وانصت
والسيد ان قال اخو طودة عليه فلا يعقل الانسان يوسوس واذا ذكر الله خنس
اي تأخر واستتر وقال يحيى بن معاذ الشيطان فارغ وانت مشغول والشيطان يراك
وانت لا تراه والشيطان لا ينساك وانت تنسى نفسك ولد من نفسك عليك
عون وقيل في تعريب وادم من مسكن وعجلا من ابوابه مجرى الدم وانت لا تقاومه
الا بعون الله تعالى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة
الا من عصم الله وفيه يقول القائل
بالله للانسان حيث فاز ان | وعند ما للانسان لاينساني
بالله يسير فنفخ لسانه | وقال ذو الروح والنفس الاكال هو بارك
من حيث لا تراه فالله يراه من حيث لا يراه الله فاستعن بالله عليك وعن ابي
سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس
لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت الارواح فيهم
فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني ه جعلته
لك عدوا وحذرتك منه فبذلك ظهرت نعمتي عليك وقبلت عليه عداوة
الشيطان لك نعمة عظيمة والله عليك ادمن تفطنك بها كما قلنا ان لا يغفل عنك
ان يغفل حقه بان يحرك ويملأ قلبك ويحسدك ويجلب عليك بخيله ورجله
والطاقة تحمل ما لا تلقى بنفسك لا لكن ضعيف وعجز ... الحال الا انه
الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين حتى وجد منك حقيقة الالتجاء اليه
والانتصار به والتوكل عليه بدفعه عنك فجعل الشيطان سببا لذلك

اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حركة النفس عليك بالحمل
على مقارعة الهوى والشهوة بل اجعل همك من الطبع والجبلة نعم عظيمة انظر
وان كان تقاعد الاعداء لكونهم استطالوا فيتوصلون اليك من اهل يعملون فيما تعود
بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتهم وقمع هواك المفتوح بالمعاصي
وجعك لان هواك اقوى منك وليس في هذا الاصول لك معقود عليك بهذا الى دوام
الافعال الذميمة والعكوف بالهم عليه وطول المواظبة حمد الله ما احبه هذه الكلمات
الاربع الاعداء الاربعة المذكورين بقول الشاعر

اني بليت باربع يرمينني ... بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ... يارب انت على الخلاص قدير

وبين كل منها وجود عداوته لهم ووجوب الاحتراز منها وتحصيل الجد في ذلك
العداوة وان عظمت من اعظم ما يسلك الاستشفاء المطالب لكن لا بد بذلك ومنها
لدوام جميع الالطاف بعد محنته وجهده من ربه على عهد وهذا الفصل
واعترف فلو صغر بفضل الفضل والعقل وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه
تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسه
تواضعا فانت المتكبر اعلم ان التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة
اذ لو كان نفسه رفعة لكان ضعة ما هو الضعة ثابتا موجودا ولا تنتفي عن
العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من
العبد الذي ثابتة بنفسه والتواضع الذي ينتفي العبد لنفسه عنه وجود
وجود التكبر بالصورة والنفار بل نفيه التواضع يوذن بذلك لان التواضع
تفاعل من الضعة والتكبر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليس
كذلك كالتباعد والتناكر والتفارح والتغافل وغير ذلك فحقيقة التواضع
لا تقتضي حقيقة الضعة وعدم الرفعة والتلبس من وجود هذا كله والمطلوب
من العبد انما هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهار فقط بل ان ينتفي عنه وجود

الرفعة

الرفعة لا محالة اذ لو كان نفسه رفعة لكان ضعة هلو هو الضعة ثابتا موجودا ولا
تنتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من
العبد لانه ثابت بنفسه والتواضع الذي ينفيه العبد لنفسه عنه وجود التكبر
بالصورة والنفار بل نفيه التواضع يوذن بذلك لان التواضع تفاعل من الضعة
واكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليس كذلك كالتخادع والتناكر
والتفارح والتغافل وغير ذلك فحقيقة التواضع لا تقتضي حقيقة الضعة
وعدم الرفعة والتلبس من وجود هذا كله والمطلوب من العبد انما هو ان
يتصف بذلك حقيقة لا اظهار فقط بل ان ينتفي عنه وجود الرفعة الا كلية
حقيقة بين العبد من التكبر والكبر وجود التقصير ليس المتواضع الذي اذا
تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع
هذا بيان لما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة الذي يثبت التواضع لنفسه
لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلة وصفه انه ما صنعه دون
وهذا هو التواضع الحقيقي وهو مشهوده لذلك ووجده بدون ظهوره ما له
على ظاهره بل بشهوده لذلك ووجده بدون ما يقتضيه حقيقة تواضعه كما قال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوقا خالصا فهو فقير روحه
نفيته وهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من افعال المتواضعين ما شاء
لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا الذي يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة
ذلك الشهود والوجد عليه ما اثبته لنفسه سوره انفسهم فوق ما صنع فما فعل
وجود صفة التواضع لمن محمد فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي يوما
يهمك كلامه في عطلته اليه فوه وقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع
نصيب وقال ابو سليمان الداراني لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه
وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له
فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته

لتبعهم ويرونه قال ابو سليمان ان الله اراني لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كا
تضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال ابو يونس بن عبيد وقد انصرف
من عرفات لم اشك في الرحمة لولا انني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل
ادع الله لنا فبكى وقال ليتني لم اكن سبب هلاككم ومن علامات التحقق
بهذا الخلق ان لا يغضب اذا عيب او تنقص ولا يكره ان يذم ويقذف
بالكبائر ومن علامات فقده ان يشتد حرصه على ان يكون له جاه
وقدر عند الناس ويلتزم الهروب خالد بن [illegible] نفسه من هذا في قلوبهم وهذه
تفتح هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم
نتاجه وحكي عن الحسين بن المكرم انه استضاف الجنيد ان رجلا دعاه ثلاث مرات
الى الطعام ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله
عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد
ثم يدعى فيعود وربما [illegible] فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني
بعد ذلك لاجبتك فقال ابن كلاب المكي حدثنا بعض الصوفية انه [illegible] رجل
وهو يا ابا محمد [illegible] وقال الي [illegible] في الله تعالى فقال اجلس [illegible]
[illegible] فاعطاه في [illegible] فقعد [illegible] فبسط له [illegible] في الجلوس معه
فقال [illegible] الله تعالى الذل [illegible] العارف [illegible] فقال وكل هذا [illegible]
[illegible] من [illegible] واغرب ما [illegible] التواضع ما ذكره
صاحب عوارف المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنا معه
في سفر الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدنيا له طعاما على [illegible] من الاسارى
في القيود [illegible] فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاواني
حتى تفرغ فقال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء
فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى
اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل

بالمنة

بالمنة من التواضع لعظمة الله تعالى والانكسار في نفسه وانه للاحذر من التكبر عليهم بالامر
وعلمه واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب ابو الحسن علي
بن عتيق من [illegible] عن ابيه انه راى الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله بن
عبد الله بن [illegible] من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي في بعض
سكك [illegible] الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق الذي كان عليه قال الراوي
فتركه [illegible] ونزل الشيخ في الطين وترك الكلب يمشي حيث هو قال فلما جاوزه
وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت يا سيدي اني رايتك صنعت الان شيئا
استغربته فكيف رضيت لنفسك بالطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي
فقال [illegible] لما تركت الطريق له تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي
ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب
والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف المقت
من الله تعالى [illegible] رفعت نفسي على من هو خير مني التواضع الحقيقي
هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته [illegible] عظمة الله تعالى
وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي [illegible] ذلك هو نخوة
النفس [illegible] معنى تجلي الله تعالى [illegible] والخضوع [illegible] تنقطع
من النفس [illegible] بظهور العظمة [illegible]
من اعمال [illegible] قال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال الشيخ ابو حامد
[illegible] ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها
شيئا حتى يضعها او يرفعها وقال ذو النون [illegible] التواضع [illegible]
دون الله تعالى وفي كتاب عوارف المعارف [illegible] العبد لا يبلغ حقيقة التوا
ضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي
ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو اثارها
وسكون وهجها وغبارها لا يخرج عن الوصف الا بشهود الوصف هذه عبارة

يلحقه مواصفة لمعنى ما اقتضى الملاو والوصف المذكوران لا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى المومن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا او يشغله حقوق الله عن ان يكون لحظه ذاكرا فشكر النفس روية نفس الافعال الجميلة والاحوال الحميدة التي وقع ثناؤه عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظها هو اعتقاده ان له حقا على ما يفعله من الطاعات وهو مضاد للقبلة وحقوق الله تعالى فالمومن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نفيسة شيء من المحاسن التي هي له ولا يطلب حظا عليه لنفسه بل يشتغل بالثناء على الله تعالى وانه على توفيقه حمده وفي جميع ذلك ليس المحب الذي يرجوا من محبوبه عوضا والطالب منه غرضا فان المحب من يتلف نفسه في محبوبه ليس المحب من يتخذ المحب بذل الدلالة المحب تقتضي من المحب بذل حياته وجزيلا تبيح ذاته لمحبوبه من غير طلب لحظ بل لا تدوم مقتضيات المعاني لوجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل بل يلزمه كل فعل من ذلك غاية الحكم وموافقة المحبوب نهاية السعادة والبخت كما قال ابو حفص عمر بن الفارض

ما لي سوى روحي وباذل روحه
في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني
يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان يدع لمحبوبه ما يتمنوا الا بذله ولا امكنها الا يستعمله والنفس لنفسه ولحظه نفسه الطاهرة ولا يستثني من كل اوامره شيئا لا يستعمله وانشدوا

ليس يقنع العين مني نظرة
دون ان الغا اسقي مقيل

وقال ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببته حتى لا يبقى

لا

اى منك شيء وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه وقال بعض المحبين المحبوبين وكان قد بلغ المجهود في بذل امواله ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من محب خلى بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فاي شيء تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذي هو من لوازم المحبة الحقيقية واما رجاء العوض وطلب الغرض فهو حال من مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة في نفسه قال الشاعر

من لم يكن بك فانيا عن حظه
وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف
لمنال حظ او لحسن ثواب

وقال الاخر

وما انا بالباغي على الحب رشوة
ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

وقال ابو محمد رويم من احب العوض فغرض العوض اليه محبوبه وقيل اوحى الله لعيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وقال بعض المحبين

وكشفت لي اربعين حوراء رايتهن يتماشين في الهوى عليهن ثياب
من ذهب وفضة وجوهر يتبخترن ويتثنين معهن ينظرة اليهن نظرة
محبوبين اربعين يوما قال ثم كشف بعد ذلك
ثمانين حوراء يوصفهن بالحسن والجمال وقيل لي انظر
اليهن فهجرت وغضضت عيني في سجودي انظر
اليهن وقلت اعوذ بك منها سواك لا حاجة
لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن
عني ومن الحكايات ابو نعيم قال قال مسرة الخادم غزونا
في بعض الغزوات فاذا افتى الى جانبي واذا هو مقنع
في الحديد يحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى
الميسرة حتى ثناها وعلى القلب حتى ثناه ثم انشا يقول

احسن بمولاك سعيد ظنا
هذا الذي كنت له تمنا
تنح يا حور الجنان عنا
ما لك قاتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدك اشتقنا
قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل هذا الفتى فقتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب
عليه العدو واذا هو قد حمل على الناس وانشا
يقول

يقول
فدكنت ارجوا ورجائي لم يخب
الا اضيع ايوم كدي والطلب
يا من ملا تلك القصور بالكعب
لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

ثم حمل هذا الفتى فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة
وانشا يقول

يا الجنة الخلد [illegible] ثم اسرعي
ما لك قاتلنا فيكي وارجعي
ثم ارجعي الى الجنان واسرعي
لا تطمعي لا تلعبي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل رحمه الله ولاجل ما ذكرناه من افضل ومقام المحبة في كلية البذل
من المحب لزم وقوع الامتثال وتحمل الطاعات به حتى يصل الى محبته فهو هنا
المقام على التعلم ولهذا قال بعضهم واما يقول حال اهل المحبة الطلب العارفة
والجنة والعمل او غير ذلك افضل الى الرب الا انه قاله من خارجه وهذا انما
يحتاج الى استعمال الخوف ظهور مع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب العدم
وقال بعض العلماء اذا رايتك تحب ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال
بعض الشيوخ من استفاده فخطوات بشيء من المحبة فقال [illegible] هل ابتلاك بحب
سواه فان اثرته عليه فقال لا قال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها احدا حتى يبلوه
وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل اهل الجنة [illegible] يرجوا ان يعفى عنهم ويرحم
لهم الا من [illegible] المعرفة والمحبة فانهم [illegible] بكل شيء [illegible] في كل حركة
وسكون [illegible] فقال ابراهيم ابن ادهم [illegible] مقامات المحبة [illegible]
[illegible]
[illegible]

ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه وهل يستريح المحب الى غير
مشاهدته قد قال بعضهم يا رب تهتك به عبدك جلاد ملاقي المحبوب وعليه كيف اتوا صفوا قال اليهم عن فيضها
د وصبر على البلا يكون كونه متشوقا اليه ما الحبيبين دون غمراته وطارقه محل صادق يطلب لهم بذلك
الشوقية فعلا صحبهم والبعد من المرفوعين فيهم بعير عن خروج منهم خروجا عنها غلامة ان يستتره
شيء من ذلك فلو تهم بادنى ميل او مساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط من مقامهم الرفيع
الى اهل اليمين واهل الدولة لذلك قال ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه حفاظ الحبيب عند الله
تعالى اشد من معاتبة العامة وهو ان يسكن الى غير الله او ينفاس بسوا عميلا وحي الله تعالى الى
داوود عليه السلام يا داوود ان حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري وحي الله تعالى
قال لموسى عليه السلام يا عبد اذ خونك الان جيعا فقال يا رب ومن عبيدك العجب منهم
الذي اذا يمسك بيته ومن احبني بسكن لي به دوبروح علي غضبا غضبا يغضب دهر الموت الدنيئ
الطاهر وهو عسر تخوف ياد ولوا الدنيا والعلوم ضدها مثل الدولة منعجبا الى تلك النجوة
مكتوف ماحتى عوض ذلك الطرح فقال فحصل ما اوحى الله الذي يبني ذلك ان قال لبطال الطريد
استعار نفسك هماسيرو الوطن ذلك رجة الى الله انه يتبع ومن عليك وانما بيان من
النفوس ما تحقق سير السائرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك
ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك المسير الى الله تعالى هو قطع عقبات
النفوس ومحو اكدارها وقمع دواعيها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى تتطهر من ذلك
وتحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء
لم يتحقق السير والسلوك فيه والله تعالى اقرب الى العبد من نفسه والبعد الحقيقي هو المسافة
التي تطويها رحلته والبعد المعنوي وهو القطيعة التي تمحوها وصلته محال لانه
في حقه تعالى لنفي المسافة في الاول وعدم القطيعة في الثانية وهذه الالفاظ
التي عبر عنها المولف رحمه الله تعالى من السير والمسافة وفي الرحلة والوصلة
وبمعناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات عن معاني الى الوجهة
في امور معنوية تجاوزها من امور حسية ومرجع جميع ذلك الى العلوم ومعاملات يتصف بها
العبد لا غير وهذا الكلام الذي ذكره المولف هاهنا وما تقدم له قبله غير ملاحظة من اول التصنيف هي
الحجاب الا انه العبد عن الله تعالى سمي مراه

بمجاهدتها

بمجاهدتها ونصحها ومرتبها انتال سعادة لقاء الله تعالى وهي المعنى قال بعضهم
ما الحياة الا في الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى
الخروج عن النفس وهي اعظم حجاب بينك وبين الله وقال شيخي ابو مدين من لم
يمت لم ير الحق وقال شيخه ابو العباس لا يدخل على الله الا من باب الفنا الاكبر
وهو الموت الطبيعي ومن باب الفنا الذي تعنيه هذه الطائفة وعن حاتم الاصم انه
قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موت احمر
وموت اسود وموت ابيض وموت اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال
اذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على
بعض وقال سهل بن عبد الله النفس سر ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه
الا على فرعون فقال انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع ارضية فكلما
يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفنت النفس تحت الثرى
وصل القلب الى العرش بعضهم اذا اخذ البعث لها ورفعتها وسبيل المريد الى الوصول
الى موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في ان يعينه
ويقويه على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل هذا في كل حال
ووقت وليجعله عمدة تعويل امر سبيله وقد تقدم وكلام المولف ما تقول
مطلب انت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس
وانما يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حد ود الشرع بحيث
والحق يقيم في ظاهره وباطنه والتزام اداب هما ولكل عبد عمل مخصوص فيه
الله حكما مخصوصا بنوع يخصه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس وكيفية
العبودية كما انه في اعماله الظاهرة وبقصوده وهمته وارادته اعماله الباطنة
وكل واحد من القسمين ينبغي ان يا خذ فيه بعزائم الامور ويجتنب الرخص التي
هي من شان العامة والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسي
الادب فتوخر العقوبة عنه فيصل الظاهر اركانها واجبها فليبادر الى بعلمه

ولا ينبو ا ما عنه وليفرغ جميع اوقاته اللازمة له وليتحفظ من ذلك مما يكون منه وبالجملة
اذا عزم في اي رتبة هو وما اشترطنا هذا الشرط الا في المندوبات اللتي تعترضه
يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم فيها فاما يحمل على هذا وفي هذا
ما اليسر به ولا يتبع الهوى الا لموجب العلم ولما خرج في ذلك بالقصد من
غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث عائشة رضي الله عنها انها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وان افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا
وان كان حراما بلينا في تركه واجتنابه وليقطع من نفسه جميع اسبابه وليتحقق
بذلك ما يكون ما يكره منها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد فعليه ان ياخذ
بالعزيمة فيه فيقف على حدود الضرورة منه وليكن اجتنابه لما يشتمل ميل النفس اليه
وتعظم حرصها عليه اكثر من اجتنابه لما يقع منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف
الاشخاص من فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد
بقطع ذلك ـــــ وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة ويستقر على ذلك
حتى يكون رفوبه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقصد لا على سبيل الهوى
والشهوة ومما يشتد ميل النفوس اكثر الناس اليه ما يكون بسببه وتناوله
واستعماله مراعات نظر الخلق والجري على عوايدهم السيئة ومراسمهم المذمومة
ومجاهدة النفس في مثل هذا عسير جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه والرياسة
وقبول الخلق وولاية الحكم او نشر علم او غير ذلك فانه اشد الشهوات علاقة
بالقلب وامرها بالمريد فيجب عليه ان يعتني بذلك ويبالغ في تطهير
باطنه وظاهره منه بما يتبعها من اعمال واحوال وقد نبهت على
هذا المعنى في اول الكتاب وعند قول المولف اد من وجودك في ازمة
الحول فما نبت معالم بدو من لا ينتج نتاجه وينبغي على المريد في ريد
حتى

في رياضته ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه
عن التطلع والتولع في مضاره وجدان شهواته وحسبي
على ذاته وان لا يتبعها ولا يتعلق معها فان في ذلك منشا
كل شر ومنبع كل فساد وضر كما فيه ان السلامة من
سلطانها وجارتها ان لا تنظر على حال تواديها فعليه فيما بينه
وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد ينحرك منه ما
في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق ان يقع به على
شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشر والمحبة
فيتمكن من قلبه ويفسد وينحط قلبه ويختل عليه ذلك
ما كان في امره في سنته مثل ما ذكر في تفسير حواسه وفي تشبيه العلماء رضي الله عنهم
النفس في مثل هذا بدابة واستعملها رجل من ربها وما اكملها التصرف فيها بحاجاته
وكانت دابة جموحة صعبة المرام فجاز بها المستعين في بعض تصرفاته على دار مولاها
فنزعت اليه اراد سيدها بانه لا محالة يحتاج الى صد وعنانها فان تقاعست ضربها
بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب
ومشقة وسبب ذلك انما هو حصوله بها على دار مولاها الذي الفته واعتادته
ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة ما تخاف عنها حتى يم فلت
تجي بها في عتبة الباب وانتهت منه ثم اراد سعطها من الدخول لم تطعه برجه
بل اقتحمت الباب الدار من طوع ما جرحت راسه والمته وسبب ذلك انما هو تمكينها
من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها وكذلك حال النفس ما لم تعطها
هواها بما عرفت نحو هواها وماطها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات
على المريد بانفسه اذ ذاك تكون مخالفة هواه بينة فقد نسيت عوايدها وفترت
عن اسبابها وعوائدها على ذلك تحصيل النظام من التزكية والتحلية والاستغناء والطمانينة
ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعترى شيء من ذلك ما اكثر عليه حاله

والاحتياج من اجل ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة ولن يتم
ذلك الا بالاماتة وقد قالوا ان موت المريد انما هو من شهوته قال الامام ابو القاسم
القشيري في الفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج
منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد وقف
في ابتداء ارادته لا يجيء منه شيء انتهى كلامه في بدايات الامور وهي
التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد
في هذا القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي ويعمل
بالباطن بين جمع حاصله الى امرين احدهما اخلاص التوحيد لله عز وجل
باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله
عز وجل وترك المنازعة والتدبير والاختيار ... وهذا المعنى هو
الذي ضمنه المراد فيما به التشريف اسقاط التدبير فليستشعر المريد على
ذلك ... ما يقصد من رياضته ومجاهدته التوصل الى شيء من الكرامة وخرق العوائد
وانواع الاجابات فان ذلك جفوة ربانية فلا كلام عليه في تحقيق العبودية
قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع
الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة
النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة
او بلية وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي من لم يجد ويرى ان لا يصلح له شيء حتى
يكون الصلة تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية قال
صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل
الشيطان عليه وسول له انواع الهوى واشتمل عليه الغرور والعجب وحدثه
انه حظ على ... خلت البدعة على قوم فدخلوا الخلوة بغير شروطها
واقبلوا على ذكر من الاذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق وصعدوا
الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدتين في
بجمع

بجمع الهم له تأثير في صفاء الباطن مطلقا وكل ما كان من ذلك بحسن سياسة
الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب
والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بما يخلص من الخلوة والتلاوة وغير
ذلك وما كان من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج
صفاء النفس فيستعد به على علوم رياضية كما يتعجب به العلماء ... والدهريون
وعلماء كثير من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المغتر على ذلك يستغويه الشيطان
بما يكتسب من العلوم الرياضية او بما يتراءى له من صور الخواطر وغير ذلك حتى
يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الجنس
من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة
يقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين
بشيء من خرق العادات وصدق الفراسة وتيسير ما يستصعب ... المستقبل ومع ذلك لا يفتح
عليهم ذلك ولا يفرحون في حالهم عدم ذلك وانما يفرحون في حالهم الاعراب عن ... الاستقامة
وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير مصيبة انتقال عن الواجب لهم الى صدق المجاهدة
والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الجميلة وما يفتح من ذلك على من ليس
تحت سياسة الشرع يصير سبب المزيد بعده وغروره وحمله لنفسه واستطالته على
الناس ... رأيه بالخوف ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه ويتعدى الحدود
ولا يكلف والحلال والحرام ويظن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة
الرسل فيتدرج في ذلك الى ... وتزندق ونعوذ بالله من الضلال بعد ... الانوار
حجبات يظنونها انوار ... المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك
انتهى كلامه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق لمعالجة الخلوة على مثل هذه
الاشياء التي ذكرناها منشاهم التوفيق من الله عز وجل ... فضل الله
مزيد ... تتطهر باطنه من جميع الآفات واخلاق ... الصفات
وتسفيل ... سيرته بانواع المكاشفات والملاطفات وقد عبر

الامام ابو القاسم القشيري عن طريق موت النفس بعبارات عجيبة
مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها او
شهود شيء منها ورد ما عراها واعيبها اليها وتشوفها بيرها
عليها وتسليم الامور الى الحق بجملتها والانسلاخ من ارادتها
واختيارها والمحا اثار بشريتها عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل
فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهاذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونها جارية على مقتضى الشريعة
والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد للمريد
في هذه الطريق من شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب
نفسه وتخلص من هواه فيصلح نفسه ويلتزم طاعته والانقياد
اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تاويل ولا تردد
فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي
الثقفي لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوايف الناس
لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مودب ناصح
ومن لم ياخذ ادبه من امر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات
اعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملة وقال شيخ [illegible] ابو
مدين من لم ياخذ الادب من المتادبين افسد من يتبعه قال
المالكي رحمه الله في لطايف المنن انما يكون الاقتداء بولي دلك
الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه فطوى
عنك شهود بشريته في خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك وجود
بك سبيل الرشاد يعرفك رعونات نفسك وكماينها ودفاينها
ويدلك على الجمع على الله عز وجل ويعلمك الفرار عما سوى الله
ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة
نفسك

ذهنك وجودك باحسان الله اليك فيفقدك من حيث اساءات
ذهنك ويعرفك باحسان الله اليك فيبصرك معرفة اساءة نفسك الفرار منها
وعدم الركون اليها ويبصرك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام
بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا
وصفه لقد دللتني على اعزب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين
وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في ايتين
من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء
والخايف الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله
اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت
الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى كلامه
رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من فتح الله وهو نعمة للعبد المريد الصادق
اذا صدق في ارادته وبذل في نيل صحبته مراده فهو استغنا عنه لا لعل ما فسر
يتوهم من اعلى عندكم وعندي ذلك يرفعه الله لا استعمال الادب معه لما اشتهر
من علمه من تشنيع ربيع معرفتنا الا يرى ابو مدين الشيخ من شهرت له ذلك
التقديم وسرى بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وراحك باطرافه وانار
باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في غيبه وقد قال
المرابعة لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت عنه
وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي سرت فيك اشارته
وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه
الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك من نهض بك
حاله شيخك الذي اخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى
شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك

نهض به الى الله فنهض وسار به حتى وصل ولا زال محاذيا
له حتى القاه بين يديه فزج به في نور الحضرة وقال هذا انت
وربك انتهى وآداب المريد مع الشيخ كثيرة مذكورة في كتب
ائمة الصوفية ومن ابلغ ذلك واوجزه ما ذكره الامام ابو القاسم
القشيري قال شرط المريد ان لا يتنفس الا باذن شيخه ومن
خالف شيخه في نفسه سرا او جهرا فسوف يرى غبه من غير
ما يجد سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يشيرون منهم اشد مما
يكابدونه بالجهد واكثر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف
شيخه لا يشم رائحة الصدق فان بدر منه شيء من ذلك فعليه
بسرعة الاعتراف والافصاح عما حصل منه من الحقد والفلتة
والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم
في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه
بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته
فانه المريد عيال شيوخهم وفرض عليهم ان ينفقوا
وقوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى
وقال الشيخ العارف ابو العباس البوني واياك ان تسعى
فعلا بغير اذن لا تنفيه للشيخ طاعة كان او معصية
على اي نوع برز ذلك ولو اختلف عليك الامر مع سماعة
اختلف الخبر العام سماعة في الظاهر ليعلمك المداواة التي
تزعجه فيه ويجعل عنك همته قال ولقد رايت
تلميذا اوجعه شيخه الامام تاج العارفين
ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه الله
وكنت جالسا عنده فدخل عليه وحياه فلم

جعل

فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاء فما اصنعها فما اصنع بها
فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاء
يعلم بها فقال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح
ابدا فاذا جوهرة النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه
المقاتلات رجعت عن مالوفاتها الدنية وعاداتها الردية وزال
عنها النفور والاستكبار وذلت لمولاها بالعبودية والافتقار
وزكت اعمالها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي
خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما الفت
سوى هذه لعرض طابها من الركون الى هذا العالم الادنى
والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما
خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها وابداتها
فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصمت والى طبعها الاعلى
بالعبة العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة
لان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ العارف
ابو محمد عبد العزيز المهدوي النفس المطمئنة هي التي تخلصت
من السوى ولم يبق بينها وبين السوى نسبة وكانت مباديها
في الاكتساب ولا يمان والرضى المكتسب فلما صفت وتطهرت
من جهة المالوفات وزال الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت
النداء من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت المواهب
والرضى الوصفي الموهبي الذي قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا
عنه فقد خلت في رضى الله المطلق الموهب وفي عباده وجنته
لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى م وعلامة وصول

المريد الى هذا المقام الحميد ان يستوي عنده الاحوال ولا يتاثر باطنه
بما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة
حقيقة الكمال قال ابو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه
في اربعة اشياء المنع والعطا والعز والذل وقال محمد بن خفيف قدم
علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه
واخذ منه الطست طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك
الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال
كقوله رحمك الله وحكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال ما
سررت في الاسلام الا مرات معدودات كنت في مركب يوما
وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس
وكان يقول الحق رقنا في معركة الترك علجا فقلت هكذا
وكان ياخذ بلحيتي ويمر به على حلقه هكذا والناس يضحكون
منه ولم يكن في ذلك المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر
فسررت بذلك ويوم اخر كنت جالسا فجا انسان فصفعني
من غير سبب ويوم اخر جا انسان وبال علي وكان في وقت
حاتم الاصم رجل يسيء القول فيه وفي اصحابه ويواجههم كل
يوم بالقبيح فوقع جذع من السقف في بعض الايام في حال مواجهة
مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا
خلاف ما امرتنا به فقال ما حمدت الله شماتة بموته بل حمدت
الله اذ لم اسر بكثيد هذا واشباهه من احوالهم معلوم ضرورة
وابلغ من ذلك محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا شوقا الى
لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء
الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها

فإذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه
ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر
لك الدهر طوع والانام عبيد • فعش كل يوم من زمانك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه
بدا لك سر طال عنك اكتتامه • ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت • على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه • شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها • وزال عن القلب المعنى غرامه
وانشد واحد في معناه ايضا
قولي لآمالي الا فابعدي • قد انجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستانسا • منك بخل مشفق مسعدي
واذ نسيم الوصل من نحوهم • هب فلي عندك ظل ندي
وحيث لاحت لي اعلامهم • فليس لي نظر الى مرشدي
وان لم يجد هاذه في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا
يغتر بما يتراءى له من سني حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل
له من هوى نفسه فقد وليقصر طريق النفس بقطع جميع الارفاق مرت
عنها وردها الى الاجتزاء بالخشن والغالة والمبالغة في التقشف
والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهممه وقصوده
واراداته وترك الالتفات الى ما يجده منها ويجعل ذلك كله
علوا وبدعة وقد غلط في ذلك طوايف من الناس عملوا عليه
في رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية
لربهم فاداهم ذلك الى اختلال عقولهم واختلال قوى ابدانهم ولم

يحصلوا من امرهم على فايدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان
عليه سلفها الاجلة جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته
ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي
عليك اصداف مكوناته خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم
واتم تسوية وتعديل وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات
علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار في الكون روحانيا جسمانيا
ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر في
معنى جعله في العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت
وعالم الملك وهو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا
جرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نسخة جميع
الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها
باعتبار احاطتها به وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي
يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي
تحويها الصدفة والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة قدره
ونفاسة امره فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللايقة به
وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما
سواه وينظر هذا المعنى الى ما قال الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة • وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فهبك التاني في الحضيض مثبطا • مقيما مع الاسرا اما حاز اسراكا

ونزل ارواحا لذاتك ورواحا
ونكتب من السر المصون سريرة

قال الشيخ ابو العباس المرسي الاكوان كلها عبيد مسخرات
وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم
انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض الاخبار عن الله عز وجل
يا ابن ادم خلقت الاشياء كلها من اجلك وخلقتك من اجلي

فلا

فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال الواسطي في معنى قوله
تعالى ولقد كرمنا بني ادم بان سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا
في تسخير شيء ويتفرغوا الى عبادة ربهم وسعك الكون
من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك انما
وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة
ووسعه لك بما عنيا وما فيه انما هو باكتفايك به وقضا اوطارك
منه ووجود املك في نيل حاجاتك عليه ولا خاصية لك في
هذا ايها الانسان لان مرتبتك اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث
ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك
الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك التي بها سموك وعلوك
ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى اسفل سافلين
قال ابو عبد الله بن الجلا من علت همته على الاكوان وصل
الى مكونها ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق لانه اعز
من ان يرضى معه بشريك وسئل احمد بن حضرويه اي الاعمال افضل
فقال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله الكاين
في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور
في هيكل ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصرت همته عليه ولم يفتح
له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سره الى فضا مشاهدة الوحدانية
فهو مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته وهذه هي صفة
اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها وليس في
جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال
تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو
حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كاينا ما كان وفي بعض الاثار

المروية عن الله تعالى عبدي اجعلني مكان همك اكفك كل هم
ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل القرب فاختر
لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت
الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان وكون الاكوان معك
فان كونك مع الاكوان يقتضي تقييدك بها وحاجتك اليها فانت بذلك
عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك احوج ما تكون اليها وهذه
همة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان
معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فانت حينئذ حر عنها
وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات
قال الشبلي ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون وهذه
حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ
انا ادخل السوق والاشيا. مشتاقة الي وانا عن جميعها حر وحكى
المزين الكبير قال كنت مع ابراهيم الخواص في بعض اسفاره فاذا عقرب
تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شيء
مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شيء. وقال محمد بن المبارك الصوري
رحمه الله كنت مع ابراهيم بن ادهم في طريق بيت المقدس فنزلنا
في وقت القايلة تحت شجرة رمان وصلينا ركعات فسمعت
صوتا من اصل الرمان يا ابا اسحاق اكرمنا بان تاكل منا شيئا فطاطا
ابراهيم راسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا
اليه ليتناول منا شيئا فقلت يا ابا اسحاق لقد سمعت فقام
واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وفي
هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم
كل عام مرة فعلت وانبعثت وحلا رمانها وصارت تطعم في

عام مرتين

كل عام مرتين وكانت السباع تاتي الى سهل بن عبد الله
فيدخلهم الى بيت عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم
وقال ابراهيم الخواص كنت في البادية فسرت في وسط
النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء. فنزلت فاذا انا بسبع
عظيم قد اقبل فلما قرب مني اذا هو يعرج فحمحم وبرك بين
يدي فوضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة
فيها قيح ودم فاخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه
القيح وشددت عليه خرقة فمضى فاذا به قد جاء ومعه
شبلان يبصبصان وحملا الي رغيفا وقال بعضهم اشرفت
على ابراهيم بن ادهم وهو ببستان يحفظه وقد اخذه النوم
واذا حية في فمها طاقة نرجس تروحه بها وذكر ابن اسحاق
الصعلوكي رحمه الله تعالى قال خرجت مرة الى الحج فبينما
انا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل وكانت ليلة قمراء
سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحاق وقد انتظرتك
والغداة قال فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف
قد اشرف على الموت ومعه رياحين كثيرة منها ما عرفته
ومنها ما لم اعرف فقلت من اين انت فقال من مدينة
اشمشاط وكنت في عز ونعمة فطالبتني نفسي بالعزلة
فخرجت وقد اشرفت على الموت فسالت الله تعالى
ان يبعث لي وليا من اوليائه فارجوا انك هو قال فقلت الك والدان
قال نعم واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم
والى ذكرهم فقال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم فاجتمعت
السباع والبهائم وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين

فبينا انا في تلك الحال يعرق لي قلبي اذا بحية اقبلت في فيها طاقة
نرجس فقالت كف شرك عنه فان الله يغار على اوليائه قال
فغشي علي فما افقت حتى خرجت نفسه ثم وقع علي
سبات فانتبهت واني على الجادة قال فدخلت مدينة
شميساط بعد ما حججت فاستقبلتني امراة بيدها
كوز فما رايت اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت يا ابا
اسحاق كيف رايت الشاب فاني انتظرتك منذ ثلاث فذكرت
لها القصة الى ان قلت فالتقطت ان اشمهم فصاحت وقالت
ان بلغ الشيخ وخرجت نفسها فخرج اتراب لها عليهن
المرقعات والفوط فتكفلن امرها وتولين شانها رضي الله
عنهم فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة ثم
والنية لا يساكن احدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على
شيء من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بامره ويجعل الكون
خادما له باسره رزقنا الله واياكم ما رزقهم ووفقنا لما وفقهم
لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل
الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق وليست
منه تارة تشرق شموس اوصافه في ليل وجودك وتارة
يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك وتارة يقبض
ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار ليس منك
اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم
منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري امر ذاتي لازم
للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها
وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام ذلك الوصف على العبد

فقط

فقط لاجل الوارد الغالب فان فقد ذهاب هذا الوارد الغالب بقي
وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد اسيرا في يديه ومثال ذلك
من المحسوسات اشراق شمس النهار على الافاق المظلمة ليزيل
اثار ظلمتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس
رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس بذاتي لها وهو
معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي ما
يخص الحق تعالى به اولياءه من ظهور اوصافه العلية ونعوته
القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصافهم ونعوتهم الدنية الردية
عليهم لئلا تظهر اثارها وراثتها في صفاتهم او ذاتهم كما تقدم من
قوله اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك
بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم ذهبت ظلمات ت
نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم
ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك وان غابت عنهم
تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا الوقوف على حدهم
وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك والقصد
من هذا الرد على طوايف غلطت في هذا الامر وتغالت وزعمت
ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم اوصاف
البشرية وزوالها بالكلية والتصاف بصفات الربوبية بدلا منها
وفسرت بهذا ما عبرت به المشايخ الفنا والبقا فوقعوا من ذلك
في ضلال وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك
انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هاهنا دل بوجود اثاره
على وجود اسمايه وبوجود اسمايه على ثبوت اوصافه وبوجود
اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه

فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذات الله ثم يردهم الى شهود
صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود
صفاته اثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين
بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن
لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا
في تدليه هم عباد الله المخصوصين بالقرب منه والوصول اليه
ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين
الاستدلال بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا
الا راينا الله بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشيا
وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا وراينا الله قبله ولا شك ان
الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الاثار
وهي الافعال فاستدلوا بها على الاسما وبالاسما على الصفات
وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود
من اسفل الى اعلا واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال
الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم
رجعوا الى التعلق بالاسما ثم انزلوا الى شهود الاثار فكان
حالهم التدلي والتنزل من الاعلا الى اسفل في بداية الامر والسا
لكون من شهود الاثار اليه انتهاء بالمجذوبين وما ابتدى به
المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين
لا بمعنى واحد فان مراد السالكين شهود الاشيا لله والمراد
بالمجذوبين شهود الاشيا بالله فالسالكون عاملون على تحقيق
الفنا والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقا والصحو ولما
كان شان الفريقين التنزل في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما

في

في طريق سيرهما السالك مترق والمجذوب متدل لا يعلم قدر
انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار
السماء الا في شهادة الملك انوار القلوب والاسرار المشرقة
عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب
الملكوت وهو عالم الاخرة وهناك يحصل لهم تمام هذه الانوار
فمن امن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما ان انوار السماء
المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك
وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشيا
وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير العاملين بوجود
الجزاء عليها اجلا ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في
اعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس
ولذة القرب ولطيف الوصل بشاير من الله عاجلة بوجود
الجزاء عليها في الدار الاخرة بانها مقبولة عند الله تعالى وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا
فهو دليل على وجود القبول كيف تطلب العوض على عمل
هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزاء على صدق
هو مهديه اليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء
عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك
منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية
المطلوبة منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مسلو بة
عنك منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عايد ثمرة ذلك
ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها
ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهداء تنبيها على اخراجك لها

يكن الا لمنفعتك بطلب العوض والجزاء اذا على عملك هذا صفته
في غاية القبح ولذلك صرح المؤلف بكلامه بكيف لا يحجبك من ذلك الوصف قال
الواسطي مطالبة الاعواض على الطاعات نسيان الفضل وسبيل ابو العباس بن
عطا من افرع شي الى معرفة الله تعالى فالعبودية النفس وابعدها واشد من ذلك
مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال المؤلف لفظ الصدق في الاعمال الظاهرة
ولفظ الهمة في الصدق وعليه مدار الاعمال الباطنة اشعارا بتباينهما في
الشرف كتباين الصدق والهمة **قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق
اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر مستنير قلبه فكان ذاكرا**
فسبقية الاذكار للانوار حال المريدين السالكين وذلك لان نشاتهم المجاهدة
والمكابدة فهم ياتون بالاذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليصلح لهم بذلك
زوايد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المريدين المجذوبين لانهم مقامون
في السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف
ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه ابي العباس المرسي قال الناس على
قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعته وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله
قال الله سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ
هذا ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فجار يطوي مهامه نفسه
وبيداء طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجاته عناية الله من غير طلب
ولا استعداد وشاهد ذلك قوله يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين
والثاني حال المجذوبين فمن كان مبداه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان
مبداه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظن ان المجذوب لا طريق له بل له
طريق طوتها عناية الله تعالى به فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا

ما يسمع

ما يسمع عنه من احتجاجات المنتسبين للطريق ان السلوك اتم
من المجذوب لان السالك عرف طريقا يهتدي بها الى الوصول اليه والمجذوب
ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب لا طريق له وليس الامر كما
زعموا فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له
الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاتته متاعبها وطول امدها والمجذوب
من طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على اكوار المطايا
انتهى ما ذكره في حال المجذوب والسلوك وهو حسن فلا يوجد
لغيره بل هذا الدر ودرته هاهنا بكماله **ما كان ظاهر ذكر
ناشئ باطن شهود وفكر** اعمال الظاهر تكون تبعا لما يكون في
الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر
ظهر في شهادة الظواهر والذكر الظاهر للعامة ثمرة باطن الشهود والفكر
ثم بين هذا المعنى بقوله **اشهدك من قبل ان يستشهدك فنطقت بالهيته
الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر** كما اشهد الله القلوب والاسرار
في غيب الغيب فعرفوا بوحدانيته واقروا بربوبيته فلما اشهد هذا الكون
اضمحلت وتمكنت وتلاشت فتحققت بذلك احديته فلما اظهرها
في عالم الشهادة متلبسة بالاجسام والهياكل طلب منها الشهادة
له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها
فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود هنا
لما استشهدت اشهدت به فالعبد من حيث سره وقلبه
موصوف بالجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا
الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا
تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال
الجنيد في معنى الجمع والتفرقة

تحققتك في سري فناجاك لساني
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني

وقد ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان قربه بالوجد
جمع وغيبته في البشرية تفرقة اكرمك بكرامات ثلاث
جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان
ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك
فتمم نعمته عليك اكرم الله عبده المومن بثلاث كرامات
جمع له فيها كل الفخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان
اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له ذلك لولا وسيلة
ناله لولا فضل الله وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا
عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك بما اكرمه الله به من
تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية
ثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام
ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل
معناه ذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد الله وفي حديث ابي بن
كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقرا عليك
القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم
فقرا عليه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
وفي حديث ابي حبة البدري قال لما نزلت لم يكن الذين
الى اخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يامرك ان
تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان

جبريل

جبريل عليه السلام امرني ان اقرئك هذه السورة قال
ابي اوقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي
وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني
في ملإ ذكرته في ملإ خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت منه
ذراعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد
يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس
قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة
وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده
قال يحيى بن معاذ يا غفول يا جهول لو سمعت
صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا
رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة
امداده الامداد الالهية التي يمن بها على عباده المومنين زيادة في
ايمانهم وتقوية لايقانهم لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك
ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم
بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف هذه باختلاف
تركيب خلقهم ومجبول فطرتهم ولا مدخل للزمان
في هذا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة على سائر الامم
على قصر اعمارهم وطول اعمار غيرهم قال احمد بن ابي
الحواري قلت لابي سليمان الداراني قد
غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قلت بثمانمائة سنة
حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا والاوتار
قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله ما

يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا
الا صدق النية فيما عندنا لهذا اذا صرف في عشرة ايام نال ما
نال الخلق في عمره **سر بورك له في عمره ادرك في يسير
من العمر من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا
تلحقه الاشارة** البركة في العمر ان يرزق العبد الفطنة واليقظة
ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية
فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك
مجهوده بالكلية وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالاهية وتشرق
عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي
الاشارة اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيتفق له
في شهر مثلا ما لا يتفق لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة
القدر العمل فيها لمن صادفها خير من الف شهر العمل
في الف شهر قال بعض العلماء
كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر قال سيدي ابو العباس
وكان يقول اوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو
البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل في هذا المعنى في تاويل ما
روي في الخبر الذي يزيد في العمر **الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل
ثم لا تتوجه اليه وتقل عوايقك ثم لا ترحل اليه** من الخذلان ان تصدك
العوايق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب
عليك ان تبادر الى ما ذكر وترمي بالعوايق والشواغل خلف
ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا
ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال
الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك

الاعمال

الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زال عنك
شواغلك وقلت عوايقك ثم قعد عن التوجه والرحيل فهو
الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام
ابو القاسم القشيري رحمه الله فراغ القلب من الاشغال نعمة عظيمة
فاذا كفر العبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر
في قياد الشهوة شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من
صفاء قلبه **الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار**
الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها هو سير القلب في ميادين الاغيار
فقط وهي مخلوقات الله ومصنوعاته واما الفكر في ذات الله تعالى
فلا سبيل اليها بحيث يتفكرون في آلائه ولا يتفكرون
في ماهية ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابصر قوما فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق فانكم
لا تقدروا قدره وقال الامام ابو القاسم القشيري في التفكر نعت كل طالب وثمرته
الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر عن الشوايب ورد صاحبه على مناهل
التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها
فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب
فيزدادوا نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الالاء والنعماء
فيزدادون محبة للحق سبحانه وقال بعضهم اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سراج القلب
ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر **الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت
فلا اضاءة له** القلب الخالي من الفكرة خالي من النور مظلم بوجود الجهل والغرور
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة
يدخل بها ميدان فكرة **الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان**

وبكرة شهود وعيان فالاول لارباب الاعتبار والثانية لارباب
الشهود والاستبصار تقدم ان البكرة سير القلب في ميادين الاغيار
وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهي
بكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو
نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لارباب الشهود والاستبصار وبكرتهم
ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال
تدليهم وهو نعت المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد
تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك وقال
رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه هذا الكتاب
تضمن ذكر حال السالك من اول ابتداء سيره الى نهايته ووصوله وحصوله
في مستقره وذكر آداب السلوك والوصول وقد اتى رحمه
الله في ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة
على طريقة مرضية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام
بها عقله ولبه وما ذاك الا لما علاها من انوار قلب المتكلم وقد قال
فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز اما بعد
فان البدايات مجلات النهايات المجلات محال التجلي
والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له ما في نهايته وان من
كانت الى الله بدايته كانت اليه نهايته هذا
بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان تكون مجاهداته ومكابداته
وانواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع
اليه فيما يصح له وينبغي في توجهه وسلوكه كما
تقدم عند قوله ما توقف مطلب انت طالبه
بربك ومعنى كون انتهائه الى الله ان لا ينكشف له انوار الله

تعلى

تعلى بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو الاول والآخر والظاهر
والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه
وتفككه واضمحلاله قال الله تعلى بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولما صحت تلك البداية
للمريد بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى في قوله من
علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات والمشتغل
به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر
عليه المشتغل به المريد السالك انما هو عمله على التقرب من ربه
والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته وسارعت
اجابة دعوته فيحق عليك ان تشتغل به كل الشغل لتكون
قريبا من ربك والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومراداتك
الزائلة وهو الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له
فلتطب عنه نفسا ولا تعول فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام
تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال
الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي سمعت عبد الله بن اسحاق الغافقي يقول ما انتفعت
الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجذوب
او مجنون ثم قلت له يا هذا اتسف التراب قال فقال يا اترابي هو ثم نازلني بما شككت
انه سويق او نبيذ انا اشك ايهما قال فقلت زدني لله وجثوت على ركبتي وقلت ادع
الله لي قال لي عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك وان من ايقن ان الله يطلب
صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه
عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما رزقه
من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق العبد في طلبه
واجتهاده اذا ايقن ان ذلك في الامور كلها بيد الله تعلى ومن ذلك سعيه وكدحه

فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه ويستريح امره اذا علم ذلك فالقسم الاول قيام
بمقتضى الشهوة والقسم الثاني وفاء بحق الحق وانه لابد لتبدل هذا الرجوع ان
يتقدم ما عليه وان تشبث كراهيته ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يجده في
حال سلوكه من حظوظه في شهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لابد ان تزال عنه او يزال عنها
ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل امره الى ذلك ويكون طيب النفس
وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح
منه بما يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره فرح العبد بالاشياء الفانية هو
موجب للزيادة في همه وغمه انما فقدها قال سهل بن عبد الله من فرح بغير مفروح
فقد استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل
ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح في الحقيقة بحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون
فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى قد اشرق نور الحق في قلبه وظهرت تباشيره على وجهه
واشراق ظهور التباشير نتائج تحققه في مقام الزهد فصرف عن هذه الدار مغضيا
واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا فلما كان العبد على هذا
الوصف صرف عن هذه الدار الدنيا وبنية اي مال عنها مغضيا جفنه عن قذاتها
من غير مبالات بذلك معرضا عنها بوجه قلبه فقد ولاها دبره من غير التفات اليها
وهذه المبالغة في تبعدها واطراحها فلم يوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها ولا استشار
ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها ولا ايثار بل نزلها منزلة السجن والمضيق
ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه
بالزهد في الامور الفانية التي هي بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه
وصفائه ما حمله على التعلق بجانب الباقي الدائم فجعل دنياه هجرا يهجر اليه كما سيقوله
المؤلف رحمه الله بل انهض الهمة فيها الى الله وطار فيها مستعينا به في
القدوم عليه هذا ايضا سفر بقلبه الى الحضرة العلية وبعدما انهض
الهمة التي هي لا استعانة به في القدوم عليه وهو اساس امره كما تقدم قال الناظم

اذا لم يحنك

اذا لم يحنك الله فيما تريده فليس لمخلوق اليه سبيل وان
هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو ان السماك دليل قال
ابو محمد الجريري من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى مأموله الاعلى
والادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي
احدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف يوصل الى مأمول ومن صح
اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول فما زالت مطية
عزمه لا يقر قرارها دائما مسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس
وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة
والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها
ياوون وفيها يسكنون هذه استعارات مليحة استعملها في سفر
القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع حط
الرحال وبلوغ الاوطار والامال من قبل ان السالك تمحى عنه رسوم بشريته
وتبطل احكام انيته وينكشف له ادراك اوصاف معروفه العلية
كراي المعين ويكون سره مع الله بلا اين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية
ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وقبول
من جميع السادات الاشراف وهي معاني هذه الالفاظ الستة التي
ذكرها المؤلف ولا تعرف الا بالذوق كذلك التفرقة بين معانيها
جميعها الفها السائرون عصي سيرهم واحمدوا عاقبة امرهم وصارت
حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فحفها بهم وايا
بهم الى ظلها ياوون اذ اصلي غيرهم بنيران هواه وهيج ان المقام
فيها يسكنون حين نزح سواهم عن متعة دنياه وهاهنا
حصل لهم التحقيق بمقام الفنا والصحو وهذا هو انتهاء

سفرهم بمعنى الصعود والترقي فإن نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين
ولم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى
الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله
ومن الله والى الله هذا هو سفر التدلي والنزول وبه يتحققون
بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم الى
سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم بما امرهم به او نهاهم
هم عنه ليقوموا بذلك فعلا او تركا او الى ارض الحظوظ
وهي حظوظ نفوسهم التي تلابسهم ويحصل لهم
الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن والتمكين
والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك انهم دخلوا في ذلك بمراد
الله تعالى لا بمراد انفسهم ويحصل الاذن من الله تعالى
بما يشرق في قلوبهم من النور الذي يجعله الله علامة
على ذلك وقد ذكره سيدي ابو الحسن في بعض كلامه
قال ومعنى الاذن في حق الولي نور ينبسط على القلب بخلقة
الله تعالى فيه وعليه فيمتد ذلك النور على الشيء الذي
يريده فيدركه نور مع نور او ظلمة تحت ذلك تمنعك
ان تاخذ شيئا او تترك او تتكلم او تعتبر او تعطي او تمنع او
تقوم او تجلس او تسافر او تقيم هذا باب المباح المأذون
فيه بالتخيير فان قارنه القول تاكد الفعل المباح بمراد الله
تعالى فان قارنته نية صحيحة لفعله زال عنه حكم المباح
وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب
فلا يخلو ان يلوح عليه لائح الغضب بانقباض القلب

فاحذر

فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور او يكاد ولا يقطع
ذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او سنة او اجماع او
خلاف لمقلد قلدته كمالك والشافعي او غيرهما
من العلماء الراسخين فاحكم اذا على اصل صحيح وان
تكن الظلمة تشبه غيما لا يتصدع معه القلب
ولا يتفرغ به الذهن فهذا عفو عنه فانه يكاد يكون
مكروها ولا تحكم بعقلك ورايك فقد ضل في
ههنا خلق كثير ولا تفت احدا وان استفتاك
واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم
فان تاديت ههنا فعن قريب ياتيك البينة من ربك
والشاهد يتلوها منك انتهى كلام سيدي ابي
الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف ~~بل ابقى الامر~~
رحمه الله الا ما فيه من التفصيل لم يتعرض
له المؤلف بل ابقى الامر في ذلك مجملا كما ترى
وتحريره فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم
ينزلوا فيها بسوء الادب ولا غفلة وهو ان لا يشهدوا
قيامهم بها من انفسهم او يطلبوا ثوابا عليها
من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة
غالبة قاهرة لهم ولا متعة يقصدون الى نيلها
في دنياهم بل دخلوا في ذلك بالله مستعينين ولله
عابدين ومن الله اخذين والى الله متوسلين فقد تولى
الله تعالى ادخالهم في الاشياء واخراجهم
منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية

نفوسهم لهم وصاروا احرارا كراما وقال رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ولكن نظري الى حولك وقوتك
اذا ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني
ـــ المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد
عبر بهاتين العبارتين عن السفرين المذكورين فالمدخل
هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حال
السفرين المذكورين فالمدخل الى فنايه عن روية
غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة
لفايدة الارشاد والهداية في حال بقايه بربه
وتحققه في هذين المقامين اعني مقام الفنا والبقا هو
معنى صدقه في مدخله ومخرجه وانما طلب هذا
ليحصل له ذهابه عن روية نفسه في النسبة والوقوف
مع الحظ في المدخل بشاهدة الله وقوته فينتفي
عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج يسلم لربه
وينقاد اليه فينتفي عنه بذلك مراعاة حظه واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني ويتمم علي نعمتي على شهود
نفسي ويفنيني عن دايرة حسي طلب من الله تعالى النصرة
له ليستقيم امره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله
فالنصرة له هي ملاك ارباب البدايات من السالكين
اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس وعود
واعي الهوى والحس والنصرة به هي مقتضى حال
ارباب النهايات من المحققين اذ بذلك تحصل لهم
مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد

من القسمين

من القسمين نصرة على مشهود النفس وفناء عن
دايرة النفس والحس واخراج النصرة عليه من السوال
والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو
غلبة احكام نفسه وبقاوه مع دايرة حسه وقال
رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه ان كان تصير القلب
تنظر الى الله واحدا في منته والشريعة تقتضي ان لابد من شكر ان
خليقته اذا وصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان
سواء كانت دنيوية او اخروية فعليك في ذلك وضيفتان
احداهما ان تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا
تنسب النعمة الا منه وحده وترى من سواه من اجراها
على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه
الدواعي والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا
هو حق التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت اليك
على يديه بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر
الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله
تعالى ان اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان
بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم
يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر
الله وفي حديث اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس
وان الله تعالى اختصك بان اقامه في ذلك
واهله له ومن اسمايه الشكور فليتخلق العبد
بذلك وهذا هو حق الشرع وان الناس في ذلك

على ثلاثة اقسام غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه
وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده
من رب العالمين اما اعتقادا
فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي
هذا بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التو
حيد ورؤية الوسايط والعبيد فبدا بذكر عامة ال
الناس وهم الغافلون المنهمكون في غفلتهم اصحاب
الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم
ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم
ولم يحلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين
فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه
من رب العالمين فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه
ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين احدهما
ان يعتقدوا ذلك اعتقادا بقلوبهم انه منهم ومن
قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن
دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني
ان يحصل ذلك منهم استنادا اي اعتمادا على غير
الله وسكونا الى سواه مع سلامة صدرهم وهذا هو
الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان
ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك
جليه وخفيه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود
الملك الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب
فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها

سالك

سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار
ومطموس الاثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على
حضوره هذه احوال الخاصة من ارباب الحقائق وهم
الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يبق
لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب
برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم
مواجهون بحقيقة الحق ظاهرا عليهم سناها
اي نورها وضياؤها سالكون لطريقة الحق قد
استولوا على مداها اي وصلوا الى غايتها [illegible]
ومنتهاها الا انهم غرقوا في بحار انوار التوحيد
مطموس عليهم آثار الوسايط والعبيد اي محق
عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم
وهو عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو
وجود احساسهم بها وجمعهم وهو شهود
الحق فردا على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق
وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق
على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو
ذهاب احوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق
ومعاني هذه الالفاظ كما تراها متقاربة
وهي الفاظ تداولها الصوفية المحققون فيما
بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على
معان اختصوا بها وبفهمها لينتفع بعضهم
من بعض بما ينطقون به ولهم الفاظ كثيرة

غيرها وكان المؤلف رحمه الله اراد ان لا يخلوا
كتابه عن ذكر شيء منها واكمل صفة عبد شرب فازداد
صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقة ولا
فرقة يحجبه عن جمعه ولا فناؤه عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن
فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه هذا هو حال
خاصة الخاصة الذين حازوا رتبة الاكملية وهم قوم
شربوا كؤوس التوحيد فازداد صحوهم وغابوا عن
الاغيار فازداد حضورهم فقد ملكوا الاحوال
وتمكنوا في مقامات التوحيد الرجال فلم يغيبهم
محو ولا طمس ولم يحجبهم شيء عن شيء بل وفوا حقوق
جميع المراتب واعطوها ما لها من قسط واجب
وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه
هي صفة الصديق رضي الله عنه في القصة التي
نذكرها الان وقد قال ابو بكر الصديق لعايشة لما نزلت براءتها
من رابها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة اشكري
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله فاهب
ابو بكر رضي الله عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي
لاثبات الاثار وقد قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك
وقال صلوات الله عليه وسلامه لا يشكر
الله من لا يشكر الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة
عن شاهدها غايبة عن الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار
هذا مثال هذين القسمين وقد اشبع المؤلف
رحمه الله الكلام فيه والمعنى في ذلك بين

لا حاجة

لا حاجة بنا الى مزيد تنبيه الا قوله وكانت هي
في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها اي مقتطعة
عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفية
عن احساسها الكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل
القهر وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في
ذلك الوقت اشعار بان ذلك لم يكن حالا لازما
في جميع اوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص
وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها
رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كما هو حال
ابيها رضي الله عنهما وذلك معلوم من
اخبارها وسيرها وقال رضي الله عنه لما سيل
عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني
في الصلاة هل ذلك خاص به ام لغيره منه
شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على قدر
المعرفة بالمشهود فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس
معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا
ان قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده لانه
قد اشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات
الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على
هذا المقام ويامر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله
كانك تراه ومحال ان يراه ويشهد معه سواه قال له القايل
قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من

الله وبارزة من منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف
لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
اعلم ان الاية قد اومات بالجواب لمن تفهم سر الخطاب اذ قال
فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح
يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل
كما قال في اية اخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الصلاة
هي اجل ما يتحف الله به عباده ويهدي به
اليهم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما اوتي عبد في الدنيا من ان
يؤذن له في ركعتين يصليهما فيفهما فيحصل
له الخلوة معه والانفراد والمجالسة له والانقطاع
اليه وفيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والاستار
وتتجلى فيها حقائق الاسرار وتشرق فيها
شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمواصلة
كما تقدم وهي صلة بين العبد وبين
ربه قال محمد بن علي الترمذي الصلاة عماد الدين
واول شيء فرضه الله على المسلمين الصلاة [illegible]
اقبل الله على العبيد ليقبلوا اليه في صورة العبيد
تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا وتخشعا
وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم
والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود
تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فاذا اقبل

العبيد

العبيد بهذه الصورة الى الله ليقبل الله عليهم
بالترحم والتعطف والتفضل والتكرم والتقرب فليس
شيء من امر الدين اعظم من هذا ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين
وقال في حديث اخر الصلاة نور وقال ان الله مقبلا
على العبد بوجهه ما دام في صلاته وان الله لينصب
الى احدكم وجهه ما دام مقبلا عليه انتهى ولاجل
هذه الفوائد كانت الصلاة تفرج ذوي الفاقات والضرورات
من ارباب القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب ويسلون
بها عن كل محبوب قال الله تعالى وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك
الاية فواجب اذا ان تكون قرة عين عباد الله فيها وبها
وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال التنعيم واللذة
التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها تختلف
باختلاف احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن
عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملايمته وموافقته في
شهود التوحيد وكمال التجريد المشار اليه في قوله صلى
الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المولف رحمه الله وفيما
روي عن عبد الله بن عمر في قوله لعروة بن الزبير انا كنا نتراءا
الله بين اعيننا وكان هذا المخاطب اليه عروة بن الزبير
ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه عمر ولم يرجع
اليه بشيء ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب

هذه الحال تكون قرة عينه في الصلاة لانها لما تضمنته من
التجلي التام والشهود الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك
كانت ما يمنه وموافقته في شهود النعم ووجود الفضل
والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها لانها فضل من الله وبارزة
من منة الله كما قال المولف رحمه الله ولا شك ان معنى
قرة العين في الوجه الاول احق وبه انسب والبقا لصاحبه
بان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف
فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين
ومن زالت سلطنته عنه في صلاته لم يحتج الى مدافعته
ومراعنته وكانت صلاته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام
والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة
عدوه يحصل له غاية التنعيم واللذة ويتحقق في حقه
معنى قرة العين بخلاف الوجه الاخر فان صاحبه لم يفن
عن نفسه فضلا عن ان يرتقي الى درجة البقا بربه فلم
ينقطع عنه حديث النفس ولا وسواس العدو فيحتاج
لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر
لذته فيضعف معنى قرة العين قال الشيخ العارف ابو
محمد عبد العزيز المهدوي وقرة لا تكون لصاحب المجاهدة
والمدافعة الذي يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح من المجاهدة
والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
عند ربه عز وجل اشرف المنازل ومرتبته في المعرفة
اشرف المراتب بحيث لا يتصور ان يشاركه في ذلك غيره
او يحل بها سواه كانت قرة عينه في صلاته على حسب ذلك

ومن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية
الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه
وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب
الي من الدنيا الطيب والنسا ولا شك ان حبه لهذين
الامرين ليس على قياس حب غيره لهما وانما ذلك
لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى انه ابيح
له ما لم يبح لغيره من عدد الحراير وامن لاجل ذلك
من وقوع مفسدة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع
الضراير واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه
له انما هو للفائدة المليكة التي تناجيه والا فهو
في ذاته غني عن الطيب واستعماله كما قال انس بن
مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا
ديباجا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا شممت قط مسكا ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله في هذين الامرين
على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى لفظة الحب
وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله في الامر
الثالث مع انه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة
وهو من اعمال الاخرة وقيل معنى قوله من الدنيا
اي في الدنيا ومن قال ان لغيره منه شربا ونصيبا
على المعنى الذي يليق بهذا الغير فلقوله وجه
وجواب المولف رحمه الله محتمل لهذين الوجهين
والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما وقال

رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود
النعم على ثلاثة اقسام فرح بالنعم لا من حيث مهديها ولا منشئها
ولكن لوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون وفرح بالله ما شغله
من النعم ظاهر متعتها ولا باطن
منتها بل شغله النظر الى الله عما
سواه والجمع عليه
فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله
تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون تضمن هذا الفصل بيان ما يجد من احوال
الناس وما يحدث عند ورود النعم عليهم وحصول
الفرح اذ ذاك لهم وينبني عليه ما يكون من ذلك
شكرا لها وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف ثلاثة
اقسام وجعلهم طرفين وواسطة قسم في غاية
الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث فيها
قضاء اوطار نفوسهم ونيل اغراضهم والتمتع بشهوا
تهم ولذاتهم فاحوال هؤلاء مذمومة جدا
اشبه شيء بهم الانعام والبهائم وهذه الاحوال بعيدة
احوال اهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر حسبما
اشار اليه في الاية الكريمة التي ذكرها المؤلف في هذا
القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر منافية له
وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا

بالمنعم

بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ما فيها
من متعتهم ولذاتهم ولا الى بواطنها من كونها دلائل
على عناية الله بهم حيث من بها عليهم فاحوال هؤلاء
محمودة جدا لانهم غابوا عن الاغيار الحكمية وتحققوا
بحقائق الوحدانية كما اشار اليه في الاية الكريمة التي ذكرها
المؤلف في هذا القسم وحال هؤلاء هو الشكر الحقيقي
الخالص الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان
عن حظوظ نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعما فلا
تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا
يجري عليه من التغير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب
ما يجري على غيره لبقائه معه قال ابو محمد الجريري من
راى النعمة ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن راى
المنعم بغيبة النعم فقد شكر وقال الشيخ ابو محمد
عبد العزيز المهدوي كل من لم يشاهد المنعم
في النعم كانت النعمة في حقه استدراجا لانه برؤيته
الى ان يسكن اليها فاذا انتزعت منه لزمه ان يتغير عليها
ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة
وحظ من الدناءة والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم
لكونها منة من الله تعالى عليهم من حيث شهو
دهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم وكانت
احوالهم محمودة وهي شكر منهم لربهم ومن
حيث نظرهم لانفسهم وبقائهم مع حظوظهم
كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا

بهذا الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف
الاول عن احوال الادنين فخوطبوا بما خوطب به عامة
المومنين واوساطهم في الاية الكريمة التي ذكرها
المولف في هذا القسم وقد ضرب الامام ابو حامد
الغزالي في كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة
مثالا فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم
بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس
بثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه
فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه
وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك
بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه
لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان
يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل
به على عناية الملك وشفقته عليه واهتمامه بجانبه
حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه له غير
الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس ولا
ستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل
في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه
فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة
من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب
الملك على ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا
القدر من العناية بل هو طالب بان لا ينعم الملك

بشيء

بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه لا يريد
من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب
منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة
دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى
لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها
مقصور على الفرس فرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه
حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموا
فقة لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر والثاني
داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن
لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي
تستحثه على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين
الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من
عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح
الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل
من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول
في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي
الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو
مزرعة الاخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه
عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس
يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس
الفرس لانه جواد مهملج بل من حيث انه يحمله في
صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه
منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية

المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص شكر العامة
على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب
وهذه رتبة لا يدركها كل من اقتصرت اللذات في البطن
والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن
لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر
الله ومعرفته ولقايه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات
كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى
الاشيا الحلوة ويستحلي الاشيا المرة حتى قيل ومن يك ذا
فم مر مريض يجد مرا به الما الزلالا ؛ فاذا هذا شرط الفرح
بنعمة الله تعالى فان لم يكن له اهل فمعرى وان لم يكن هذا
فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم
بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك
وكم فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين
من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الغزالي وهو
في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما
ذكره المؤلف رحمه الله ولذلك اوردته هاهنا بكماله وقد
اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا
وبذكري فليتنعموا بهذا تحققت صديقيتهم وعلم
ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل
في بعض الايام على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو
يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عاداته فقالت له يا عتبة
ما هذا التيه والعجب الذي لم اره في شمايلك قبل اليوم
فقال يا رابعة ومن اولى بهذا التيه مني وقد اصبح لي مولى

واصبح

واصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت سايرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا
يرقص ويصفق وهو شيخ فيه يرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال
دعني عنك فقلت في نفسي عبد من انا وكلام من اتلو وبيت من انا قاصده فاستفزني الوجد
فرقصت وانشدوا • قوم تغالوا بهم زهوا بسيرهم • والعبد في زهو على مقدار مولاه •
• تاهوا برؤيته عما سواه لـه • يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا •
ويحتمل ان يكون المراد بقوله فبذكري فليتنعموا اي بذكري اياهم في الازل حيث لا وجود لهم
ولا ذكر لا الذكر المنسوب اليهم محل الافات والعلل وهي اجل رتبة من ان يكون نعيمهم بشي ملتبس
بهم والله تعالى يجعل فرحنا واياكم به والرضا منه وان يجعلنا من الفائزين بالرضوان
يسلكنا بالسلامة الكافية بمنه وكرمه هذا دعاء حسن موافق لما تقدم وهو من لا يحتاج
الى تنبيه عليه والله تعالى يمن لنا ذلك بفضله وقال رضي الله عنه الهي انا الفقير في غناي
فكيف لا اكون فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي
العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب اليه
نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من كونه فقيرا في غناه وجاهلا
في علمه صحيحا مستقيما وكانه رحمه الله قصد بهذا الاعتراف بعوالم الاضطرار ولزوم اتى
الباب ثم من افتقاره وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل في حين من الاحيان لاحتياجه اليه والتعلق به
والسؤال والطلب منه في كل حال من الاحوال كما قيل •
• اني اليك مع الانفاس محتاج • لو كان في مفرقي الاكليل والتاج •
وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي اقتضتها عظمة الربوبية
وتقديره لهذه المعاني من دعايه ومناجاته في غاية الحسن قال سيدي
ابو الحسن ما طلبت من الله شيئا الا قدمت اساتي امامي بين يدي حتى لا اطلب من
الله شيئا بوصف يستحق به العطا بل لا يكون طلبه وجوده بفضله لا بفعله
وقال ابو عثمان في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال التضرع في
الدعا الا تقدم اليه افعالك وصلاتك وصيامك وقراتك ثم تدعو على اثر

انما التضرع ان تقدم اليه بافتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك
ثم تدعو بالاعلنة ولا تسبب بين يدي دعائك وقال الواسطي التضرع ابذال العبودية
وخلع الاستطالة وقال سهل بن عبد الله اسم الله الاعظم عبد بقي الى الله تعالى
في وقت الدعاء في شيء يحل بدلا قال الله لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامي
لاجبته لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك
منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء.
تلوين الاحكام على العباد اذا لا يسكنوا الى حالة سارة يكونون عليها
ولا ييأسوا في حالة ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرج ومن سر
محض تعلقهم بالله عز وجل وهو نعت العارفين الهي مني ما يليق بلؤمي
ومنك ما يليق بكرمك لوم العبد الذي ركب عليه يقتضي منه
التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من لطيف وجوه
السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء ويحكى ان رجلا قال لبعض الانبياء
عليهم السلام قل لربك كم اخالفه واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله
تعالى الى ذلك النبي قل لفلان لتعلم انك انا انا وانت
انت الهي وصفت نفسك باللطف
والرأفة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما بعد
وجود ضعفي اللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف
في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان
لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد
وصفاته وهي اسباغ نعمه عليه واتصال افضاله اليه
فكيف يتصور ان لا يمنعه اياهما الهي
ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت
المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي ظهور المحاسن على العبد

وهي

وهي انواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودة فضل
من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور
المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والاوصاف
المذمومات عدل من الله تعالى اذ له ان يفعل بعبده ما
يشاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة العبد
بهذا الكلام من احسن المناجاة وهي مقتضية لوجود
اسعافه له وموالاة الطافه عليه لما فيها من الثناء على
الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته العلية والتعلق
بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها ايضا
من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها
منزلها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب
باستار الكعبة وقال لا شريك لك فيوتى ولا وزير فيرشى
ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد وان عصيتك فبجهلي ولك
الحجة علي فباثبات حجتك علي وانقطاع حجتي لديك
الا غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار الهي
كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر لي ام
كيف اخيب وانت الحفي بي الوكيل والناصر والحفي اسماء لله
عز وجل وهي مقتضية لوجود آثارها من وجود الكفاية
والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك
ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة
والحفي في اللغة معناه انتفاء الجفو والحفي هو اللطف
ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال
ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده اهـ الهي انا اتوسل

إليك بفقري إليك التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به
واعظم وسايل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه عبوديته
وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى لنفسه حسنة
يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا
قال ابو يزيد قدس الله سره نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوة
من الخدمة فإن اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وقيل لابي حفص
بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير يقدم به على ربه سوى
فقره وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ه بين
المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي
اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذي هو
نعت العبد وبين الرب الذي له الغناء الاكبر وايضا فتوسل العبد
بفقره يقتضي شهوده له واعتداده به واعتماده عليه
ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلو
لة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى بمعنى انه
لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من هذا الوجه
ايضا والى هذا يشير ما يحكى عن سيدي ابي الحسن الشاذلي حين
دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام فقال له يا ابا الحسن بم تلقى
الله تعالى قال له بفقري فقال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك
لتلقينه بالصنم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر
والاكتفاء غنيا بفقرك فاذا لا وسيلة الى الله بسواه أم كيف أشكو
إليك حالي وهو لا يخفى عليك شكوى الحال لا تصح الا ممن هي
غائبة عنه وهو غير عالم بها والله لا يخفى عليه شيء وقد قال ابراهيم
الخليل عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي أم كيف أترجم

لك بمقالي

لك بمقالي وهو منك برز إليك ه الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان
عما في الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله تعالى هو
الذي انطق اللسان واطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت
واليه مآل امرها والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف ينسب اليه التر
جمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال
العبد فكيف يصلح في حقه معنى الترجمة أم كيف تخيب آمالي
وهي قد وفدت إليك ه الآمال الوافدة الى الله تعالى لا يخيبها
من قبل انها نازلة اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله
تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن
على يقين منه وان لم يسأل ويطلب أم كيف لا تحسن أحوالي
وبك قامت وإليك من تحقق في المعرفة رأى احواله كلها حسنة
لوجود قيامها بالله ورجوع امرها اليه وهذه كلها انواع من
التعجيز عجز بها المولف رحمه الله نفسه من نفسه فيما هو
بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي اوجبت
له رؤية نقصه وقصوره في احواله الاول إلهي ما ألطفك بي مع
عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي شهود العبد لهذا
المعنى من نعم عظيم يوجب له الحياء والانكسار فليستحسن منه
حينئذ الاعتراف بالنعم فقط إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك ه
شهود المولف شدة قرب الله تعالى منه لما رأى من بعد الاشياء
عنه ودفعها اليه كما سيأتي في قوله قد دفعتني العوالم اليك
وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له
والطلب للشيء دليل على فقد الطالب له وبعده عنه والمشا
هدة الاولى اوجبت له ملازمته بباب مولاه وانقطاع طمعه عن

كل ما سواه والمشاهدة الثانية اوجبت له التلطف في سؤال
التقريب والاستغناء عن طلب القرب ومن دعاء سيدي ابو العباس
المرسي يا قريب انت القريب وانا البعيد قربك ايسني من غيرك وبعدي
منك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك
يا قوي يا عزيز ما اكرمك بي فما الذي يحجبني عنك الرابعة
اشد الرحمة ولما شاهد رابعة ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية
نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه
الهي علمت باختلاف الاثار وتنقلات الاطوار ان مرادك
منه ان تتعرف الي في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء كان المو
لف رحمه الله تعالى يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات الاطوار بي من
الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة
والعصيان والفقد والوجد وغير ذلك من تقلبات احوالي التي
هي من شؤنك التي تنزلها بي علمت منها ان ارادتك بي ان تتعرف الي
في كل شيء تعرفا خاصا في حالة خاصة حتى اشاهد وحدانيتك وعظمتك
وجلالك بحيث لا اتصور مني جهلي بما انا فيه فاقبل المعرفة من وكمالك
جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف ذلك والزمتني حالة واحدة
وارتضيتها لنفسي واخترتها لكانت معرفتي ناقصة ومشاهدتي
قاصرة فانا الان اتقلب في جنة معجلة اتبوا منها حيث اشاء فقد
استغرقني ما انا فيه من عظيم النوال وشغلني ذلك عن الدعاء والسؤال
وطلب الكون على ما ارتضيه من الاحوال ولك الحمد على نعمك الباطنة
والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم في الدنيا جنة من دخلها لم
يشتق الى جنة الاخرة ولا الى شيء ولم يستوحش قيل وما هي قال
معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا

اطيب الاشياء

اطيب الاشياء قيل وما هو قال المعرفة ثم قال
ان عرفان ذي الجلال لعز وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء وعليهم من المحبة نور والله
فهنيئا لمن عرفك الهي هو والله دهره مسرور
وقد روي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد واحد
وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شيء فلا
تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل وفي يد الاخر كتب
قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا
شرب وقال في التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زايلة
عنك لامحالة فلان مراده ان ينقلك في الاطوار ويخالف عليك
الاثار ليتعرف اليك في كل حالة خاصة بتعرف خاص فلو اردت
ان يديمك على حالة واحدة فقد اردت ان يثبت لك بك غير
الكمال فكانه يقول لك لا تطلب مني ان نقيمك في حالة واحدة
فاني لا افعل ذلك معك انريد ان تنفي ربوبيتي معطلة الاثار
ولكن سلني او اشهدك لطفي حيث ما اردتك وحيث ما اقمتك
حتى ما تكون لي ولغيري قال الله سبحانه يسأله من في السموات والارض
كل يوم هو في شأن اي يمنع ويعطي ويضع ويعلي ويقبض ويبسط
ويعز ويذل الى غير ذلك من تقلبات الاثار فكانه سبحانه
يقول لك يا عبدي لا تاسى على شيء مما فاتك ولا تفرح بشيء فانا
لست لك فانا العوض لك عما سواي وما سواي لا يغنيك عني
ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدني لاني
انا بكمال الغنى موصوف وبجود الافضال معروف قال الله عز وجل
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته

فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة لان العبد
طلبه عن الله عنه فما دام له وهو فما طلبنا حتى يكون له
ومن عبده لما سواه فهو عبد ما سواه ومن عبد الله لاجل
جوده ونعماه فهو عبد جوده ونعماه لان من احب شيئا
فهو عبد ما احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش فكن عبد الله في كل شيء في عطاء ومنعه
وعزه وذله وغناه وفقره وقبضه وبسطه وفقده ووجده وشدة
ورخاء وبقاء الى غير ذلك من متقلبات الاثار وتنقلات
الاغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية الاحسان
كله فجزاه الله خيرا الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك
وكلما ايأستني اوصافي اطمعتني منتك لؤم العبد وجفا
لقه وعصيانه يخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى
وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصاف العبد الذميمة التي
اقتضتها طبيعته وجبلته يؤيسه من حصول الاستقامة على
طريق الحق ومنة الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه في
ذلك الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه
مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه
دعاوي هذا مثل ما تقدم ان الكمال المنسوب الى العبد نقصان
على التحقيق فما ظنك بنقصانه الهي حكمك النافذ ومشيئتك
القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا الشهود
هذا المعنى يوجب للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فاذا كان
ذا قول سديد وحال حميد لم يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بها

هنالك تنفرخ

هنالك تنفرخ بحكم الحق تعالى وقهر مشيئته الهي كم من
طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليهما عد
لك بل اقالني منهما فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة
صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المامور به ربه
من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق
والاداب وتشييده للحالة هو تشريفها وتطهيرها وصيانتها
عما يدركها ويكشف صفاءها وكانه لما فعلها ذهب
المريد الى انه حصل حصنا واوى الى ركن متين لكن لما شاهد
عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لانه مقتضاه ان يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد ولا يبالي باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اقاله
من ذلك بان جعل لهم التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه
ونعم البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان الهي انك تعلم وان
لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما جعل
عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احدى
وسايله ودلايل صحيح وكم من شخص قد طرد واتعد ولم يكن عنده
عزم ولا فعل جزم الهي اعزم وانت القاهر وكيف لا اعزم وانت
الامر استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود
الامر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد ايضا
عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد
امره بادر الى امتثاله وخذ من اشغاله واهماله الهي ترددي
في الاثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني
اليك شكر الى مولاه عز وجل طول تردده في الاثار وهي الاكوان
واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد

وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من
كون الى كون ثم سأله وطلب منه ان ينتصر له طريق سلوكه في
ويقربه عليه فجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها عبو
ديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول الهي كيف يستدل
عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من
الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى
تكون الآثار هي التي توصل اليك هذا تقسيم لأحوال المستدلين
على ربهم وهم أصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام
الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن علي الكتاني
وجود العطا من الحق شهود الخلق بالحق لان الحق دليل على كل شيء
ولا يكون شيء دونه دليلا عليه فالرغم لطالب الحق الدليل والبرهان
عموقع عند اهل الشهود والعيان فقد سووا الحق في ظهوره ان يحتاج
الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف
يكون معروفا به وهو المعرف له قال الشيخ ابو الحسن كيف يعرف
بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده
وجود كل شيء وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له اسحقك
الله اتطلب مع العين اين وقد تقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين
من يستدل به او يستدل عليه الهي عميت عين لا تراك عليها
رقيبا الرقيب الحفيظ فمن رأى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله
ولا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهاب ان يراه على ما يكرهه
منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن
على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فيما
زل الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة

وقيل سئل

وقيل سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظو
رات قال بعلمه بان رؤية الحق سبحانه له تسبق نظره الى المحظو
رات وقال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا
تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه قال الامام
ابو القاسم القشيري خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم
في جميع احوالهم ورؤيته لما يستكنون من فنون اعمالهم
والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا حال المراقبة والعبد
اذا علم بأن مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم
حول ما نهاه عنه وفي حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله
معه حيث كان وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك
نصيبا حب الله لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه
اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه
وهيبته والحب المضاف الى الكاف في قوله من حبك يحتمل ان يضاف
الى الفاعل والى المفعول والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ
وامدح وكان محبة الله لعبده اصل محبة العبد له قال الله تعالى
يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا
فقد حاز ربح الدارين وفاز بخيرة العيرين ومن حرم ذلك فقد
خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته وفي بعض الكتب المنزلة
على بعض الانبياء عليهم السلام يا عبدي انا لك محب فبحقي
عليك كن لي محبا ويحكى عن بعضهم انه قال اشتريت مملوكة
فسمعتها في شطر الليل وهي تقول الهي بحبك اياي الا ما غفرت
لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي

بمحبته اياي من علي بالاسلام وايقظني لعبادته وكثير من
عباده نيام قال زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى
يبلغ من حبه ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك الهي امرت
بالرجوع الى الاثار فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية
الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها
مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها
إنك على كل شيء قدير الاثار التي امر العبد بالرجوع اليها
بعد وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات
التي يلزمه اذا تلبس بها حقا ويكون له فيها منفعة وحظ فسال الله
ان يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها
قبل السلوك وهو كونه مكتسيا بكسوة الانوار وهي انوار اليقين
مؤيدا بهداية الاستبصار وهو العلم الراسخ المتين فاذا
رجع العبد الى الاثار على هذا الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم
تاخذ منه لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه في حال الرجوع
مثل دخوله فيها عليه في ابتداء امر سلوكه مصون السر عن النظر
اليها بغير الاستحسان مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال
او احسان وقد تقدم هذا المعنى في قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ وقال الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا
حالي لا يخفى عليك هذا انطراحه على مولاه ومبالغة في بث
شكواه وتلطف في سؤال رحماه وبمثل هذا يرتجى اجابة الدعاء و
استحقاق جزيل العطاء وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع بالايدي
بل بنفس المحتاج وقد قال بعضهم قلت للنهر تجري اجد في قلبي
قسوة وقد شكوت فلانا فاشار علي بالصوم فلم يزل وشاورت

اليك صح

اخر فاشار

اخر فاشار بالسهر فلم يزل فقال النهر تجري جد طلبك احضر
الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت في امري فجئت بين يدي
فيحل عنك القسوة وقال الشاعر
وددت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد للمولى عناء وغاية العجز للعجز الطويل
قال ذو النون المصري ما اعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على
ذل نفسه وما اذل عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه
منك اطلب الوصول اليك هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق
نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول
اليه لا غيره وبك استدل عليك لانك الظاهر قبل وجود كل شيء
ظاهر بل ظهورك خفيت المظاهر قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك
فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو القاسم النصرا
باذي الاشياء ادلة منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابي الحواري
لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة فاهدني
بنورك اليك وهو نور الايمان واليقين واقمني بصدق العبودية
بين يديك حتى اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك الهي
علمني من علمك المخزون اضافة العلم هاهنا اضافة تشريف
والعلم المخزون هو العلم اللدني الذي اختزنه عنده فلم يؤته
الا المخصوصين من اوليائه كما قال تعالى في شان الخضر وعلمناه
من لدنا علما وفي حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا
نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم هو اسرار الله

تعالى يبديها الى امنائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع
والدراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو
بكر الواسطي في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين رسخوا
بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرّفهم ما عرّفهم وخاضوا
بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور الخزائن
والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا
الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وهب لي سرك المصون المصون
المطلوب هو صيانته عن رؤية الاغيار بما ينبغي للقلب من ستر الاسرار
الهي حققني بحقائق اهل القرب حقائق اهل القرب هو الفناء في
التوحيد والتحقق بالتجريد فتسقط في حقهم رؤية الاسباب ويزول
عن عين نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن في
حزبه الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب
محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله
منك وحجبته بذلك عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن مضرة الا
عداء من غيبته عن منفعة الاحباء كلا اني اسالك ان تغيبني بقربك
مني حتى لا ارى ولا احس بقرب شيء ولا ببعده عني انك على كل
شيء قدير واسلك بي مسالك اهل الجذب اهل الجذب هم
المحبوبون ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيه بطول مشقة
بل يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم وذلك من فيض الله اخرجهم من
اسر نفوسهم وتولاهم بكلايته ورعايته من غير مجاهدة منهم
ولا مكابدة الهي اغنني بتدبيرك لي عن تدبيري واختيارك
لي عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري فالمنفرد بالتد
بير والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى

في شيء من ذلك

في شيء من ذلك فقد نازع الله تعالى في ربوبيته وخلع عنه
ربقة عبوديته فلذلك سأله وطلب منه ان يغنيه عن تدبيره واختياره
وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته
متعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمرا
كز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة الهي
اخرجني من ذل نفسي ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو
ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع
وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي الشك والشرك
هما سبب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان
وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد
عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس النفس
بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك اظلم
قلبه واصابه من اجله الهم والحزن وعلاجه انما يكون بو
جود ضده وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح ويزول
عنه الحرج والضيق وينفجر احتضاء القلب الروح والفرح
من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك
يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط
والشك والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن
المسبب ونسيانه كتعلق الصيد بالشرك ويكون منشأ
ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب

فيعلو اليه حينئذ الهوى فيسرع اذ ذاك الى الاسباب التي يتو
صّل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتكب من اجل ذلك حبايل الشرك
وطهارته منه بضده وهو نور التّوحيد الذي يقذفه الحق في قلبه
فتطهر بذلك نفسه وتسكن عن الشدة والطيش الذي اصابها
وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر
فتضمحل منه الاسباب ويثبت فيه خالص التّوحيد فاذا تطهر
العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد
والمعرفة والتاييد وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
اوحى الى داود يا داود هل تدري متى اتولاهم اذا طهروا
قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك بك انتصر فا
نصرني وعليك اتوكل فلا تكلني واياك اسال فلا تخيبني وفي
فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك
اقف فلا تطردني تعلق الله في كل مطلب من هذه المطالب واضرب
عن الوسايط والاسباب وذلك من تحققه بالتّوحيد الذي سال
من مولاه ان يحققه بتطهيره من اضداده ومعاني هذه الكلمات
قريب بعضها من بعض قال ابو الحسن علي ابن هند الفارسي اجتهد
في ان لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجا الكل فمن فارق تلك الشدة
لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما الهي تقدس رضاك ان
تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني هو رضي الله تعالى صفة
من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سبقية العلل
والقديم لا يكون مسبوقا بشيء واذا كانت صفاته العلية منزهة
عن ان تكون لها علة منه فكيف تكون له علة من غيره فرضى الله
تعالى لا علة له ولا سبب فرضاه وسخطه هما سبب اعمال

العاملين حسنها

العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم باعمال
اهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باعمال اهل السخط قال ابو
بكر الواسطي الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على
الابد بما جريا في الازل يظهران الرسمين على المقبولين والمطرو
دين فقد بانت شواهد المقبولين بضيايها عليهم كما بانت
شواهد المطرودين بظلمتها فاني تنفع من ذلك الالوان
المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة انت
الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا
عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضا وكان المولف رحمه الله قصد
في مناجاته بهذه الكلمات الى الاسترضا والاستعطاف
فطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة واحواله
المعلولة وذلك من احسن المقاصد للداعي الهي ان القضاء
والقدر غلبني وان الهوى بوثايق الشهوة اسرني فكن
انت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي واغنني بفضلك حتى
استغني بك عن طلبي هذا اعتذار واعتراف والله تعالى اكرم من
ان يرد عذر من اعتذر اليه او يخيب امل من اعترف بذنبه واقر
به لديه يقال ان العبد ينتهي الى الله تعالى في الاعتذار والعفو
سبحانه يقول له عبدي لو لم اقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار
وقال الكتاني لم يفتح الله لسان المومن بالمعذرة الا ليفتح باب
المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاوه فيه طلب منه النصرة
له على اعدايه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب النصرة به
لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه قال سيدي ابو الحسن واجعلنا
سبب الغنا لاوليايك وبرزخا بينهم وبين اعدايك ثم ليتفع بذلك

ثم طلب الله ان يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يوليه
من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه غاية السعادة كما قال
سيدي ابو الحسن الشعيد فقام اغنيته عن السوال منك
انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك
ووحدوك وانت الذي ازلت الاغيار من قلوب احبابك حتى
لم يحبوا سواك ولم يلجئوا الى غيرك انت المونس لهم حيث
اوحشتهم العوالم بسبب ايحاش العوالم لهم ما هي عليه من

تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم

الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها جالب
لنفسه طالب لحظه من كمال نقصه ووفاء بخسه والله متودد
اليهم ومحبب فيهم فلهذا شاهدوا هذا كله مشاهدة
يقين ومعاينة باستشهاده اياهم لم يتمالكوا ان احبوه وآووا
اليه وقصد واهمهم عليه وجعلوه معتمد انفسهم وبعدا
عن ابناء جنسهم فحصلوا اذ ذاك على غاية التنعيم وفازوا بالحظ
العظيم قال ذو النون المصري بينا انا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني
امراة فقالت لي من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله
احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر ابن عبد
العزيز وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استا
نسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استيناسا من الناس في
كثرتهم واوحش ما يكون الناس انس ما يكونون وانس ما يكون الناس
اوحش ما يكونون انت الذي هديتهم حتى استبانت لهم
المعالم لهم تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعر
فة ابان لهم علامات ذلك ودلائله فعند تحققهم في تلك
العلامات والدلالة انشرحت صدورهم بانوار الايمان واليقين

ولم يتخذا خلعم

تجريب العلم

فلم يبق اخالجهم شك ولم يخالطهم ريب والعوالم جمع
معلم وكانه رحمه الله عرض في هذه الكلمات بالمطلب الذي
بحصوله له يستغني عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه
وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهداية اياه وهذه
الاربعة مطالب متضمنة لاسنا الرغايب ماذا وجد
من فقدك وما الذي فقد من وجدك قد تقدم غير ما
مرة ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور
المحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا فحق ما قا
له المولف رحمه الله هاهنا وكان حقا لا مرية فيه قال ابو
علي الروذباري سالني ابو بكر الدقاق فقال لي يا ابا علي
لم ترك الفقراء اخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم
مستغنون بالمعطي عن العطا فقال نعم ولكن وقع لي شيء
اخر فقلت هات افدني ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم
الوجود اذ الله فاتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجو
دهم وكان ابو حمزة البغدادي يقول في مناجاته اللهم
انك تعلم اني من افقر خلقك اليك فان كنت تعلم افتقري اليك
بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري لقد خاب من رضي
دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا وهذا
يبين وهو مبني على ما تقدم الاسم الكلام رؤي الشبلي في المنام
بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على
الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسا
رة الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم من خسران لقائي
وفي معناه انشد واسهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن

لغير فقدك ضايع • وقال بعضهم كان عندنا رجل فمكث
عندنا ثلاث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى
اقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم
قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة
ثم يسكت الى المغرب كيف يرجى سواك وانت ما قطعت الا
حسانا وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان
فهذا تعجيب ممن كان على هذا الوصف وهو اعجب من كل عجيب
والمعنى في ذلك يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته
فقاموا بين يديه متملقين التملق هو التلطف في التودد وتر
تبه على ذوقهم بحلاوة مؤانسته بين ويا من البس اولياءه
ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين استعزازهم بعزته
هو رفع هممهم عن تعليقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها
وثقة منهم به وذلك لما البسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا
معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة
حفر الافكار سوى فكره ومحو الاذكار سوى ذكره • وقال بعض
المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل في
معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بان يكون لك بك معك يريد
بك انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادي بالاحسان قبل
توجه العابدين وانت الجواد بالعطا من قبل طلب الطا
لبين وانت الوهاب ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين
الحق تعالى الاولية في ما ذكر كما ذكر قال ابو يزيد غلطت
في ابتداء امري في اربعة اشياء توهمت اني اذكره واعرفه واحبه
واطلبه فلما انتهيت رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت
معرفتي ومحبته

معرفتي ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي اول حتى طلبته
فاذا كانت له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها
سوى فضله وكرمه ومما يوافق ما ذكره المؤلف رحمه الله ما
حكي عن الجنيد في مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه
ويا بادي العارفين بما عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما
عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك من ذا الذي يذكرك
الا بفضلك وافتراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقد
ره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في
اكرامه وتفضله عليه قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك
ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض ما اشتراه ثم وعدك عليه
من العوض اضعاف ما بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدتان ان تكونا
مشوبتين بالعلل الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك واجذبني
بمنتك حتى اقبل اليك لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى
الا برحمته ولذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا اقبال له الاقبال اليه
الا بمنته فلذلك طلب منه ان يجذبه اليه بها وذلك لتحقق
الاولية التي ذكرناها قبل الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان
عصيتك كما ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك الخوف والرجا
حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما
هو المطلوب سواء كان العبد في طاعة او في معصية وقد مثلوا
ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا امر على مشاهد العا
رفين والاولياء وذلك لان منشاهما عندهم انما هو شهود
الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها
فكذلك مشاهدتها لا تفاوت فيها وان وقع فيها تفاوت كانت

مشاهدته ناقصة واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود
كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجا مع ارتكابه المعصية
كما وصف به المولى نفسه قال يحيى بن معاذ يكاد رجائي لك
مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني في الاعمال
اعتمد على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني
في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود مو
صوف واجدني في الذنوب وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله
من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل
ومن دعا سيدي ابي العباس الهي معصيتك نادتني بالطاعة
وطاعتك نادتني بالمعصية ففي ايهما اخافك وفي ايهما ارجوك
ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت
بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف
ارى احساني مع احسانك لي وكيف اجهل فضلك مع عصيانك
ومن كلام سيدي ابي العباس العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا
رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف
المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر
فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم
كما لاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا علما ان من وراء خوفهم
وما به خوفوا اوصاف المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا
ان يوئس من منته فاحتالوا على اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم
الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا من غيب مشيئته
الذي من وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجا اختبار العقو
لهم هل تقف مع ظاهر الرجا او تنفذ الى خوف ما بطن من مشيئته ولذلك
استثار الرجاء خوفهم

استثار الرجاء خوفهم الهي قد دفعتني العوالم اليك انما دفعته العوالم
اليه لما تضمنه من السمات الموحشة كما تقدم ولقد احسن من قال لا وحشة
مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا •
• يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت • بمنظر حسن مذ غبت عن عيني •
وقد اوقفني علمي بكرمك عليك اذ الكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا تتوجه
نحو سواه طلبات الطالبين الهي كيف اخيب وانت املي ام كيف اهان وعليك
متكلي لما تعلق بالله وتوكل عليه استبعد ان يخيب امله او يناله هوان في
فعله الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز واليك نسبتني
الهي كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك
اغنيتني تلونه في هاتين الحالتين المتضادتين لما يغلب عليه من مشاهدة ما
يوجبهما والذلة المثبتة فيهما ذلة الخلقية والعبودية والنسبة التي اشار
اليها هي سر الخصوصية ولا افتقار بمعنى النهاية ولا استغناء مثل الحرية قال
بعضهم رأيت كل فخر يحل فيزداد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فيزداد عزي
على عزهم وقال الشبلي ذللت حتى تخالج في كل ذليل وعززت حتى ما
تعزز احد الا بي وبمعنى تعززت انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء
فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل
شيء وانت الظاهر لكل شيء هذا كلام قد تقدم معناه ولبعضه في كلام المولف
على غاية الكمال والتمام والغلط منه ان الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار
ثم انه عبر هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله يا من استوى
برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صار العوالم غيبا
في عرشه اشار بهذا الى معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى
ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى
يقتضي وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ها هنا هي الرحمة العامة

انه وسعت كل شيء، كما وسع علمه كل شيء، في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش
اذ قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذا الحد دخل تحت مقتضى اسمه الرحمن
جميع اسمائه تعالى في الايجادية وفهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضاها
في حق الله تعالى ان لا يكون لغيره تعالى وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره
فلا جرم لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها في طيه
كان العرش غيبا في الرحمانية ممتدا فيها كل غيب والعوالم كلها غيب في العرش
لانها في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله عز وجل
محقت الاثار بالاثار كما فني العالم بالعرش ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك
الانوار العرش والرحمانية ومحيطات افلاك الانوار هي اسماء الله تعالى الحسنى
والله اعلم يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار عزة الله تعالى
اقتضت كون كل ما سواه محجوبا عن رؤيته لله عز وجل فان العزيز معناه المنيع
الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي
لا يرتقى اليه وهم في تقديره ولا يسمو الى حضرته وهم فضلا الى تصوره
وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الالباب دون ادراك
نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وذكر السرادقات مضافة الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن يا من تجلى
بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كمال بهائه هو محاسن صفاته
واسمائه فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته اسرار العارفين
كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر والله
الموفق وبه استعين هذا كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير
ما مرة من كلام المؤلف رحمه الله قال المؤلف هذا الكتاب وقد نجز
بحمد الله ما اردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا

بالله

وبذلك يتبين ما عنى به مسائل الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد
تقدم في اول هذا التنبيه انه لم اقصد فيه الا هذا المعنى ولم نلتزم فيه كون ما
ذكرنا صحيح المبنى حتى نحتاج الى نصب الادلة والبراهين على ما ادعيناه فيه
وانما اسقنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب ويمكن لمن ذكر ذلك ان
يصححه ويبطله ان احب وما وقع فيه من نوع استدلال على مطلب من المطالب
فانا في ذلك متبع فان صح ذلك الدليل فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من
بطلانه بطلان المدلول وبقي المذهب قابلا للتصحيح والبطلان ممن يريد ان يتوجه
على مطالبة بذلك والذي حملني على سلوكي هذا السبيل ما فيه من وجدان
السلامة من الخطر الذي يتعرض له كل من تكلم على طريق التصوف مما لا تعقل له
فيه ويدعي صحة ما ينكره بعقله وفهمه وينسب ذلك الى القوم ولعل شيئا
من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك معتديا كاذبا عليهم ثم فيه من سوء الادب معهم
والتقدم بين ايديهم ما لا يقوم له شيء وعند ذلك يكون الخرس والبكم وذهاب
الحس والحركة اولى به واحرى عاقبة لتخلصه بذلك من شر لسانه وبيانه ثم
ان ما قصدناه من ذلك لا يمنع حصول الفائدة لمن اراد الله به ووفقه لها
بعلو الهمة ان يعمل على خلاص نفسه ولا يلزمه اتباع من ظنت كفيه وقد قيل
رضى الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع بيده هذا التاليف وظهر له فيه
خطا وتحريف ان يصلح منه ما امكنه مختلا وان يستحي من الاعتذار عنه الطريقة
المثلى وان ظهر له ان يضع في ذلك تاليفا يتضمن تنبيها وتعريفا بالحد الذي
الذي ترضى ومعالم ... من شاء فقد مضى ونحن نستغفر الله تعالى مما يعلمه
منا من التعجب والجراة فيما تعرضنا له من بيان كلام الاولياء والراسخين من العلماء
وتفسير عباراتهم واشاراتهم مع عجز اطلاعنا على كنهها ولا بصيرة فيها
ونستغفره ايضا مما اعتقدناه عليه من الجهل بما ستروه واعلان ما اسروه وتسمي
ونستغفره ايضا مما وقع منا فيه من ذكر احوال الاولياء ومقاماتهم وتعريضنا

على سلوك طريقهم المستقيم مع ابلاسنا من جميع ذالك وعزما اختظابنا
ونسأله مع ذالك ان لا يواخذنا بما انطوت عليه ضمايرنا واكنته سرايرنا
من انواع القبايح والمعايب التي يعلمها منا ونعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي
منها والتنزه عنها اغترارا منا بحلمه واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه
جل وعلا ان يمن بتوبته تمحو عنا كل حوبة حتى ينقلب اعداونا خايبين خاسيين
داحرين صاغرين لم ينالوا من تحقيق ارادتهم بينا مطلبا منه ماربا وان يشمل
في ذالك معنا كل من امن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله من اخواننا
المسلمين ونتوسل اليه في بلوغ هذا الامال والوصول الى مبتغا الامال بمن هدينا
به من الغواية كل جحود وكنود واخرجنا على يديه من الظلمات الى النور سيدنا
ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه
وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه البررة الاكرمين وتابعيهم باحسان الى
يوم الدين وسلم تسليما كثيرا الحمد لله رب العلمين اخر شرح الحكم المنسوب الى
الشيخ تاج الدين احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري تاليف
الشيخ الامام العالم ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي المغربي تغمده الله
برحمته امين

وواقع الفراغ من كتابته ضحا يوم الاربعاء
التاسع والعشرين من ربيع الثاني عام تسعة
بتقديم التاء وعشرين
اغفر لمؤلفه ولمالكه
ولمن قراه وكاتبه
ودعا له ولهم وللمسلمين
بالمغفرة والرحمة
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العا
لمين